

السعد والسعادة

تأليف
الدكتور عبد اللطيف حمزة

مترجم من اللغة العربية

إلى اللغة العربية



المجلة العامة لكتبة الاسكندرية
رقم العدد: 302
٣٢
رقم التسجيل: ٦١٥

دكتور عبد اللطيف حمزة

أستاذ ورئيس قسم الصحافة
كلية الآداب - جامعة القاهرة
« سابقا »

الإعلام والدعاية

١٩٨٤ - ١٤٠٤ هـ

مركز الطباعة والنشر
دار الفكر العربي

بسم الله الرحمن الرحيم

صحيح ما يقال من ان الراى العام والاعلام وجهان لعملة واحدة ، وهذه العملة هى الحرية . اما الديمقراطية اخرى غير الاعلام كما سنعرف ذلك .

وهنا يتبادر الى اذهاننا اولا سؤال كهذا السؤال :

متى كان للراى العام وجود فى التاريخ ؟

والذى نعرفه من دراسة التاريخ العام ان العصور القديمة لم تأبه كثيرا لراى الجماهير . . ولكنها كانت تأبه كثيرا لراى الحكام . لذلك راينا انلاطون بمجرد الراى العام للجماهير من كل قبيلة . وهذا بالرغم من اننا نعرف جيدا ان اليونان القدماء كان لهم الشمان الكبير والدور الخطير فى تاريخ الحرية والديمقراطية . ومن اقوالهم الماثورة فى ذلك :

« ان الامة الواحدة — اذا اتسعت اتساعا كبيرا — لا تتوى على المدغطة على حريتها . والسبب فى ذلك انه لابد وان يجتمع الناس كلهم فى ساحة واحدة فى المدينة لكي يستمعوا الى اقوال الزعماء والقادة . وبدون ذلك يعجز الشعب كل المعجز عن الاطلاع على احوال الحكام ، وتتبع اعمال الحكومة » .

فى هذه الكلمات ما يدل دلالة قاطعة على ان الديمقراطيات القديمة كانت تسمح بوجود الراى العام . غير ان ذلك مشروط فى العبارة السابقة بقلة عدد السكان حتى يسهل جمعهم فى مكان واحد ليستمعوا الى آراء اتقادة وذوى الحل والعقد فى المجتمع .

لونا السبب ولاسباب اخرى كثيرة لم يستطع الراى العام ان يلعب دوره كدلا فى البيئات القديمة برغم انها عرفت من ادوات الاتصال بالجماهير فنونا كثيرة منها الخطبة والشعر والمسرح . ومنها الاسنواقي الغنائية

التي كانت تعرض فيها المعروضات الفكرية الى جانب المعروضات المادية .
ومن الأمثلة على هذه الأسواق القديمة عند العرب : سوق عكاظ ،
وذي المجاز ، والمريد . وفي اليونان كانت السوق تعرف باسم « القوروب »
وكانت معرضا لكل ذلك .

أجل . . لم يستطع الرأي العام أن يلعب دوره كاملا في البيئات
القديمة . ولكننا نستطيع أن نستثنى من ذلك « أثينا » من جهة ،
و « المعينة » على عهد النبي والخلفاء الراشدين من جهة ثانية . وفي المدينة
كان العرب اذ ذاك من القلة العددية بحيث يستطيعون بسهولة أن يجمعوا
في المساجد والجوامع والأماكن العامة ، وأن يتشاوروا في أمور خطيرة
من أهمها أمر اختيار الخليفة .

غير أنه يضي ذلك العهد الزاهر — عهد النبي والخلفاء الراشدين —
وبزيادة عدد المسلمين ، ويظهر العواصم الجديدة في العالم الاسلامي
تعذر على المسلمين ممارسة الديمقراطية والتعبير عما يسمى
« بالرأي العام » . وأصبح هذا الرأي — أو كاد يصبح — مقصورا
على الحكام ، وإن كان من عادة هؤلاء أن يأخذوا برأي علماء الدين الذين كانوا
أشبه بنواب عن المسلمين يراقبون أعمال الرأعي ويحافظون على مصالح
الرمعية .



هذا كله في العالم العربي . أما في العالم الغربي فمما لا شك فيه
أن السنوات الأخيرة من القرن الثامن عشر — وهي السنوات التي حدثت
فيها الثورة الفرنسية — طفت سيطرة الرأي العام الذي كان يسمى
مونتسكيو « بالروح العام » والذي عبر عنه روسو « بالإرادة العامة » .

ثم في القرن الذي نعيش فيه فرض الرأي العام نفسه على أكثر
بلاد العالم المتمدن . وأصبحت له وسائله الحديثة الى ذلك . ومنها الصحف
والكتب ثم الراديو والتلفزيون . ويضاف الى ذلك رأى الشعب كله ممثلا
في المجالس النيابية ، وليس أروع في التاريخ المعاصر من المثل الذي ضربه

العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ . فمما لا ريب فيه ان قوة (الراى العام العالمى) كانت من اقوى الاسباب التى أدت الى انتصار مصر على دول ثلاث اشتركت فى العدوان عليها . وهى إنجلترا وفرنسا وامرائيل .

سؤال آخر يعرض للباحث أيضا فى موضوع « الراى العام والاعلام والدعاية » - وهو متى كان للاعلام وجود فى التاريخ ؟ .

والجواب على ذلك ان الاعلام وجد بوجود هذا العالم . ولكنه مر بمراحل كثيرة حتى وصل الى الصورة التى هو عليها فى وقتنا الحاضر . والسبب فى ذلك هو تغير وسائل الاعلام من عصر الى عصر :

فقد كانت وسائل الاعلام فى الأزمنة القديية طوبولا تسمع فى ادغال افريقيا ، وخنانا يصعد فى بلاد الهند ، ونيرانا تسطع فى صحراء العرب ، وحبائم تطلق فى عهود الخلفاء والسلاطين ، وخيلا تسبق الريح فى توصيل الأنباء الهامة من بلد الى بلد ونحو ذلك .

ومعنى هذا ان وسائل نقل الأخبار كانت كثيرة ومتنوعة فى العصور القديية . وكان القائلون بنقل الأخبار كثيرين أيضا . ثم خضعت هذه الوسائل الاعلامية لاطوار متعددة بعد ذلك . حتى اذا صرنا الى الوقت الذى نعيش فيه وجدنا انفسنا املم طائفة جديدة من هذه الوسائل . منها الصحف والاذاعة والتلفزيون « ويخلق ما لا تطبون » ! .

ثم ان الاعلام يختلف فى طبيعته عن الدعاية . فالاعلام انما يقوم على الأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة ، والارقام والاحصاءات ونحو ذلك . اما الدعاية فتعتمد فى اساسها على العواطف او ما يسمى بالاستهواء النفسى . ومع هذا وذلك فلا غنى للناس او الحكومات من الاعلام وعن الدعاية ... وفى وقت واحد .

اجل .. اصبحنا فى الوقت الحاضر نفرق تفرقة واضحة بين ما هو اعلام وما هو دعاية . ولذلك نجد الحكام فى الدول الحديثة - وخاصة فى النصف الثانى من القرن الذى نعيش فيه - يعتمدون فى اتصاليهم بالجمهور على

الاعلام أكثر من اعتمادهم على الدعاية . أو — على الأقل — يتظاهرون بذلك أمام الشعب . ويبدو هذا واضحا في خطب الرؤساء والقادة في المناسبات العامة ، والانتخابات السياسية ، والمؤتمرات الدورية وغير الدورية ، وفي للجالس النيلية التي يجتمع فيها ممثلو الشعب ، ويتحدثون فيها حديثا يبنى على المعلومات الصحيحة والتقارير المدروسة ، والاحصاءات التي لا تكذب الخارىء أو السامع .



وهناك سؤال ثالث وآخر ؛ وهو متى كان للدعاية وجود في التاريخ ؟.

والاجابة على هذا السؤال مخالفة للاجابة عن السؤالين السابقين . ذلك انه اذا كانت الديمقراطية الصحيحة شرطا في وجود الرأى العام فانها — أى الديمقراطية — ليست شرطا في وجود الدعاية . بل ان الدعاية ربما كانت أكثر ملاءمة للبيئة التي نضج الديمقراطية وتقوم على الديمقراطية ، أو ما يسمى بنظرية السلطة المطلقة .

واذا كانت الأخبار الصحيحة والحقائق الثابتة شرطا في الاعلام فان هذه العناصر ليست شرطا في الدعاية في جميع الاحوال . بل كثيرا ما تقوم الدعاية على الاخبار الكاذبة والحقائق الملفقة والنشرات او البيانات الزائفة ونحو ذلك .

والديكتاتورية — أو نظام السلطة المطلقة — أكثر حاجة الى الدعاية من أى نظام سواه . ولذلك نظر التاريخ الى قائله الفراغته القماء على انه ثمرة من ثمرات الدعاية . وإلى سيطرة البسبوبات على الناس والحكام على انها نتيجة من نتائج الدعاية . كما نظر التاريخ الى تحكم الخلفاء والسلطنين وانفرادهم بالسلطة نفس هذه النظرة . وفي كتاب لنا سابق هو كتاب « الاعلام له تاريخه ومذاهبه » شرح لهذه الفكرة .

هذا كله فيما يتصل بالدعاية السياسية . أما الدعاية التجارية فبعيدة كل البعد عن هذا المجال الذى نتحدث فيه .



فلما ان الراى العام والاعلام وجهان لعملة واحدة هى الحرية ، وعلى هذا فالحرية بهذا المعنى صور ثلاث : اولها صورة الآراء الفردية ، اوحق كل مواطن فى ابداء الراى الذى يراه . والثانية صورة الراى العام ، او مجموع الآراء الفردية يلتقى بعضها ببعض ويؤثر بعضها فى بعض . والثالثة صورة الاعلام وهو الطريقة التى ينتقل بها هذا الراى العام فى النهاية . وخلاصة هذا الكلام ان الاعلام ميارة من حرية التعبير من الآراء .. ومن هنا وجب علينا فى هذا الكتاب ان نبدأ بالحديث عن « الراى العام » ثم تنتقل منه الى الحديث عن « الاعلام » ثم منهما الى الحديث عن « الدعاية » . وفلك ما جرى عليه منهج البحث .



(ويعد) فقد انتفعت فى كتابى هذا وفى الكتاب الذى سبقه بعنوان « الاعلام له تاريخه ومذاهبه » بعدد كبير من كتبوا فى موضوع الاعلام . سواء كتبوا من المؤلفين العرب أم غير العرب . وان كان الفصل الأول فى الحقيقة ما زال للمؤلفين الأوربيين والأمريكيين الذين يعتبرون الرواد الأوائل فى هذا الموضوع .

كما انتفعت فى باب الدعاية من كتابى هذا بالمحاضرات التى ألقاها الدكتور محمد عبد القادر حاتم على طلبة الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة (١) .

ومنذ تعينى جامعة بغداد سنة ١٩٦٥ للمشاركة فى انشاء قسم الصحافة بكلية الآداب وجهت هذا القسم الجفود بحملة شديدة الى كتب تجمع فيها المواد الدراسية المطلوبة . واذا ذاك شعرت بيسنوية كبيرة تجاه

(١) لقي الدكتور حاتم - بطلى الاعلام العربى فى حرب السويس سنة ١٩٥٦ - هذه المحاضرات منذ عشر سنوات على وجه التقريب ، وكان يومئذ وزيرا للثقافة والإرشاد . وفى حدود علمى ان هذه المحاضرات لم نقل مخطوطة الى اليوم .

تسم الصحافة ببغداد هي نفس المسئولية الكبيرة التي شعرب بها تجاه
تسم الصحافة بالقاهرة .

ومن هنا بدأت جهودي في بغداد بتأليف هذا الكتاب في موضوع
« الرأي العام والاعلام والدعاية » . واتنا ادمو الله ان يبنى القوة التي
اتابع بها تأليف بقية الكتب اللازمة لهذا القسم الناشئ .

غير ان ذلك لا يتم بمفردي . فما لنا الا واحد من اساتذة آخرين
يهلون معي عبء الدراسات الصحفية في جامعة بغداد . لذلك اود
ان يأتني لي زملائي في هذا القسم الجديد فادعومهم جميعا الى المساهمة
الى تأليف الكتب التي تتصل بهذه الدراسة . فان ذلك هو الطريق الوحيد
لانشاء مكتبة خاصة بالدراسات الصحفية بجامعة بغداد حتى يمكن
لهذه الدراسة ان تقف يوما ما على قدم المساواة مع بقية الدراسات
العلمية الأخرى .

ومعروف ان الدراسات الصحفية في ذاتها انما تدور حول عنون ثلاثة
رئيسية ؛ هي فن التحرير ، وفن الاخراج ، وفن الادارة . كما تدور هذه
الدراسة حول فنون أخرى كثيرة مثل موضوع « العلاقات العامة »
وموضوع « الاعلان » وموضوع « التصوير الصحفي » . كما تحتاج
الدراسات الصحفية كذلك الى بعض المواد الثقافية كموضوع « المذاهب
السياسية » و « المذاهب الاقتصادية » ومادة « التشريعات الصحفية »
ومادة « الاحصاء » ومادة « الاجتماع الصحفي » ومادة « الترجمة الصحفية »
ونحو ذلك .

ومعنى ذلك اننى ارجو ان اشمل بدعوتى الى تأليف الكتب اللازمة
لقسم الصحافة جميع السادة الاساتذة الذين يقومون بتدريس جميع المواد
المتقدمة . وهذه الدعوة التي اوجهها الآن الى زملائي الاساتذة في قسم
الصحافة بجامعة بغداد هي نفس الدعوة التي وجهتها الى زملائي الاساتذة
بقسم الصحافة بجامعة القاهرة - وهو القسم الذى تم انشاؤه سنة ١٩٥٤ -
اعنى قبل انشاء قسم الصحافة البغدادى بما لا يزيد عن عشر سنين .

وانى لأذكر الآن بشئ كثير من الرضى والألمئتان لئننى وزملائى الذين كانوا معى بالقاهرة فى سنة ١٩٥٤ — وقفنا الى تأليف ما يقرب من أربعين كتابا فى صميم الدراسة الصحفية كلفت صالحة لإنشاء مكتبة صحفية ، ثم اتسعت هذه المكتبة شيئا فشيئا بالرسائل العلمية التى تقدم بها خريجو معهد الصحافة بالقاهرة للحصول على درجة الدكتوراه فى الآداب من معهد التحرير والترجمة والصحافة . وهو المعهد الذى خرج الى الوجود سنة ١٩٣٩ — أعنى قبل إنشاء قسم الصحافة المصرى بخمس عشرة سنة . وبقي يتمتع بالحياة الى سنة ١٩٥٧ .

وهذا الذى تم للدراسة الصحفية بجامعة القاهرة هو ما أتمنى أن يتم بظه وأكثر منه لهذه الدراسة الصحفية فى جامعة بغداد . والله الموفق للصواب .

* * *

ومن واجبى فى نهاية المقدمة أن اعترف بلى الفضل فى اصدار هذا الكتاب انما يرجع الى طلبة قسم الصحافة ببغداد ، لهم الذين طلبوا بتسجيل المحاضرات التى انقيتها عليهم فى موضوع « الراى العلم والاعلام والدعاية » ، وهم الذين قرأوا على هذه المحاضرات بعد الفراغ من تسجيلها بطريقتهم الخاصة . وهم الذين أشاروا على بعد ذلك بطبعها كتابا فى آخر الأمر .

نالى جميع من أشارت اليهم هذه « المقدمة » أقدم أصدق الشكر . كما أقدم شكرى كذلك لجامعة بغداد التى تقضت مساعدت فى نشر الكتاب . والله أدعو أن يوفقتنا جميعا لخدمة الوطن العربى . وإلى الله العلى التقدير لبتهل أن ينفع للصحافة المراقية والاعلام العراقى بالجيل الجديد من الشלב الذى يتاهل لهذه المهنة الشريفة فى قسم الصحافة .

عبد اللطيف حمزة

بغداد فى يونيه (حزيران) ١٩٦٧ .

الباب الأول

الرأي المسلم

الفصل الأول

تصريف الراى العام

ربما كلن اصطلاح « الراى العام » من اختراع المصور الحديثة التى تعددت فيها وسائل التعبير عن هذا الراى ، من صحيفة الى اذاعة الى تليفزيون الى سينما الى ندوة الى مؤتمر الى معرض الى كلب ونحو ذلك .

ولكن ليس معنى هذا بطبيعة الحال ان الراى العام لم يكن له وجود ما فى المصور السابقة . كلا ، فلما لا تصور عصرا من المصور القديمة او الوسيطة كان محروما من التعبير عن آرائه فى كل مشكلة من المشكلات التى تواجهه او الأحداث التى تبر به .

غاية ما فى الأمر ان المصور التى تقدمتا كانت لهما وسائل اخرى للتعبير عن هذا الراى . وقد اوشكت هذه الوسائل أن تكون محصورة فى الكتاب والرسالة والخطبة والأسواق العامة ؛ ومنها سوق المربد وسوق عكاظ ونحوهما . هذا كله فضلا عن القصيدة الشعرية التى كانت تعتبر وسيلة من وسائل التعبير عن الراى العام او الخالص منذ العصر الجاهلى الى المصور الوسيطة الى العصر الحديث كما هو معروف .

ويتردد لفظ « الراى العام » على اللسنة كثيرا فى العصر الذى نعيش فيه ؛ وخاصة عندما تقع حادثة مفزعة كحادثة غرق البخرة نندرة بالقاهرة او حادثة غرق السيارة العامة فى النيل فى شهر سبتمبر سنة ١٩٦٥ . وقد راح ضحية هاتين الحادثتين فى مصر عدد كبير من المواطنين . وهزت كل حادثة منهما مشاعر المصريين . وقد يبلغ من ضخامة الحوادث أحيانا أنه يشغل بال الراى العالمى بأسره . كما حدث ذلك فى العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ . وقد هز هذا العدوان ضمير العالم كله . فلم تتخلف دولة من الدول عن الاشتراك برأيها فى هذه الحادثة .

تعريف الرأى العلم :

يختلف العلماء اختلافا بعيدا . فى تعريف هذا المصطلح . ولنا ان نستعرض طائفة من هذه التعريفات . وسنجد ان بعضها يؤمن ايماننا عميقا بقوة الرأى العلم . وبعضها يظهر بعض الشك فى ذلك . وكلا النوعين من التعريف يجعلنا ندرك خطورة الرأى العلم فى ذاته ، ولا يحملنا مطلقا على الشك فى وجوده .

لنن التعريفات التى تؤمن بقوة الرأى العلم ما يلى :

١ - يقول الأستاذ جيمس برايس فى كتابه (الديمقراطية الحديثة) :
« الرأى العلم اصطلاح يستخدم للتعبير من مجموع الآراء التى يدين بها الناس بإزاء المسائل التى تؤثر فى مصالحهم العادة والخاصة » .

٢ - ويقول الأستاذ البورت " Alport " : « الرأى العلم تعبير مصدر عن مجموعة كبيرة من الناس عما يرونه فى مسألة من المسائل أو مقترح من المقترحات الواسعة النطاق ؛ بحيث يمكن استدعائهم لهذا التعبير - سواء كانوا مؤيدين للفكرة أم معارضين لها ، وبحيث تكون نسبتهم العددية كافية لاجداث تأثير ما بطريق مباشر أو غير مباشر » .

٣ - ويقول الأستاذ البيج " Albright " فى كتابه (الرأى العلم الحديث) :
« انه - أى الرأى العلم - تعبير عن موضوع معين يكون موضع مناقشة من جماعة ما » .

٤ - ويقول الأستاذ كلاريد نتيج فى مقدمة كتابه (هراءات فى الرأى العلم) :
« انه - أى الرأى العلم - هو الحكم الذى تصل اليه الجماعة فى مسألة ذات بال وذلك بعد مناقشات علمية ومستوفاة » .

٥ - ويقول الأستاذ لينارد دوب " Doob " فى كتابه (الرأى العلم والدعاية) : « انه - أى الرأى العلم - اتجاه جماعة من الناس نحو مشكلة معينة أو جاذب معين » .

ونكف ثيلا عند هذا التعريف الأخير فنقول :

يقصد (بالاتجاه) حالة استعداد عقلى كونه التجارب أو الظروف التى مرت بالفرد فى الماضى . ويؤثر هذا الاستعداد تأثيرا توجيهيا على استجابات الفرد لجميع الأشياء والمواقف التى تتصل بهذا الاستعداد .

والإتجاه — كما سنذكر ذلك فيما بعد — من الأمور التى توشك أن تكون ثابتة ثبوتا دائما فى الأفراد والجماعات ، فالإتجاه المبادئ ضد الزواج فى أمريكا يكاد يرثه الطفل فى الأبيض عن أبويه وعن المدرسة وعن الجامعة .

ويقصد بالجماعة فى بحوث الرأى العلم الممد من الأفراد الذين ينتمون الى هيئة واحدة كالأسرة أو المصنع أو النقابة أو المدرسة . وقد تكون الجماعة كثيرة العدد بحيث تشمل الأمة كلها . وقد تنسج الى أن تشمل المعلم كله وهكذا .

لما المشكلة أو الحافضة فى تعريف (دوب) للرأى العلم فقد تكون مشكلة بسيطة حدثت لأسرة واحدة أو مصنع واحد أو مدرسة واحدة . وقد تكون مشكلة كبيرة كالمدون على بلد من البلاد أو قسما حرب عالمية ونحو ذلك .

وفى كل هذه التعريفات السليمة ما يوحى بأهمية الرأى العلم ويحتوية وجوده بقوة تأثيره .

ومع هذا وذاك فإن من الدارسين لهذا المصطلح الذى نحن بصدد الان — وهو مصطلح الرأى العلم — من يعمدون الى تحليل المصطلح ذاته ، ويقولون انه يتألف من لفظين هما لفظ (رأى) ولفظ (عام) . والرأى من قولك : أرى كذا . وكلمة أرى فى ذاتها تعبير عن أمر يقبل الشك . وعلى هذا فالرأى معناه عدم الجزم أو اللقطع بصحة أمر معين .

ولما كلمة (العلم) فيقصد بها الجماعة التى تشترك فى الرأى . والجماعة تتألف من أفراد يتباينون فى الأخلاق وفى المعتقدات وفى الثقافة . ولا توصف الجماعة بأنها شيء موحد ؛ لو بأنها شيء له صفة الثبوت .

والجماعة تنتقل من حالة الى أخرى بتأثير أفراد معدودين يسوقونها سوقا
إما الى الخير ولها الى الضر . وقال أن تكون لهذه الجماعة ارادة ظاهرة
في انصياعها لهؤلاء الأُمراء أو الزعماء أو القادة .

ومن هنا كثرت الآراء التي تشكك في الرأي العام من حيث هو .

وهنا نضيف الى التعريفات التي سبق أن أشرنا اليها تعريفات أخرى
لها طابع التشكيك في وجود الرأي العام . ومنها على سبيل المثال :

١ - الرأي العام الموحد للجماعة أمر لا يمكن تصويره حتى في أوقات كساد
الشعوب من أجل مصيرها . ذلك أن الشجاعة في إبداء الرأي تختلف
من فرد الى فرد . والمعتول الذي يصدر عنها الرأي يختلف من حيث
القوة والضعف . والأهداف التي تسعى اليها الجماعة تختلف
من حزب الى حزب .

٢ - ومن هذه التعريفات : الرأي في ذاته هو محاولة لتحقيق أمر ما
بوسائل ناقصة - أو ببساطة أخرى - بطرق ليست مستقلة .
ومعنى ذلك أن صاحب الرأي لا يتأكد لديه رأيه الا بموافقة الآخرين
عليه . ولذلك نرى في نفس صاحب الرأي شيئا من التلقئ والتناقض ؛
فهو يخشى دائما أن يكون منظره في الرأي صاحب الحق .

٣ - ومن هذه التعريفات كذلك : الرأي العام لا وجود له في الحقيقة
- فانه مما لا شك فيه دائما أن هناك رأيا ظاهرا بين آراء الجميع -
أو رأيا غالبا على ما حوله من آراء الجميع . ومعنى ذلك بطريقة أخرى
انه ليس هناك ما يسمى بالرأي العام . بل هناك رأى في الجماعة .
وبين التعبيرين فرق لا سبيل الى انكاره .

٤ - ومن هذه التعريفات أخيرا : ان الرأي العام ليس رأى الشعب
بأكمله . بل يصح أن يكون رأى طبقة لها الاغلبية أو السلطة على
طبقات الشعب الأخرى . والأرجح أن يكون رأى الطبقة المتسلطة
في الأمة هو الرأي الغالب أو الرأي الذي له السيادة والنفوذ والتفوق
على آراء الطبقات الأخرى (١) .

محاولة جديدة لتعريف الراى العام :

يقول صاحب كتاب « الراى العام والحرب النفسية » (١) :

« الواقع ان هذه الاختلافات في تعريف الراى العام انما تتبع من اختلافات في وجهة النظر الاجتماعية والسياسية الى الجماهير ، وفى مدى الايمان الحقيقى بهذه الجماهير . كما تتبع ايضا من الخط بين راى الاغلبية وراى الطائفة . او بمعنى آخر : بين الراى العام والراى النوعى .

ولذلك فقد حاولنا أن نضع تعريفا جديدا للراى العام ينبع من ايماننا بأن الجماهير هى القوة المحركة الحقيقية فى المجتمعات الحديثة منى لتتيح لها التحرر الكافى من النومية .

« فالراى العام هو الراى السائد بين أغلبية الشعب الواعية بالنسبة لموضوع أو أكثر يمس هذه الاغلبية مسا مباشرا أو يشغل بالها ، ويحتدم فيه الجدل والنقاش فى فترة معينة .

« ولا يقلل من أهمية هذا الراى وجود آراء مخالفة لبعض الفئات ذات المصالح المخافرة لمصالح الاغلبية ... » .

فقوله « يشغل بالها ويحتدم فيه الجدل والنقاش » معناه بيان دور وسائل الاعلام والتوعية فى لقاء الاضواء على المسائل العامة التى ينبغى أن يلم بها الشعب الملمها صحيحا ، أو التى قد لا يدركها الشعب بسبب الجهل أو قصور الوعى . ذلك ان من لا علم له لا راى له . أما ضرورة استخدام الجدل فلان الجدل من شأنه تطبيق أوجه المسألة المثارة والوصول الى الحقيقة .

وأما قوله « فى فترة معينة » فلان لكل مشكلة أو حدث أو وضع معين ظروفه المحدودة بزمان وقوعه سواء كتبت ظروفنا سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية . وقد تتغير هذه الظروف بمرور الوقت .

(١) مختار التهامى ص ٢١ - ٢٢ .

الفصل الثاني

الرأى العلم والاتجاه العلم والسيط العلم

ظنا ان الرأى العلم هو رأى الجماعة الذى تتخذه نحو مشكلة او حادثة معينة . لما الرأى الخاص فهو يمثل رأى الشخص الذى تعنيه المشكلة او يفكر فى هذه الحادثة من وجهة نظره فقط .

من اجل ذلك يمتاز الرأى العلم بأنه أقل تعرضا للتغير أو التحول من الرأى الخاص الذى هو شخصى بحت . ذلك ان الأول — وهو الرأى العلم — متصل أقوى اتصال بالجماعة — كما أوضحنا — بخلاف الرأى الخاص فإنه متصل بالفرد . فلو سألت كل فرد من أفراد الجماعة عن رايه فى مسألة من المسائل ، او حادثة من الحوادث وجدت له رأيا مختلفا لآراء الأفراد الآخرين . وهذه بديهية لا تحتاج الى شرح أو تحليل . فلننتقل منها الى الكلام عن :

الفرق بين الرأى العلم والاتجاه العلم والسيط العلم :

الرأى العلم : هو ما يصل اليه المجتمع الواعى بعد تقليب وجهات النظر المختلفة والآراء المتعارضة .

واما السيط العلم : فهو ما تصل اليه الجماهير بمجرد الاثرلة او الانفعال برجل واحد فقط ، او حادثة واحدة فقط ، او فكرة واحدة فقط ، او زاوية واحدة فقط لا تكاد تسمح لغيرها من زوايا النظر بالظهور بحال ما .

والاتجاه العلم — هو ما يكون نتيجة لاتفاق الجماهير على شيء معين يرون فيه صيغة لهم ولتقليدهم ، أو دفاعا عن معتقداتهم ، محافظة على تراثهم الحضارى ونحو ذلك .

والرأى العلم نتيجة البحث والدرس والمنقشة والتجربة والنقص .. وهو من هذه الناحية يعتبر قوة خالقة . ومن ثم كلن الوعى القومى فى بلد من البلاد انما يقاس بالرأى العلم ولا يقاس مطلقا بالسيط العلم . وذلك (م ٢ — الاعلام والدعاية)

ان الناس في حالة (الرأى العلم) يتمتع كل واحد منهم بحرية المناقشة .
ويستطيع ان يظهر شخصيته . وأمله الفرص الكثيرة لاقتناع غيره بالرأى
الذى يراه . ولكن الناس في حالة السخط العلم تنعدم فيهم هذه الحرية .
نقى الزحلم والتجمع تتمحى شخصية الفرد عادة . ويفكر الناس بالصور
والخيالات ، ويكون المجال واسعا لهم القادة والزعماء المنظمين (وهم
المعروفون عند الأوروبيين باسم النيجاجوج) لكى يثروا الجماعات
ويستغلوا سذاجتها . وهنا تنعدم ذاتية الأفراد انعداما تاما كما قلنا .

ان الشعب في حالة السخط العلم يكون اشبه شيء بالنظرة في
المرح ؛ يتأثرون بالرواية المرحية وقت مشاهدتهم لها . وقلما يستطيعون
الجنح وقتئذ بين المشاهدة والنقد . (١)

طرق التعبير عن السخط العلم او الرأى العلم :

في حالة السخط العلم نجد أن الجهور يعبر عن نفسه بطرق أهمها
أربع وهي :

- | | |
|----------------|----------------------------------|
| Rationalisatim | (أ) طريقة التبرير — |
| Displacement | (ب) طريقة الإبدال — |
| Compensation | (ج) طريقة التعويض — |
| Projection | (د) طريقة الانسلاخ او الاستط — |

١ — (فلما التبرير) فهو في الجماعات مثلما هو في الأفراد سواء
بسواء . انه عبارة عن تطيل الفعل الذى يصدر منك بأسباب تبدو معقولة
في نظرسواك . مع ان الحقيقة هي أن هذا الفعل الذى صدر منك انما
صدر لأسباب عاطفية بحتة تحاول اخفائها عن غيرك بكل الطرق الممكنة .
وهذا الذى يحدث بالتقياس الى الفرد هو بعينه ما يحدث بالتقياس الى
الجماعة . فتمتئ شعرت الجماعة بشيء من الخوف و التلق او الذنب او
الفشل فانها تلوذ بطريقة التبرير للتخلص من هذا الشعور ، أو للتخفيف
منه على أقل تقدير .

(١) عبد اللطيف حمزة : المخل في فن التحرير العلمى ، ص ٢٠ .

اجريت دراسات عديدة في أمريكا لمعرفة المسبب الذى من اجله يتمصب الأمريكيون ضد الزواج ، ويسخطون عليهم كل هذا السخط . فوجد أن البيض يبررون بحجج غير منطقية ؛ منها أن الزنجرى يميل الى الكسل ، وأن به نقصا من الفلحية البيولوجية ، وأن تعريض المخ فى الرجل الاسود أقل منها فى الرجل الأبيض ، ومنها أن الزواج انسيبه بالحيوانات من حيث الخلقة .

ونظر المقتنون الأمريكيون فى جميع هذه الأسباب فوجدوها واهية فى أساسها . ولكن الشعب الأمريكى ما زال فى سخطه العلم ضد الزواج ، وما زال يبرر سخطه بمثل هذه الأسباب .

٢ - (وأما الإبدال) فهو اجتهدك فى أن تحصل على رغبة من الرغبات بدلا من رغبة أخرى فشلت فى الحصول عليها قبل ذلك . ويتضح الإبدال فى سلوك الفرد اذا غضب من والده أو والدته البيت ولم يستطع الرد عليهما . فان غضبه فى هذه الحالة يتحول الى أخيه الأصغر . وقد يعبر عن ذلك الغضب أيضا بكسر بعض الآتية التى تكون قريبة منه .

ومثل هذا الإبدال يحدث فى الجماعات . ففى حالة الاضراب العنم ترى المظاهرين يعمدون الى تعطيم أسلاك البرق واعدة النور ولترق السلك الحديدية . كما حدث ذلك فى الثورة الشعبية الكبرى فى مصر سنة ١٩١٩ . وقد يشتد سخط الجماهير فوق هذا الحد فيعمدون الى احراق الحوانيت العامة والفنادق الكبرى ، بل احراق المدينة كلها . كما حدث ذلك فى حريق القاهرة المعروف قبيل الثورة الأخيرة . ونعنى بها ثورة الثالث والمشرين من شهر يوليه عام ١٩٥٢ .

٣ - (وأما التعميؤس) فمعناه تعويض الفرد نفسه من نقص بشعر به . والتاريخ حافل بالأمثلة الكثيرة والشواهد العديدة على صدق هذا القول . وبسبب ذلك نجد أكثر الزعماء والقادة وكبار الشعراء والأدباء والفنانيين يولعون بتقص جسمى يشعرون به شمسورا قويا فى حياتهم ، ويحولون تعويض هذا النقص بأعمال معينة توصلهم الى المجد والشهرة . وفى رأى علماء النفس أن الغنون والآداب ومماثل الفسلفة واللمة

الحفلات والمهرجانات كلها أمور تلجأ إليها الشعوب هرباً من التوتر الناشئ من قسوة الحياة ذاتها . ومن ثم كانت حفلات الترفيه التي تقيّمها الجيوش في حالة الهزيمة أمراً بالغ الأهمية . ومن هذا القبيل كذلك ما قيل أن من أسباب ظهور القصص الشعبية كقصص ألف ليلة وليلة شعور العامة بسخط على الخليفة لانحراف في سلوكه الشخصي أو في سلوك أهل بيته . وإذا ذاك شجع الخليفة على ظهور هذه القصص ليلهو بها الشعب الساخط ويشغله ذلك عن الجرائم التي أثارت في نفسه كل هذه الريب .

وبالرغم من أننا لا نميل إلى تصديق هذا السبب : فلنا نميل إلى أن نأخذ منه مثلاً من أمثلة التعويض .

فمن هذا القبيل كذلك ما تفعله بعض الحكومات حين تريد أن تشمل بال الرأي العام بقصة مخترعة أو حادثة مختلفة تصرف الزاى العام بها من النظر في خطأ وقع من الحكومة وخافت أن تتحدث عنه الصحف .

ومن هذا القبيل كذلك جميع الأخبار الهشة أو التافهة مما يساعد الاستعمار في كل بلد من البلاد التي تقع تحت حكمه لكي يصرف بها نظر الصحف عن الخوض في السياسة الاستعمارية ذاتها : أن قصة مخترعة كقصة الصعيدي الذي أراد شراء الترام في مدينة القاهرة ، أو قصة الفلاح الذي أراد أن يشتري ميدان العبث الخضراء بكلمه — لها يشغل الناس بلفتكته والتسلية ، ويصرفهم عن الالتفات إلى القضايا الجادة والمسائل الهامة والسياسة العليا للحكومة ونحو ذلك .

٤ — (وأما الانسلاخ أو الاسقاط) فمعناه تهيئة النفس من أعمال صدرت عنها ونسبتها إلى الغير ، أو هو تفسير للمثل العربي القائل « رميتي بدائها وانسلت » .

ومن الأمثلة على الاسقاط أو الانسلاخ ادعاء إسرائيل أن العرب لا يحبون السلام وأنهم أهل عدوان ، على حين أن العكس هو الصحيح .

وقد نبهنا الأستاذ « البج » في كتابه « الرأي العام الحديث » إلى أن جميع هذه الطرق التي يعبر بها الرأي العام أو السخط العام

غن نفسه في بعض الأحيان هي يعينها الطرق التي تعتمد عليها الدعاية . ومعنى ذلك بعبارة أخرى أن كلا من الدعاية والرأى العام يتقنسان في سيكولوجية التفكير أو التأثير على الجماهير . ومن ثم اعتبرت الدعاية على كثير من الدوافع النفسية والعقلية التي يعتمد عليها الرأى العام .

التأثير يعتبر مظهرا من مظاهر الدعاية وأساسا لها . ومن هنا يعتمد الدكاتور في كل زمان ومكان على طائفة من المبررات التي يبرر بها سلوكه وينسب بها أكثر تصرفاته . ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما فعله « هتلر » حين كان يسوق قومه إلى الحرب بحجة أنهم العنصر الممتاز على سائر البشر . ومن حقه أن يكونوا مسلحة . ومثل ذلك يقال عن اضطهاد الملونين في كل من أمريكا وأفريقيا . ومثله كذلك يقال في تلك الحملة البشرية التي يسمونها « القنابل الذرية أو الهيدروجينية » . الخ .

والإبدال . يعتمد عليه كيان السياسة ورجال الاعلان والدعاية على أوسع نطاق ممكن . ومن الشواهد على الإبدال ما فعله « هتلر » كذلك من تحويل سخط الشعب الألماني على سوء الأحوال الاقتصادية في ألمانيا إلى سخط على اليهود وعلى الشيوعية . ومثل ذلك يقال أيضا في تحويل سخط الشعب على الحاكم المتمرّد بالسلطة إلى سخط على أعوان هذا الحاكم وعلى جميع مشروعاته الإصلاحية .

والاستقطاب يعتمد عليه رجال الدعاية كذلك في ترويج الشائعات التي لا نصيب لها من الصحة ولا أسس لها من الواقع . ولذلك ترى كثيرا من الشعوب ترى الشعوب المعادية لها بأخطائها وذنوبها ، وتوسع هوة الخلاف بينها وبين تلك الشعوب البريئة من هذه الذنوب أو العيوب . والقصد من ذلك خلق الجو المناسب لإعلان الحرب عليها ، ودفع الشعب إلى اتون هذه الحرب .

والتعويض يلعب دوره كذلك في دنيا الدعاية . ومن أجل ذلك ترى الدولة المذعورة من جاراتها - مثل إسرائيل - تحول الاعتداء من آن لأخر على الدول المجاورة لها ، لخداف ضعفها من جهة ، وإيهابا باتها قوية بمفردها وليس من السهل التغلب عليها من جهة ثانية .

والدعاية بهذه الطرق الأربع المتقدمة تستغل ما يسببه علواء النفس « بمنطقة اللاشعور » في الأمراد والجماعات . أما منطقة الشعور — ونعني بها الخرائز والمواطف — فأتىها خرجة عن نطاق هذا البحث .

(والخلاصة) أن الرأي العام — وخاصة حين يتحول إلى سخط علم — يعبر عن نفسه بطرق كثيرة . منها ما يتصل بمنطقة الشعور ومنها ما يتصل بمنطقة اللاشعور ، وإن كان ما يتصل منها بمنطقة اللاشعور أخطر وأعمق .

الشعارات :

وكثيرا ما يعبر الرأي العام عن نفسه كذلك بطريق الشعارات . وفيها — أي في هذه الشعارات — يبلور الزعماء والقادة أفكارهم التقدمية وآراءهم وخططهم الوطنية . ولذلك نرى لكل نهضة من النهضات السياسية مجموعة من الشعارات مخالفة لشعارات النهضة التي سبقتها أو النهضة التي تلي بعدها ... كما نرى لهذه الشعارات من القوة ومن التأثير في الجماهير ما يشبه الأحاديث النبوية في نفوس المسلمين . وإن كان القياس هنا مع الفارق البعيد كذلك .

كان من شعارات الثورة الشعبية الكبرى في مصر لسنة ١٩١٩ قول سعد زغلول : الحق فوق القوة والأمة فوق الحكومة ، الاستقلال التام أو الموت الزؤام ... الخ .

ومن شعارات الثورة المصرية لسنة ١٩٥٢ قول الرئيس جمال : ارفع رأسك يا لحي فقد مضى عهد الاستبداد ، وقوله : مجتمع الكليية والعدل ، وقوله : اتينا لمحاربة الاقطاع واستقلال رأس المال ... الخ .

إن كل شعار من هذه الشعارات يبلور فيه الزعيم الجديد جميع المبادئ والاعتكاف والأمتى القومية التي أتى لتحقيقها . وهذه الشعارات على اختلافها يسهل حفظها وترديدتها ، ويصبح لها وقع كبير في نفوس الجماهير يغنى عن المجهودات الكبيرة التي تقوم بها معظم وسائل الاعلام .

الفصل الثالث

أنواع الرأى العلمى

تقع أزمة من الأزمات أو حادثة من الحوادث غلذا بالقيادة فى الأمة
يسلطون آراءهم فى هذه الأزمة أو الحادثة . ونرى كل واحد منهم يحول
أن يضع علاجاً لذلك بخلاف العلاج الذى يقترحه الآخرون .

وباحتكاك الآراء المختلفة ووجهت النظر المختلفة تستطيع الأمة
أن تتبين وجه الصواب فى الأزمة أو المشكلة التى تواجهها . ثم تتبلور هذه
الآراء فى خطة واحدة تكاد تجمع عليها الأغلبية . وبذلك يتألف ما يسمى
بالرأى العلمى .

ولكن هل تصلح الجبابة كلها بجميع أفرادها للمشاركة فى تكوين
الرأى العلمى ؟ وهل يصلح جميع أفرادها لمناقشة هذا الرأى ؟ هنا ينبى
للباحث أن يفرق تفرقة واضحة بين طبقتين على الأقل من طبقات المجتمع :
طبقة المستعيرين أو المثقفين الذين يستطيعون أن يدرسوا ويناقشوا ويدافعوا
عن وجهة نظرهم ، وطبقة السوقة أو الدهماء الذين لا حيلة لهم غير الاتقياد
لرأى الطبقة السليقة .

ومن هنا ينقسم الرأى العلمى الى ثلاثة أنواع عند بعض العلماء
على النحو الآتى :

أولاً - الرأى العلمى المسيطر .

ثانياً - الرأى العلمى المستعير .

ثالثاً - الرأى العلمى المنقلا .

فالأول - هو رأى القادة والزعماء والحكومات ونحو ذلك .

والثانى - هو رأى الطبقة المثقفة فى الأمة . وهى الطبقة العسكرة
على الدرس والقراءة والمناقشة والاقتناع .

والثالث — رأى السواد الأعظم من الشعب ممن يستجيبون لأول ناعق ، ويتبعون أول صيحة ؛ ويسلكون في كثير من الأحيان سبيل الهياج والثورة ، ولا يملكون لأنفسهم القدرة على مناقشة المسائل التي ثاروا من أجلها ، والمشكلات التي أبدوا سخطهم عليها ، ما دام الزعماء قد صوّروا لهم أن هذه المشكلات إنما تمس مصالحهم العامة .

تقسيم آخر لأنواع الرأى العام :

على أن من البلصين من رأى في الرأى العام هذه الأنواع :

أولاً — للرأى العام الكلى .

ثانياً — الرأى العام المؤقت .

ثالثاً — الرأى العام اليومي .

فالأول — وهو الكلى ، يتصل اتصالاً قوياً بالأشياء الثابتة في الأمة كالدين والأخلاق والتقاليد . وفي هذا النوع يشترك السواد الأعظم من الأمة .
والثاني — وهو المؤقت ، يتمثل في آراء الأحزاب السياسية والهيئات العامة ؛ وذلك عندما تسمى لتحقيق هدف معين في وقت معين .

والثالث — وهو اليومي ، وهو النوع المتقلب ، وعليه تعيش الصحف اليومية والإذاعة والتلفزيون وغير ذلك من الوسائل الاعلامية .

تقسيم ثالث لأنواع الرأى العام :

ومن الباحثين كذلك من يجد في الرأى العام أنه ينقسم إلى هذه الأنواع :

أولاً — رأى الأغلبية أو الأقلية .

ثانياً — رأى الأتليات مجتمعة .

ثالثاً — الرأى السالحق .

رابعاً — الرأى الجليع .

فالأول — رأى الجماعة حين تنقسم إلى أغلبية وأقلية . وقد تتحول الأولى إلى الأقلية ، وقد يحدث العكس . ويسبب ذلك كلن لرأى الأقلية وزن كبير في الأمة ، ذلك لأن أصحاب الأقلية لا يسكتون عن بذل الجهود الكبيرة للوصول إلى الأغلبية .

والثاني — رأى الاطليات مجتمعة ، يكون حين تتفق على رأى معين لغاية معينة . ويسببه تسقط وزارة وتعتمدها أخرى . ويستمر الحال على ذلك حتى تتمكن احدى الاطليات من الحصول على الاغلبية .

والثالث — رأى السالحق ، كثيرا ما يكون نتيجة لانتفاع الشعب حينما ، او لتكاسله في بحث المشكلات المعقدة حينما آخر . غير أن الشعب اذا وصل الى رأى السالحق عن طريق الدرس او البحث بلغ الذروة في هذه الحالة ، ولكن قلما يصل اليها .

والرابع — رأى الجليع ، وهو الرأى الذى تجسع عليه الأمة . ولا يكون ذلك الا في امر يرتكر على ما في الأمة . وهذا الرأى هو الذى اطلقنا عليه فيما سبق اسم « الاتجاه العلم » للأمة . وهو رأى لا يناقش في العادة . واذا تعرض لحد لناقشته عرض نفسه للخطر الحقيقى . ولذلك لا يتعرض له الا كبار المصلحين الذين يضحون بانفسهم من اجل دعوة اصلاحية تتعارض مع تقاليد الأمة . ومن هؤلاء على سبيل المثال قاسم امين . فقد تعرض لموضوع سفور المرأة المصرية ، ولقى في سبيل ذلك من العنت والارهاق ما لا مفر منه لظله في مثل الوقت الذى دعا فيه بهذه الدعوة .

٢ - تقسيم رابع لأنواع الرأى العلم :

من البلحنين من يرى في انواع الرأى العلم انها أربعة وهى :

- ١ — الرأى العلم المحلى .
- ٢ — الرأى العلم الاطلى .
- ٣ — الرأى العلم العالمى .
- ٤ — الرأى العلم النوعى .

وهو تقسيم للرأى العلم على اسس جغرافى . وذلك باستثناء الرأى العلم النوعى .

ولكن هناك ما يسمى بالرأى العلم العالمى كما تقدم :

ان الناظر في تاريخ العلم الحديث يرى ان هناك احداثا عالمية يكون لها آثارها القوية في كثر اجزاء العالم الذى نعيش فيه :

فالتنبؤ الخفية
ومؤتمرات نزع السلاح
ومؤتمرات التعايش السلمى كمؤتمر بلقونج ...
والنزاع العالمى كما صورته الحربان العالميتان الأولى والثانية ...
والكشوف العلمية الباهرة
والآثار الفنية البارزة
والاعمال الأدبية الخالدة
والأزمات الاقتصادية الخلقية
والمذاهب السياسية المتجددة

كل واحد من هذه الأمور هز العالم فى كل جزء من أجزائه هذا عنينا واضحا ، وكان لذلك اثره ايضا عينا يسمى بالرأى العلم العالمى الذى هو رأى الشعوب قبل أن يكون رأى الحكومات .

ويعبر هذا للرأى العلم العالمى عن نفسه بطريق الصحف التى تكتب بلغات متعددة . وبطريق الاذاعات الموجهة الى عديد من الشعوب تتكلم لغات متغايرة . وبهذه الوسائل وأمثالها يتكون للشعوب — بصرف النظر عن الحكومات — رأى علم فى القضايا العالمية التى من أهمها قضية الحرب والسلام .

فلماذا يقصد بالرأى العلم النوعى ؟

المقصود به الرأى العلم الذى يسود بين طائفة أو فئة معينة من الناس فى شعب من الشعوب بالذات ، أو فى مجموعة من الشعوب فى وقت معين ، وذلك بالنسبة لقضية أو أكثر تهم هذه الطائفة أو الفئة ، وتجمع هذه الفئات عادة عدة عوامل عنصرية أو دينية أو طبقية أو اقتصادية أو سياسية أو مذهبية أو ثقافية أو غنية . ومعنى ذلك أن الرأى العلم النوعى إما أن يكون على نطاق محلى أو نطاق إقليمى أو نطاق عالمى (١) .

(١) مختار التهامى : الرأى العلم والحرب النفسية — ص ٧١ — ٧٢ .

الرأى العلم العربى :

وهو مثل من لملة الرأى العلم الاطيمى ، وكذلك ينظر الى الرأى العلم الأمريتى والرأى العلم الأوربى على انها مثالان من أمثلة الرأى العلم الاطيمى الذى هو الرأى السائد بين مجموعة من الشعوب تربط بينها المحلحة المشتركة والتاريخ المشترك والتقاليد والمعتقدات المشتركة واللغة المشتركة والثقافة المشتركة ونحو ذلك .

ومما لا شك فيه أن جميع هذه الاعتبارات السابقة تربط بين البلاد العربية وتجعل منها وحدة لا يمكن انكارها ولا يمكن اضعفها مهما حاول الاستعمار أن يعمل على اضعفها .

ونظن أن الاستعمار أن نسى لا ينسى حادث العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ ، وكيف وقتت البلاد العربية كلها صفا ضد الدول التى اشتركت فى هذا العدوان وهى انجلترا وفرنسا ومعهما اسرائيل .

ونظن أن الاستعمار أن نسى لا ينسى قبل ذلك ثورة الثالث والعشرين من شهر يوليو (تموز) سنة ١٩٥٢ وكيف كان لهذه الثورة أصداء قوية فى اجزاء العالم العربى . ونخص بالذكر منها العراق واليمن . وفيهما انهزمت الملكية والرجعية أمام قوى الجمهورية والتقدم .

ونظن أن الاستعمار أن نسى لا ينسى كذلك الموقف الموحد للبلاد العربية كلها بزاء اسرائيل وقضية فلسطين . ولا شك أن اسرائيل تحصل ألف حساب لهذه الوحدة العربية التى ستختار الوقت الذى تسترجع فيه فلسطين العربية بصفة نهائية ، وتأخذ فى اعداد نفسها اعدادا تالها لهذه الغاية .

(وبعد) فإن تقسيم الرأى العلم الى أنواع يمكن أن تكون له صور كثيرة قد لا نستطيع أن نحصرها أو الوقوف بها عند عدد معين من هذه الصور . وما على الباحث الا أن ينظر الى هذه الصور من زاوية جديدة مد الزوايا التى أشرنا إليها حتى يستطيع أن يستحدث تقسيما جديدا للرأى العلم يضيفه الى هذه التقسيمات الأربعة المذكورة . وفى ذلك ما يؤكد وجود الرأى العلم . وليس فيه ما ينكر وجوده .

الفصل الرابع

عوامل تكوين الرأى العلم

لا نكاد نعرف ظاهرة اجتماعية تتأثر بما حولها من الأشياء كما تتأثر ظاهرة الرأى العلم . ذلك أنه المرآة التى تنعكس عليها صورة المجتمع بكل ما فيه من عقائد وخرافات وتقاليد وعادات وأفكار وآراء وأخبار تلئى من هنا وهناك .

معنى ذلك ان هناك أموراً كثيرة تدخل فى تكوين الرأى العلم ، ولا سبيل الى حصرها فى الحقيقة ، ولكننا نستطيع أن نضع أيدينا على بعض هذه الأمور أو على أهمها وأخطرها فى الحقيقة ومنها ما يلى :

أولاً - الإعلام والدعاية بالوسائل المعروفة قديماً وحديثاً :

وستدرس هذه الوسائل فى فصل آخر . وسنحاول أن نوازن بين هذه الوسائل ، وأن نعرف أصلها لكل بيئة من البيئات ، ولكل مرحلة من المراحل التى تمر بها المجتمعات الانسانية ، وحسبنا أن نعرف منذ الآن أن المقصود بالإعلام أنه عبارة عن تزويد الجماهير بالمعلومات الحقيقية ، والأخبار الصحيحة ، والحقائق الواضحة ، والنتائج المبنية على الأرقام والإحصاءات . ولا يكون الإعلام صحيحاً فى الغالب ما لم يكن مبنيًا على هذه الأسس .

أما الدعاية فحسبنا هنا أن نقول إنها محاولة التأثير فى الجماهير عن طريق عواطفهم ومشاعرهم ، وفى سبيل هذه الغلبة يتخلفى الداعية عن بعض الحقائق الهامة ، والأسس التى تحدثنا عنها ، أو يحدث فيها تحويراً ما يتلو به هذه الأسس بشكل آخر .

ومن هنا كان لابد للإعلام بصورة المختلفة ، والدعاية بأشكالها المختلفة كذلك من أن تؤثر تأثيراً بعيد المدى فى تكوين الرأى العلم . فرجل الإعلام فى سبيل الوصول الى هدفه يشقى كثيراً فى جمع المعلومات الصحيحة

وأجراء الإحصاءات الدقيقة ، مؤيدا كلامه بالحقائق التي لا يأتيها الباطل من بين يديها أو خلفها .

والداعية في سبيل الوصول الى هدفه كذلك يندل الوعود الكاذبة او الصادقة ، وينشر الأخبار التي تموزها الحقبة الكلبة ، ويخاطب في الناس قلوبهم قبل عقولهم ، ويجعلهم يعيشون في احلام لنيزة والفاظ معسولة تترك اثرا كبيرا في قلوبهم وفيما يكونونه لانفسهم من رأى في مسألة من المسائل ، او في محروض من المعروضات .

وقد لا تتبطل الدعاية بجلاء كما تمثلت في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨ . وهي الحرب التي منى فيها العرب بالفشل . كما تمثلت أيضا بجلاء في العدوان الثلاثي على مصر سنة ١٩٥٦ . وهو العدوان الذي انتهى بهزيمة إنجلترا وفرنسا ومعها اسرائيل .

ثانيا - الهيس والشائعات :

والهيس والشائعات من أدوات الدعاية لا الاعلام في اغلب الاوقات ، الا اذا تهامس الناس في الامور الصحيحة التي لا يستطيعون ان يصرحوا بها في الصحف او الاذاعة وغير ذلك .

وهاتان الاداتان الخطيرتان - وهما الهيس والشائعات - تعملان في الواقع على بليلة الاكثار ، والتأثير في الخاصة والعامة من الناس ، وخاصة في الازمات السياسية ولوقت الحرب . وفي الناس ميل الى تصديق الشائعات دون محاولة منهم للوقوف على الحقيقة ، وقد لا يكتفى اُحدهم بتصديق الشائعات حتى يضيف اليها من عنده ، ويأتي بعده من يضيف اليها شيئا آخر وهكذا . وهنا يكن الخطر كل الخطر من الشائعة مهما كانت بسيطة في اول ابرها .

ولكن من اين تتولد الشائعة في الغالب ؟ انها تتولد في الحقيقة من احاديث هذه الحالات :

اولاها - وجود خبر لا اساس له من الصحة .

والثانية - بتلقي خبر لا نصيب له كذلك من المصدق .

والثالثة — المبالغة المقصودة والتزيد الواضح في نقل الخبر على نحو ما شرحنا .

وهناك دوافع أخرى كثيرة تحمل الناس على ترويح الشائعات .
ومنهما :

١ — دافع حب الظهور .

٢ — دافع التسلط .

٣ — ومنها الرغبة في التأييد العاطفى للمذعور من الناس بقصد أن يشاركه الناس فيما يشعر به من قلق أو خوف أو كراهية ونحو ذلك .

وهما يكن من شيء فإن في ترويح الشائعات ما ينفس عن أصحابها ويريحهم كما تفعل الأحلام بالنائم ، فانه يعبر بها أحيانا عن بعض الرغبات المكبوتة في أعماق نفسه ، وهى الرغبات التى عجز عن تحقيقها في اليقظة .

وأكثر ما تنتشر الشائعات — كما قلنا — في أوقات الأزمات وفي وقت الحرب ، وعندما يعود الجنود الجرحى من الميدان . هنا تحرص القيادات الحربية الرشيدة على ألا يعلم الناس بأخبار الجنود الجرحى عند عودتهم من الميادين ، ولذلك ينظم الجيش حركة إرجاعهم الى بلادهم بطريقة سرية . وأكثر ما يكون ذلك في ظلام الليل .

من أجل هذا قلنا أن الشائعات تعتبر من أسهل طرق الدعايات المفرضة أو الدعاية السوداء ومن أشدها أثرا في تحقيق الغرض الذى قامت من أجله . ولا سبيل الى محاربة الدعاية التى من هذا النوع الا بالإعلام الصحيح والوعى الصحيح والدراسة العميقة للرأى العام في وقت ظهور الشائعة . ولا بأس من إشراك المساجد والكنائس والمدارس والجامعات وأماكن التجمعات العامة في محاربة الشائعات الكاذبة ، وذلك فضلا عن الصحف والأذاعة والتلفزيون وغيرها من وسائل الاعلام الملوثة .

ثالثا — الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون ومن إليهم :

وهؤلاء الزعماء والمصلحون في العادة قسيمان :

قسم يسير اتجاهات الأمة ، وقسم يحاول أن يفرض عليها تجديدا .

لم تعرفه من قبل . وكل من هذين النوعين من القادة يؤثر في الرأي العام تأثيرا لا سبيل الى انكاره . وان كان النوع الأول من القادة — وهو النوع المسير لاتجاهات الأمة — أسرع نجاحا وتقوى تأثيرا من النوع الآخر . ذلك أن قوة الفرد دائما تأتي من قوة الجماعة ، وإرادة الفرد انما تقوى بمرادة الجماعة . وهذا هو السبب الذي من أجله ينجح الزعماء السياسيون بأسرع مما ينجح المصلحون الاجتماعيون ، لو قاده الفكر غير السيلسي في الأمة . وآية ذلك أن كلا من سقراط وأفلاطون وأرسطو ، وجاليليو ، ونيوتن ، وقلمس أمين ، ومحمد عبده قد اضطهدوا في العصور التي عاشوا فيها وصبروا على ما أوثوا . ولم تقدرهم العصور التي عاشوا فيها مظلما فترتهم المصور اللاحقة التي رفعتهم الى المنزلة التي كانوا يرجونها في حياتهم . وعلى العكس من ذلك ينجح الزعماء المسيحيون الذين عبروا تعبيرا واضحا عن آراء مجتمعاتهم ، وجاءت آتوالهم صدى لآرائها وانكارها وآمالها ورغباتها .

وفرق آخر بين القيادة السياسية والقيادة الاجتماعية هو أن القيادة السياسية أدنى الى أن تكون ظاهرة جماعية ، وليست ظاهرة فردية . ذلك أنه متى وصل زعيم من الزعماء الى الدرجة التي يصبح بها معبود الجماهير — كما يقول الصحفيون — يصبح أداة قوية في التعبير عن آراء الأمة . واذ ذاك يستطيع الزعيم السيلسي كذلك أن يخلق عددا من الشعارات السياسية التي تتناقلها اللسان وتسهل عليها ، وتكون خلاصة جيدة لخطه هذا الزعيم في قيادة الأمة .

رابعاً — المشكلات اليومية سياسية كانت أم اقتصادية أم اجتماعية :

في حديثنا عن تقسيم الرأي العام الى كلى ومؤقت عرفنا أن هناك رأيا ثابتا للأمة لا يتغير بتغير الأحداث . وهذا الرأي يتدخل في تكوينه عوامل كثيرة من أهمها عامل التراث الحضارى للأمة . وهو ما سنتحدث منه في نهاية هذا الفصل . كما عرفنا أن هناك رأيا عاما لا يثبت على حالة واحدة ، ولكنه يتغير ويتبدل . وهذا الرأي الآخر هو الذى يتدخل في تكوينه العامل الذى نتحدث عنه الآن — وهو عامل المشكلات اليومية سواء كانت سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية .

والذى لا شك فيه ان الحوادث والمشكلات تهز المجتمعات هذا عينا
وتترك فيها آثارا قوية . ولكنها مع ذلك أكثر تتعرض للزوال بزوال الحادثة:
أو المشكلة .

فلهذا العمال في مصنع من المصانع احتجاجا على قلة الأجور
ينتج عنه رأى مؤقت سرعان ما يزول بزوال هذا الاضراب .

غير أن هناك من الحوادث ما يؤثر في الرأى العام تأثيرا طويلا الأجل
رهيب النتائج . فلقضاء على الملكية في العراق نتيجة لثورة ١٤ تموز
سنة ١٩٥٨ ، والقضاء على أسرة حميد الدين وحكم الأمة نتيجة لثورة
اليمين ، والاطاحة بعرض فاروق نتيجة لثورة الثالث والعشرين من يولية
سنة ١٩٥٢ ، كل هذه الحوادث التى جاءت نتيجة للانتفاضات العريضة
القومية ، دامت آثارها مدة طويلة واشتغل لها الرأى العام اشتغالا تها ،
ثم أصبحت هذه الحوادث في ذمة التاريخ ولم يعد الرأى العام العربى
يعنى بها كما فعل بالأمس .

ولا شك أن حادث العنوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ كان من
أروع الأمثلة على هذا الرأى المؤقت . وإن كان قد شغل هذا الرأى واثروا فيه
تأثيرا عيبا وموصولا من حيث الزمن ومن حيث السمة .

خلاصة — التراث الحضارى :

والمقصود بالتراث الحضارى كل ما يحيط الأمة من تجارب سابقة
وخربرات قديمة وتاريخ سياسى وتاريخ ثقافى وتاريخ اجتماعى وتاريخ
ادبى وفنى مر بالأمة . والمعتقدات الدينية تشكل جانباً من هذا التراث .
وربما كانت أهم الجوانب في الحقيقة .

إن التراث الحضارى إذن هو كل موروث من علم وأدب ودين وعرف
وتقليد وحضارة محلية وحضارة معنوية ، وبسبب هذا التراث الحضارى
للأمة يكون استمساكها برأى من الآراء ، أو فكرة أو عادة أو عقيدة
ونحو ذلك .

وكثيرا ما نجد في الكتب التى نتحدث عن الرأى العام أن مؤلفيها

يتجسسون المثل على هذا العليل الآخر - وهو التراث الحضارى - بـ كراهية الأمريكيين للزواج ، واخذهم ببدا التفرقة العنصرية فى القرن العشرين - مصر الديمقراطية والمساواة والحرية - ونعم يقولون ان هذه الكراهية يتغذى بها الطفل الأمريكى فى البيت والمدرسة والجامعة . وعلى ذلك فان هذه الكراهية نتيجة للظروف المحيطة بالمجتمع الأمريكى . وان كان هذا المجتمع فى ذاته من أحدث المجتمعات المعروفة . وكثير من هذا وذلك ان المواطن الأمريكى من البيض يرى ويسمع كل يوم كثيرا من المبررات لهذا الشعور الذى يشعر به ضد الزواج - كما سبقت الإشارة الى ذلك .

ولما كان هذا العليل الآخر - وهو التراث الحضارى - من أخطر العوامل فى تكوين الراى السلم الثلاثى للأمة ، ولما كان الدين عنصرا هاما من عناصر هذا التراث الحضارى لأمة كالأمة العربية ، فلما نرى من العصر ان تحاول الشيوعية غزو الشعوب العربية غزوا مذهبيا على نحو ما فعلت فى بعض البلاد الأوربية والاسنوية . ذلك ان الدين الإسلامى يقف مقبلة كداء ضد الشيوعية ، وفى استطاعته ان يمنعها من الإنتشار داخل البلاد العربية . ويظل الحال على ذلك ما بقيت هذه البلاد محتقطة بالديانة الانسلاية أو الديانة المسيحية . ومن أجل ذلك كان أول عمل قلبت به الشيوعية فى منابها الأصلية - ونعنى بها بلاد السوفيت - عدم النظر الى الدين على أنه مقوم هام من مقومات الحياة الانسانية . ومن ثم اغفل القسطنطينوفسكى ذكر الدين ، فتنسب للشيوعية هناك ان يكون لها هذا الأتظنار والخيوع .

سائسا - التربية والتعليم :

ما لا شك فيه ان للمدرسة والجامعة اكبر الأثر فى تكوين مواطن الصالح فى الأمة . كانت هذه حقيقة لا سبيل الى انكارها فى العهود الماضية ؛ وهى حقيقة لا نزاع حولها فى العصر الذى نعيش فيه .

غير ان عمل المدرسة فى الواقع هو نقل التراث الثقافى للأمة من جيل الى آخر . اما عمل الجامعة فى حقيقته فهو تكوين شخصيات الطلاب (م ٣ من الاعلام والفعالية)

من التلاحية العقلية البحتة . وإذا كان للتربية والتعليم كل هذا الخطر في تكوين العقول وتوجيه الرأي العام أصبح على الدولة أن تعنى بأمر التربية والتعليم لتشكيل العقول من جانب ، ولإيجاد الوحدة الفكرية بين أبناء الأمة الواحدة من جانب آخر ، وربط التعليم بالاجتمع والتعاون معه آخر الأمر .
جاء في الميثاق :

« ان حرية العلم التي كان في مقدورها أن تفتح طلائع جديدة للامم
عرضت هي الأخرى لنفس العبث تحت حكم الديمقراطية الرجعية » .
« ان أجيالا متعاقبة من شباب مصر قرأت تاريخها الوطني على غير
حقيقته... ان الأجيال المتعاقبة من شباب مصر انتظمت في سلك المدارس
والجامعات . وكان الهدف من وراء التعليم كله لا يزيد من اخراج موظفين
يعملون للنظمة القائمة ، وفي ظل قوانينها ولوائحها التي لا تلبه بمصالح
الشعب » .

« ان تحالف الاتباع والرجعية الحاكمة لم يكف بذلك . وإنما باشر
ضغطه على جماعات كثيرة من المثقفين كان في استطاعتها ان تكون ضمن
الطلائع الثورية ، فكسر مقاومتها وفرض عليها أن تستسلم لأغراء ما يلتقي
اليها من نفقات الامتيازات الطبقية ، أو أن تذهب الى الانزواء والنسيان » .

سلبا — الأوضاع القائمة ~~التي~~ :

سواء كانت هذه الأوضاع سياسية أم اقتصادية أم اجتماعية ونحو
ذلك . وما لا شك فيه ان هذه الأوضاع على اختلافها تترك آثارها في
تكوين الرأي العام . فالفرق كبير بين النظام الدكتاتوري والاستبدادي
والنظام الديموقراطي والاشتراكي . في الحالة الاولى يميل الحكم الى
التسلسل وعدم السماح للمحكومين بإبداء رأيهم في المشكلات العامة . وفي
الحالة الثانية يوجب الحكم على نفسه ان يشرك معه المواطنين في كل
المشكلات القائمة ويجيز لهم إبداء الرأي .

ومثل ذلك يقال في الفرق بين الأمة التي تلتزم بنظام الأحزاب
السياسية المتنازعة ، والأمة التي تريح نفسها من هذا النظام في مرحلة من
مراحل حياتها — هي المرحلة الانتقالية — كما سيأتى شرح ذلك بمسود .

نلرأى العام فى حالة وجود الأحزاب يبدو ضعيفا الى حد ما . والرأى العام فى الحالة الثانية يبدو للناس قويا وكثمة قد حظى بصفة الاجماع .

هذا من حيث الوضع السياسى للأمة . أما من حيث الوضع الاقتصادى « فالجوع — كما يقولون — مرشد سوء للشعوب . والشعب الجائع لا يمكنه ابدا ان يستخدم العقل وان يقتنع بالمتطق . ولا مفر له من ان يكون لقمة مسكفة فى ايدى محترقى السياسة الذين يستطيعون ان ينحرموا انحرافا خطيرا به وبمثله الأخلاقية وبيادنه الإنسانية ومصلحه الحقيقية » .

ولا يكاد التاريخ يحفظ مثلا واضحا من الأمثلة على ذلك أكثر من نجاح الحزب النازى فى انتخابات عام ١٩٣٠ بالمانيا حيث استطاع هذا الحزب ان يستحوذ على أصوات سبعة ملايين من العمال المتطلعين كثيرا بطبيعة الحال ناهضين على الوضع الاقتصادى فى ذلك الوقت .

الفصل الخامس

دور الصحافة في تكوين الرأي العام

قبل الخوض في موضوع دور الصحافة في تكوين الرأي العام يجب أن نأخذ بنظر الاعتبار أن الأمر هنا هو أن الصحافة في عصرنا هذا لها معنيان : ...

معنى ضيق ومعنى واسع . والمقصود بالأول — وهو المعنى الضيق — الصحيفة والمجلات والنشرات ونحو ذلك . والمقصود بالثاني — وهو المعنى الواسع — جميع وسائل الاعلام المعروفة في وقتنا الحاضر ، كالاذاعة والتلفزيون والسينما والمسرح والنوثة والمؤتمر الصحفي والمعرض فضلا عن الصحافة .

ونتظر الديمقراطية الحديثة الى الصحافة بهذا المعنى الواسع على أنها « السلطة الرابعة » في الأمة الى جانب السلطات الثلاثة المعروفة ؛ وهي السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية . وترى الديمقراطية الحديثة في هذه السلطة الرابعة أنها شديدة التأثير في الرأي العام .

ومن أجل ذلك حرصت الديمقراطيات الحديثة — أو قل أظهرت حرصها مرارا على حرية الصحافة في حدود الصالح العام .

صحيح ما يقال عن الرأي العام أنه محكمة ليست بذات سلطة قضائية . ولكنها مع ذلك مرهوبة الجنب من الحاكم والمحكوم في وقت مما .

وليبي الرأي العام استفتاء بالمعنى المقصود من هذه الكلمة . بل هو الرأي المتناقل بين الناس إما عن طريق الشائعات أو الهيس أو عن طريق الكتابات والمنشورات العلنية ونحو ذلك .

إن الرأي العام لا يتألف من الآراء الخاصة أو الآراء الفردية . ولكن يتألف من المناقشات والجدل بين الأفراد ويكون ثمرة لها . وغالبا ما

ينتهى الجدل بأن يسود رأى واحد لفرد واحد أو لأفراد قليلين على بقية الأفراد ويظهر بالأغلبية . ولابد في الرأى العلم أو الإعلام من وجود طرفين أو عنصرين هما عنصر المرسل (بكسر السين) وعنصر المستقبل (بكسر الباء) . الأول هو الوسيلة الاعلامية التى تنقل المعلومات أو الأخبار الى القارئ أو السامع . والثانى - المستقبل - هو القارئ أو السامع سواء كان فردا أو جماعة . ويختلف الأفراد بعضهم عن بعض في استقبال المعلومات . لأنهم يختلفون من حيث أمزجتهم وقواهم العقلية وطريقة تفكيرهم للأشياء . ومن التأثير المتبادل بين المرسل والمستقبل يتكون الرأى في العادة . ويسمى الحديث عن عناصر الإعلام عندما نتكلم عن الإعلام بعد الفراغ من الكلام عن الرأى العلم .

ههنا بذلك الحديث للكلام عن دور الصحف في تكوين الرأى العلم .

من الخطأ أن نعتقد أولا أن الصحافة هي وعديا ستأخذ الرأى العلم في الأمة . فالأصح من ذلك أن يقال أن الصحف تؤثر في الرأى العلم وتتأثر به في نفس الوقت . وبعبارة أخرى أن الصحف تقود الرأى العلم وتتقاده له . ولكن ذلك لا ينفي أن الصحف ما زالت الى الآن تعتبر من أقوى وسائل الإعلام ، ومن أئدها على تكوين الرأى العلم .

فما هي الطريقة التى تؤثر بها الصحافة في الرأى العلم عادة ؟

تؤثر الصحيفة في الرأى العلم عن طريق الخبر طارة ، والتطبيق أو الممود تارة ، وعن طريق الأحاديث والتحقيقات الصحفية تارة أخرى ، وعن طريق الاعلان والصور والرسوم الكليكترونية آخر الأثر .

أما من جهة الأخبار :

فينبغى للصحيفة التى تريد التأثير في الرأى العلم وتحسين دأئته على احترامها لها والفتة في أخبارها أن تجزى في سبيلتها الاخبارية على النحو التالي :

أولا - يجب أن تتوخى الصحة للفتة في نشر الخبر . فذلك في الخبر هو الغذاء الرئيس للصحيفة . وبدونه لا يكون هناك وجود للرأى العلم .

الذى تؤثر فيه الصحيفة . غير أن الخطأ الكبير الذى تقع فيه الصحف هي الميل تحيلاً الى تحريف الأخبار . وقد يتبالغ بعض الصحف في هذا التحريف فتجعل منه تزييفاً للخبر . وفي ذلك يكن الخطر كل الخطر على الصحيفة من جهة ، وعلى القارئ من جهة ثانية .

إن أول ما ينبغي أن يحفظه الصحفي من المبادئ هو المبدأ القائل بأن (الخبر ليس ملكاً للصحيفة ، وليس ملكاً للرأى العام ولكنه ملك لـ نقط الحقيقة) .

ومعنى ذلك أن الصحيفة ليست حرة في أن تنشر الخبر بالطريقة التى تطلو لها . ولكنها مقيدة بتحرى الصديق والصحة والأمانة والنزاهة في نشر الأخبار .

والصحيفة بعد نشر الخبر حرة في شئ آخر هو : —

ثانياً — التطبيق على الأخبار بما يتفق وسياستها . وبما يعين القارئ في الوقت نفسه على تكوين رأى له في هذا الخبر .

ثالثاً — أن تتابع الأخبار بعد الفراغ من نشرها والتعليق عليها . فمن طريق هذا التتابع يصبح الخبر متكاملًا في نظر القارئ . والمهم أن التتبع في أى ولجب من هذه الواجبات الثلاثة في معالجة الصحف للأخبار يقل كثيراً من قيمتها وقدرتها على التأثير في الرأى العام ؛ بل يقضى قضاء تاماً على قيمتها . وخاصة عندما تلجأ الصحيفة لعرض من الأغراض الى العبث بالخبر بصورة من الصور .

وأما من حيث العمود والمحدث والتحقيق :

فمحمود أن المبدأ الإبتدئى في كل صحيفة من الصحف هو (المنبر) الخاص بها . ومن على هذا المنبر الخاص تتحدث الصحيفة الى قرائها ، وتؤثر في أفكارهم وميولهم بالطريقة الخاصة بها . وللصحيفة — كما قلنا — مطلبان الضرورى في كتابة العمود أو الزاوية الصحفية . ولابد أن تكون في كتابة هذا العمود أو التعليق مسيطرة للسياسة التى تميزها عن سائر الصحف . وفي وسع الصحيفة أن تحصل من طريق الأعمدة الى ما تصبو اليه

من النفوذ الاعلامى والسيطرة على جمهور القراء ؛ حتى ولو لم تكن هذه
الصحيفة مستندة الى حزب من الأحزاب او هيئة من الهيئات او قسوة من
هوى الحكيم .

وأما من حيث الصور والرسوم :

فعلينا نعتد الصحافة الحديثة أيضا في التأثير في الرأي العام . ذلك
ان الصورة — كما يقول المعلنون — تفتى عن عشرة آلاف كلمة . وكذلك
الرسوم الكاريكاتورية تعتبر هي الأخرى سلاحا قويا من اسلحة الصحافة
الحديثة . فان رسما واحدا من هذا النوع يشيع جوا من السخط على شيء
معين او رجل معين ، كما ينشر المسخرية منه أو الرضا عنه وهو ما
لا تستطيع فنون القول كلها أن تفعله الا بجهد جهيد .

واذا كان هناك فرق واضح بين الصحف وغيرها من وسائل الاعلام
المعروفة فان هذا الفرق يتنى من ناحية الرسوم الكاريكاتورية . والفرق
بينها وبين الصور الفوتوغرافية (أو الشمسية) ان هذه الأخيرة عندما تنقل
الخبر أو الحدث تلتقط لحظة واحدة من لحظاته . أما الكاريكاتور فنقله
لا ينقل شيئا من ذلك ؛ وانما يراد به دائما نقد شخص من الأشخاص أو
فكرة من الأفكار أو رأى من الآراء أو سياسة معينة أو اتجاه معين ونحو
ذلك (١) .

صحافة الخبر وصحافة الرأي :

الصحف نومان : صحف الخبر وصحف الرأي . فالأولى — تهتم
بالأخبار قبل كل شيء وتغرى بها القارئ وتجذب الى قرايتها . وهى لذلك
أوسع انتشاراً وأضخم توزيعاً من صحف الرأي .

والثانية — تعتنق رأياً أو مذهباً من المذاهب السياسية أو الاجتماعية؛
وتدافع عن هذا المذهب ما وسعها الدفاع . وأما الأخيرة فليست فلية في
ذاتها عند هذا النوع من الصحف . فلا تنشر منها غالباً الا ما يتفق وهذا

المذهب الذئى تفود عنه وتلقظ نفسها بشرحه . ولذلك فإن هذا التسوع
الأخر من الصنف لقل انتشارا من النوع الأول ، إذ أن هراء صيغ
الرأى قليلون فى كل أمة . ولكن صنف الرأى مع ذلك هى الوجهة
الحقيقية للرأى العلم . والدليل على ذلك أن صحيفة التيمس اللندنية — على
ضيق انتشارها — تؤثر تأثيرا بعيد المدى فى سياسة الحكومة البريطانية ،
واتجاهات الشعب البريطانى .

والمجلات والكتب والنشرات الدورية تطعب هى الأخرى دورا خطيرا
فى تكوين الرأى العلم . ذلك أن المجلة أوسع جدرا من الجريدة لقبول
البحوث السياسية والاجتماعية والاقتصادية ، ولقبيل من الجريدة لنشر
التحقيقات الصحفية التى قد لا تتسع لها الصحف اليومية . والمجلة لديها
وقت أوسع لهذه المواد الصحفية من الجريدة . ومحروها لكثرا أثناء وأعمق
تكريا من جبرى الجريدة . ولها المجلة فرصة من نوع آخر ؛ هى
اعادة النظر فى كل ما تنشره الصحف وعرضه على انفراد بصورة جديدة .
ومن هنا تنف المجلة فى مكان وسط بين الجريدة من ناحية والكتاب من
ناحية أخرى . فالكتاب ضخم يحتلج فى قراءته الى زمن طويل وعناء كبير .
والجريدة أدنى الى الإيجاز والى السرعة . أما المجلة فأنها تجمع بين
الخصائص التى للجريدة والخصائص التى للكتاب فى وقت معا . ومن هنا
كانت لها أهميتها الكبرى وتأثيرها القوى فى تكوين الرأى العلم ؛ وخاصة
عند الطبقة المثقفة من طبقات الأمة .

الصحافة الصفراء :

ونريد فى نهاية الكلام من اثر الصحف فى تكوين الرأى العلم أن
نلفت النظر الى الخطر الكبير الذى ينجم معا يسمى بالصحافة الصفراء ،
ونعنى بها الصحافة التى تؤثر الخبر على القائل . والتى تعنى من الأخبار
بما يتصل بالجنس والجريمة بنوع خاص . فهذا النوع من الصحافة يقوم
على مبدأ الإثارة ، ويجد له عددا كبيرا جدا من القراء فى كل بلد من البلاد .
ولكنه فى نفس الوقت يعتبر نوعا من السم الذى ديف فى السهل . وتجاهد
الأم فى الوقت الحاضر جهادا كبيرا فى سبيل التخفيف على الأتيل من
التأثيرات السيئة لهذه الصحافة الصفراء التى تهجد كيان المجتمع وتفسح

بالكثير من امراة الى الاتحراف . وذلك فضلا عما تسببه هذه الصحافة الصفراء من ضرر كبير بالحكومات لانها لا تعنى بغير الاخير الهشبة او التفاهة التى تضجيع وقت القراء ولا تعود بلية فائدة على المجتمع . والصحافة الصفراء تصرف نظر القراء كذلك عن العناية بالأمور الجادة والمشروعات المفيدة والآراء والانتكار النفعية ونحو ذلك .

الرأى العلم وحرية الصحافة

يتأذى الكتاب والمصحفون دائما بحرية الصحافة . والواقع ان صحافة بلا حرية لا فائدة منها للمجتمع . اذ ان الكاتب المقيد قلما يقدم لمواطنيه افكارا سليمة او آراء نفعية . غير ان حرية الصحافة مع ذلك مهددة فى الدول الرأسمالية والدول الشيوعية بأخطار كبيرة . ففى الدول الرأسمالية نجد ان حرية الصحافة تستحيل الى حرية ليس لها من الحقيقة مير الاسم . وذلك عندما تسيطر المصالح الرأسمالية على الصحف سيطرة كبيرة . وذلك ايضا عندما يضع رجال المال او رجال السياسة او رجال الحكومة ايديهم على الصحف باسم حرية الصحافة . وطريق رجال المال الى ذلك هو (الاعلانات) التى لا تستطيع الصحف ان تعيش بدونها بحال ما . وذلك ان الاعلانات تشكل ما لا يقل عن ٦٠ ٪ من أرباح الصحيفة . ويبقى الأرباح وقدرها ٤٠ ٪ تاتى من التوزيع .

ولسيطرة رأس المال على اجهزة الاعلام نتائجها المعروفة ووسائلها التى اصبح لا يجهلها احد من الناس . ان اصحاب رؤوس الأموال يستطيعون تنظيم الحملات السياسية عن طريق الدعاية والصحف . وعن طريق هذه الحملات يحصلون على الحكومات التى تكثر بأوامرهم ، وتعمل لأرضائهم . وأما الحكومات التى ترفض عمل شيء من ذلك فان نصيبها الفشل والهزيمة أمام الرأى العلم حتى تخضع خضوعا تاما لسيطرة رأس المال . وهذا ما يحدث فى الدول الرأسمالية كأمريكا . وأما الدول الشيوعية فيبدو ان حرية الصحافة ليس لها وجود فعلي فيها . برغم ان دستور هذه الدول تنص على وجودها . فالصحف فى الاتحاد السوفيتي — وغيره وجيهه التتيل — لا تعدو ان تكون اداة طيعة فى يد (الحزب الواحد) يحررها كيف

يُشاء ، ولا يكاد يدع لها حرية ما في إبداء رأى أو توجيه نقد أو رسم خطة
لا يرضى عنها الحزب .

(والخلاصة) أنه لا وجود لحرية الصحافة الا في مجتمع ديمقراطى
يستطيع النخاض من سيطرة رأس المال ومن سيطرة الحكام . وابن هذا
المجتمع الديمقراطى بهذا المعنى ! الواقع أنه لا وجود له .

معنى ذلك أن الحرية الصحفية مفقودة . ولكن أصبح من ذلك أن
يقال أنها موجودة بقيود . وستدرس في باب الاعلام من أبواب هذا الكتاب
ما هى الحكمة من هذه القيود التى تقيد بها الصحافة . وما نوع هذه القيود
فى كل وضع من الأوضاع الحكومية فى العالم قديما وحديثا .

قياس الرأى العام :

لقياس الرأى العام طرق كثيرة عند علماء الاجتماع ينتفعون بها كثيرا
فى دراستهم الخاصة بالمجتمع . ومنها طريقة الاستفتاء Questionaire
وهى عبارة عن مجموعة من الاسئلة مرتبة بطريقة معينة حول مسألة معينة
يراد محسرة اتجاه الرأى العام فيها معرفة دقيقة بقدر
المستطاع . ويجمع صاحب الاستفتاء كل الاجابات الممكنة من الأفراد الذين
أجرى عليهم الاستفتاء ، ثم يعمد بعد ذلك الى تفرغ هذه الاجابات فى
جداول تساعد للوصول الى نتيجة قريبة من الصواب ، او حكم هو اقرب
ما يكون للصحة .

ومنها - أى من الطرق التى يمارسها علماء الاجتماع فى قياس الرأى
العام طريقة المسح Survey Method وتقوم على تجميع منظم لأكبر قدر
ممكن من المعلومات لمعرفة الرأى العام للمجتمع فى مشكلة ما ؛ سواء كان
هذا الرأى ظاهرا أو فى حالة كمن أو اختفاء . ويلجأ أصحاب هذه الطريقة
فى جمع المعلومات - بالإضافة الى المقابلات الشخصية والمحفلات - الى
الوسائل الاعلامية المعروفة كالصحف والأذاعة ، ويلتخون من هذه الوسائل
الاعلامية المختلفة أكبر قدر ممكن من المواد التى تعبر عن الاتجاهات السائدة
فى المجتمع .

والفرق بين الاستفتاء والمسح هو ان الاستفتاء يكون حول موضوع واحد بالذات . اما المسح فيتسع لموضوعات عديدة في وقت واحد . ولذلك تتعدد وسائل المسح وتنوع ؛ فيكون منها المقابلات الشخصية والملاحظات ، وتكون منها الصحف والاذاعة . ويكون منها كذلك ملاحظة سلوك الناس عند اجابتهم عن سؤال بعينه ، او اعراضهم عن الاجابة جلة واحدة وهكذا غير ان الطريقتين السليقتين لقياس الراى العلم — وهما طريقة الاستفتاء وطريقة المسح — من الأمور التي تخص البحث الاجتماعى . وله نيهما دراسات طويلة وأصيلة لا تعنينا الآن . ولكن تعنينا هنا طريقة ثلاثة يمكن بها قياس الراى العلم اعتمادا على الوسائل الاعلامية وحدها . هي :

طريقة تحليل المضمون :

ونرجع الأهمية التي لهذه الطريقة في نظر رجل الاعلام الى انها تساعد دائما على معرفة اتجاهات الراى العلم العالمى بالذات . وهو الراى الذى تهتم به الحكومات ، وترى من الضرورى لها ان تتقف عليه دائما . وبمقدار علمها بهذا الراى العلم العالمى يكون نجاحها دائما في رسم سياستها الخارجية . والذي لا مرأ فيه ان كلا من طريقة الاستفتاء وطريقة المسح لا تساعد على دراسة اتجاه الراى العلم ، ولا تسهل ممارستها من أجل هذه الغاية ، ولذلك يعتمد رجل الاعلام للوقوف على هذا الراى العالمى على الصحف والمجلات والكتب والنشرات وبرامج الاذاعة والتلفزيون وغيرها من الوسائل المؤثرة في اتجاه الشعب . وذلك كله على أساس من القاعدة التي اشرنا اليها من قبل ، وهى القاعدة التي تقول بأن وسائل الاعلام تؤثر في المجتمع ، وتتأثر به ، وتقود هذا المجتمع وتقاد له .

نعم — ان من الصحف والاذاعات ما يخضع لتأثير بعض الأفراد أو الهيئات أو الحكومات ؛ بحيث يمكن أن يقال أنها لا تملك الحرية الاعلامية كالتي تتمتع بها في البلاد الديمقراطية بنوع خاص . ولكن هذه الوسائل الاعلامية المختلفة هي وحدها المعبرة عن الراى العلم في مسألة من المسائل .

الخارجية لا الداخلية . وليس للشعب وسيلة غيرها في التعبير عن هذا الرأي .

انتظر مثلا الى بلاد ديمقراطية كأمريكا وانظر الى موقف الصحافة والاذاعة فيها بالنسبة لقضية فلسطين . ان الصحافة والاذاعة في تلك القارة تخضعان خضوعا تليا لسيطرة الرأسمالية الصهيونية . ولذلك أصبح من المستحيل على الشعب الأمريكي ان يفهم قضية فلسطين من وجهة النظر العربية ، كل ذلك برغم ان الدعاية الصهيونية انما توجه اكبر جزء من جهودها الى اللغة القليلة المؤثرة في الرأي العام . وكل ذلك برغم ما حدث في ٢٢ مايو (ايار) سنة ١٩٦٣ من ان لجنة الشؤون الخارجية بـ مجلس الشيوخ الأمريكي برئاسة (وليم فولبرايت) اجرت تحقيقا في ادعاءات الصهيونية كشفت به عن مدى الواسل التي تسلكها هذه الدعاية للتأثير في الشعب الأمريكي ، ووصلت الي حقيقتها وكان من نتيجة ذلك ان وجدت صحيفة أمريكية مثل السيدة (دورثي طومسون) آمنت بقضية اللاجئين العرب ، ودافعت عنهم .

نقول : بالرغم من هذا كله فلكل منهما ذهبت تحلل مضمون المقالات الصحفية والاذاعية الأمريكية فلن تجد فيها غير رأي واحد فقط ، هو الاقتناع العام بصحق اسرائيل في دعواها وبتجريم العرب .

واليك مثلا لقياس الرأي العام من خلال وسيلة من وسائل الاعلام هي وسيلة الخطبة ، وهي لا تقل خطرا عن وسيلة الاذاعة او الصحافة .

اقرأ معي مقالا للمعلق السياسي توم ليل Tom Lill في وصف الخطبة التاريخية التي القاها الرئيس جمال عبدالناصر في ٢٦ يوليو (تموز) سنة ١٩٥٦ واعلن فيها قرار تلقيم قناة السويس . وهنا يقول المعلق السياسي :

« لقد لقي الرئيس خطابا مطولا كشف فيه للمرة الاولى عن قدرته الخطبية البالغة الاثر في نفوس الجماهير . لقد لهب المشاعر الوطنية واطلق ضحكات الشعب وبخريفته المرة وهو يتحدث عن الدول الغربية بالزبداء وجراة لم يسيته اليها زعيم من زعماء الشرق الاوسط .

ولقد أضحت اليه الجماهير بأعصاب متوترة ووجوه مبهورة . وقد خيم عليها صمت عميق . بينما كان الملايين من الناس يلتفون حول أجهزة الراديو يستمعون منها الى خطاب الرئيس وهو يصف كيف أخذت حقوق مصر في القناة ، وكيف أن هذه القناة مصرية ؛ شقت بأيدي مصرية وأموال مصرية ، وكيف أنها قامت على جملهم عشرة آلاف من الضحايا المصريين الذين ماتوا وهم يعملون في شقتها . ومع هذا فقد ظل حملة الأسهم في شركة قناة السويس سنة بعد أخرى يأخضون أرباحهم بالملايين ؛ بينما مصر صاحبة الحق الأكبر من هذه الأموال لا تنال منها الا القدر اليسير .

« ونجاة التي عبد الناصر فتيلة مدوية وذلك حين قال أن هذا الاستعمار التعسفي قد انتهى الى غير رجعة ، وأن حكومة الثورة قررت تأميم قناة السويس ، وسنبني سد أسوان من أرباح القناة » .

هنا انطلق زئير من الهتافات الشعبية . واشتعلت الأبدان كلها من شدة الفرح . وكبر الشعب وهال . بل ان الكثير من قصوم الثورة استكبرهم هذه الفرحة » .

افترض أنك تقرا معي هذا المقال الذي كتبه المعلق السياسي (توم لابل) فأنت تلاحظ أنه يتضمن الحقائق التالية :

أولاً - ان المعلق السياسي كان شديد التحمس للحركة التي أمتت القناة ؛ حتى يشعر القارئ أن هذا المعلق كان واحداً من الشعب المصري أو من الجبهور الذي استمع الى هذه الخطبة التاريخية .

ثانياً - ان المقال فيه تأييد تام للفكرة التي نادى بها الرئيس جمال عبد الناصر وهي فكرة تأميم القناة .

ثالثاً - ان المقال لم يقف عند وصف الخطبة التاريخية للرئيس جمال عبد الناصر ، ولكنه وصف كذلك شعور الأمة المصرية كلها تجاه هذه الخطبة . وأشار الى أن خصوم الثورة انصدم استكبرهم الفرحة .

والله اعلم ان المقال لا يعتبر بفلك من المقالات المأروسة لسياسة جمال عبد الناصر بحال بين الأجوال . مع أنه مما لا شك فيه أن المقالات المنشورة

لفكرة تليم القضاة كثرت أكثر من المقالات المؤيدة لها . وأوضح ما ظهر ذلك في صفح كل من انجلترا وفرنسا .

ويستطيع الباحث المصطفى بعد ذلك ان يجمع المقالات التي كتبت في موضوع تليم القضاة ؛ وذلك في سقر الصحف التي تعرضت لهذا الموضوع في أكثر أنحاء العالم . كما يستطيع الباحث المصطفى كذلك ان يتعقب النشرات والكتب التي تعرضت لنفس الموضوع ، وأن يجمع الخطب والاحاديث التي تناولته من قريب أو بعيد . وأن يقسم كل هذه المادة التي جمعها ثلاثة أقسام : مؤيد ، ومعارض ، ومحيد . وعليه كذلك ان يأخذ في الاعتبار درجة التوزيع لكل صحيفة أو نشرة أو كتاب ، وبمقدار الشهرة التي لكل شخصية تحدثت عن مشروع تليم القضاة .

وعليه في نهاية الأمر ان يجمع المؤيدين وحدهم ، والمعارضين وحدهم ، والمحايدين وحدهم على أساس من عدد الأفراد الذين سيبتكرون بهذه الصحيفة أو النشرة أو الكتاب أو الحديث الأذاعي أو المشاهد التلفزيونية . ويوصل من كل ذلك الى نتيجة من النتائج : فيقول : — مثلا — عن الصحف ان أكثريتها مؤيدة : وأما الإذاعة فمعارضة ، وأما الكتب فمحايدة . وهكذا .

وأخيرا يقوم الباحث المصطفى بتقريغ جميع هذه المعلومات التي جمعها — من سيرة عبد الناصر ، وذلك في جداول منها :

أولاً — جدول يوضح اتجاهات الرأي العام العالمي في موضوع سيرة عبد الناصر كما وصفها الجرائد العالمية . وذلك عن طريق احصاء جميع المقالات المؤيدة والمقالات المعارضة والمقالات المحايدة كما سبق ان ذكرنا .

ثانياً — جدول يبين النسب المئوية لتكرار المقالات التي نشرت في الصحف العالمية لتأييداً لسيرة عبد الناصر .

ثالثاً — جدول يبين النسب المئوية لتكرار المقالات التي كتبت تنقدها فيها الصحف العالمية هذه السيرة .

رابعاً — جدونَ يبين النسب المثوية لتكرار المقالات أو الموضوعات التي كانت محليدة بالنسبة الى سياسة عبد الناصر. وهكذا .

وبهذه الطريقة يستطيع رجل الاعلام أن يؤلف لنفسه صورة دقيقة عن الراى العام العالى بالنسبة لسياسة عبد الناصر ، وإن يضع لنفسه خطة اعلامية تجاه هذه الدول أو الشعوب يستطيع أن يخدم بها — متى أراد — سياسة هذا الزعيم .

الفصل السادس

دور الإذاعة والتلفزيون والسينما

في تكوين الرأي العام

لاريب ان الإذاعة قوة من قوى العالم الحديث وأنها وسيلة من وسائل الاعلام الهللة في الوقت الحاضر . وتستطيع أن تلعب أخطر الأدوار في تكوين الرأي العام . ولكن دون ذلك صعب كثيرة يجب التغلب عليها . وقد أتت هذه الصعاب من خطورة المراحل التي يمر بها الخبر الإذاعي من حيث هو . فهناك مرحلة جمع الأخبار ، وهناك مرحلة اختيار الملائم من هذه الأخبار ، وهناك مرحلة الطريقة التي تقدم بها الأخبار ، وهناك مشكلة اختيار الوقت المناسب لإذاعة الأخبار ، وهناك مشكلة الأسلوب الذي يكتب به الخبر الإذاعي ، وهناك امر يتصل بلهجة المذيع وظروف المستمع ونحو ذلك . غير أن هذه الصعاب كلها تهون أمام الصعوبة الحقيقية . ونعني بها (موضوعية الاعلام الإذاعي) ومعللة هذا الخبر على أساس من الموضوعية الصحيحة فالخبر في ذاته يجب ان يتمتع دائما (بالقدسية) عندما تتمهدينشره وسيلة من وسائل الاعلام المعروفة في الوقت الحاضر . ومن أهمها في الواقع وسيلة الصحف ووسيلة الإذاعة .

غير ان (موضوعية الاعلام) لا يمكن ممارستها الا بشرط واحد فقط هو « الحرية الصحفية أو الاعلامية » . فهل تستطيع صحيفة من الصحف او محطة من محطات الإذاعة في عالم اليوم ان تحظى بقدر كاف من الحرية يساعدها على هذه الموضوعية ؟

يقولون في الاجابة عن هذا السؤال « ليست هناك صحيفة او إذاعة تافرة على ممارسة الموضوعية الصحيحة في الوقت الحاضر » . ولا يستثنى من ذلك غير بعض الصحف البريطانية ومعها الإذاعة البريطانية . ففي بريطانيا تستطيع محطة الإذاعة توزيع أوقات الكلام بين الأحزاب بالأسلوى ؛ وذلك أثناء المعارك الانتخابية .

وفي بريطانيا كذلك تستطيع الاذاعة — كما يقال — ان تميز تمييزا واضحا بين الخبر في ذاته من ناحية والتعليق من ناحية ثلثية . فلما الخبر ناتجا تحرص على نشره بدون تحريف . ولما التعليق ناتجا تمارس فيه كل حريتها ، وتبنى عليه كل ما تريد ان تبنيه من النتائج . لذلك ينظر الانكليزي الى الاذاعة البريطانية على انها برلمان مستقل بذاته عن البرلمان الانكليزي المعروف . والبرلمان في بلاد الانجليز هو المكان المقدس لمناقشة القضايا السياسية وغير السياسية . والاذاعة البريطانية في نظر الانكليز تستطيع ان تتنافس البرلمان الانكليزي في جميع المجالات .

« الاذاعة البريطانية بقول مختصر موضوعية في الاعلام ، منصنة في توزيع اوقات الكلام على الأحزاب في ادوار الصراع الانتخابي غير موجهة بقدر المستطاع بميول الحزب الحاكم حينما يتولى الحكم » (١) .

وندع الكلام عن الفرق بين الاذاعة او الاعلام الانكليزي والاذاعة او الاعلام غير الانكليزي الى للفرصة التي سوف يبحث فيها (الاعلام) في ذاته بعد الفراغ من الكلام عن (الرأي العام) في ذاته .

هذا هو مجمل الكلام عن الصعوبة الأخيرة من المعاليل التي تواجه الاذاعة ، وهي هنا « صعوبة الموضوعية » .

ولكن كيف تؤثر الاذاعة في الرأي العام عادة ؟ .

ان ذلك يكون عن طريق الخبر ، ثم التعليق على الخبر ، وعن طريق الصحيفة الناطقة (أو مجلة الهواء) ، وعن طريق الاحاديث الاذاعية ، والنفوات الاذاعية والمرحيات الاذاعية ، وعن طريق البيئات الرسمية ، واحاديث الحكام في شرح الأسس التي يبنون عليها سياساتهم الرسمية ، ووجهة نظرهم في السياسة الداخلية أو السياسة الخارجية ونحو ذلك .

فلما الخبر والتعليق على الخبر فقد تحدثنا عنهما في الكلام من الصحيفة باعتبارها وسيلة اعلامية في غاية الخطورة . وما ينطبق على الصحف والمجلات ينطبق تماما على الاذاعة من هذه الناحية .

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ، ص ٢٤٢ .

وأما الصحف الناطقة « ومجلات الهواء » فهي متنوعة كل التنوع ، وهي شبيهة في ذلك بالصحف أو المجلات المتخصصة . فهناك مجلة زراعية وأخرى صناعية وثالثة اقتصادية ورابعة اجتماعية وخامسة فنية وسادسة دينية وسابعة نسائية وثامنة عمالية ... الخ . ومثل هذا التنوع يمكن أن نجد له نظيرا في (مجلات الهواء) أو الصحف الناطقة على السواء .

وليست الأحاديث الإذاعية والمسرحيات الإذاعية والندوات بحاجة إلى بيان قدرتها على التأثير في الرأي العام أو الإنكار العلمية .

أما الذي يحتاج منا إلى الشرح فهو تحديث الحكم في الإذاعة والتلفزيون . وهذا ما يدعونا إلى الكلام عن :

الإذاعة والحكم :

أثر عن بول فاليري أنه قال في وصف السياسة :

« لقد ظلت السياسة زمنا طويلا وهي عبارة عن فن منع الناس من الدخول فيما لا يهمهم . أما الآن فقد أصبح للسياسة معنى آخر هو فن تعريف الناس بالأمور التي يجهلونها » (١) .

وعلى فلك وظيفة الإذاعة في البلاد الديمقراطية هي تعليم الناس ما ينبغي لهم أن يتعلموه ليحسنوا الإجابة عن الأسئلة التي يطرحها النظام الديمقراطي . ووظيفتها كذلك مد المستمعين بجميع المعلومات الضرورية لمعرفة المشكلات التي يواجهونها .. ووظيفتها كذلك تزويد الناس بقدر من الثقافة السياسية يمكنهم من الحكم على هذه المشكلات ومعرض الحجج المخفية والطول المخطئة للمشكلة الواحدة بصورة موضوعية خاصة لا تعرف التحيز أو المحاباة » .

على أنه من الملاحظ دائما أن الحكم هم لحرص الناس على التأثير في الرأي العام السياسي بنوع خاص .. وهذا صحيح في جملة وتفصيله . فإن من أبرز السمات التي تتسم بها المجتمعات الحديثة أن حكامها أصبحوا

(١) نفس المصدر السابق ، ص ٣٢٨ .

مضطرين الى الاتصال بالشعب عن طريق الصحافة والاذاعة ، وذلك ليلين اعمالهم وشرح سياساتهم وتبرير هذه الاعمال والسياسات .

ولقد كتبت السيلسة في العصور القديمة حوارا في البيئات الديمقراطية بين الحكام وطبقة بسيطة من الناس لديها مقسع من الوقت لهذا الحوار ، كما نشاهد ذلك في تاريخ البلاد اليونانية قديما . لما العصر الحديث فلن هذا الحوار السيلسى بين الحكم والمحكوم اصبح بفضل وسائل الاعلام الحديثة يتسع لأكبر عدد ممكن من افراد الشعب . وثلما نجد حلكما من الحكم في الوقت الحاضر يرى في نفسه غنى عن الاتصال بالشعب الذى يحكمه . وهكذا أصبحت الحكومات الديمقراطية الحديثة مسئولة ليس فقط امام البرلمان ، ولكن امام الصحافة والاذاعة بنوع خالص !.

على أن الخطر من الراديو على الحكم لا يأتى بطبيعة الحال من الاذاعة المحلية ، ولكن ياتيه من الاذاعات الأجنبية . ويتنوع خالص اذا كتبت هذه الاذاعات معادية له منلولة لخطته . ومن هنا شعرت كثير من الدول الحديثة بقلق على نفسها وعلى حكامها من الاذاعات الأجنبية التى أصبح فى وسعها أن تحبط أعمال الزعماء ، وأن تظل من خطر الثورات ومن هبة الغادة . فمالذا تفعل هذه الدول التى تشعر بمثل هذا الشعور ؟ ليس لملها فى الواقع الا طريقة واحدة هى هدم المحاولات التى تقوم بها الاذاعات الأجنبية لمثل هذه الغاية . ولذلك ظهر فى عالم الاذاعة ما يسمى :

بالتشويش اذاعى .

وهو نوعان : مقصود وغير مقصود . . فلما غير المقصود فيأتى من تكثر الموجات الاذاعية وتضارب بعضها مخ بعض واستحالة ايجاد موجة خاصة بالدولة او عدة موجات خاصة بها . ولما المقصود فهو ما تقوم به بعض الدول لتمنع ايصال اذاعة معينة اليها ، وذلك لأسباب سياسية او اجتماعية او اقتصادية . ولهذا تضع على تلك الموجات تشويشا مقصودا كصوت صفارة او صوت ثوى من نوع آخر يمنع هذه الاذاعة غير المرغوب فيها من الوصول الى المستمعين الذين يراد حملتهم منها .

« ويعتال ان اول تشويش اذاعى فى العالم حدث عام ١٩٣٤ متجها

وضعت حكومة النمسا صفارة قوية على الموجة التي تذيع عليها محطة
الاذاعة الألمانية لتبني الدعوية النازية من الوصول الى الاراضى
النمساوية « (١) » .

وقد عنت المنظمة العالمية المعروفة باسم « الأمم المتحدة » بهذه
القضية وانتدبت لها لجنة منبقة من لجنة حقوق الانسان انتهى رأيها
في هذه المسألة الى « ان معرفة الحقيقة والبحث عنها بحرية تامة
هما من الحقوق الجوهرية للانسان . ولكل شخص الحق بصورة فردية
او جماعية في البحث عن المعلومات وتلقيها ونشرها . وعلى الحكومات
في جميع الدول اتباع سياسة تؤدي الى حماية تتفق المعلومات والانباء
داخل البلاد وعبر الحدود . وعلى هذا نأى تشويش مقصود ضد أية اذاعة
في العالم لير يخالل المادة التاسعة عشرة من الاعلان العالمى لحقوق
الانسان وهي المادة التي تقول :

« لكل شخص الحق في حرية الرأي وحرية التعبير . ويشمل هذا
الحق حرية اعتناق الآراء دون تدخل ، واستقصاء الأنباء والأفكار وتلقيها
واذاعتها بأية وسيلة كانت دون التقيد بالحدود الجغرافية » .

دور السينما في الرأي العام :

وصف لاروين بلوفيسكى السينما فقال (٢) :

« ان السينما سواء رغبتا أم كرهنا هي القوة التي تصوغ أكثر
من أية قوة أخرى الآراء والاتواق والزي والسلوك ، بل المظهر الحدى
لجمهور يضم أكثر من مئتين في المئة من سكان الأرض » .

وهذا قول صحيح في جملته وتفصيله . وهو سبب من الأسباب
التي ترجع إليها الفروق الشاسعة بين الآباء والأبناء . ذلك ان الشباب
أقبل بطبعته الى السينما من الشيوخ ، وأكثر تقبلا لما تدعو اليه السينما
من تجديد في كل نواحي الحياة . وهذا فضلا عما للسينما من القدرة

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ، ص ٥٧ .

(٢) نفس المصدر ، ص ٢٣٦ .

انظمة على التعبير عن العواطف والمشاعر والأفكار والآراء والتجارب الإنسانية على اختلافها . ومعنى ذلك أن السينما لم تصبح كما كانت من قبل مجرد أداة لتسلية الجمهور . ولكن غدت وسيلة اعلامية من إموز وسائل العصر الحديث . كما غدت وسيلة ثقافية قد لا تغفلها وسيلة أخرى من الوسائل في العصر الحديث . وصديق من قال أن السينما فن وعلم وصناعة في وقت مما . نهى حلم تائم على آلات التصوير التي تخضع عنها انكر الحديث وتقدمت بخطى واسعة في باب الاختراع بحيث أصبحت بها السينما ناطقة بعد أن كانت صامتة . والسينما علم لأنها أصبحت تبنى على اصول علمية يجب أن يتعلمها القاصون على هذا الجهاز الكبير من أجهزة الاعلام . والسينما فن لأنها تقوم على دراسة الاضاءة وهندسة الصوت ، وتعتقد في كل ذلك على عدد كبير من الآلات الدقيقة .

وقد أصبح الهدف الأول للسينما في الوقت الحاضر هو الثقافة وغلبة المجتمع . ولكن السينما كالمصنف أصيبت بثنى من الاتحزاب وأصبحت هدفا للاستغلال الذي قام به اصحاب رؤوس الأموال . ومالت السينما الى ارضاء المشاهدين كما تبذل الصحف الصفراء الى مثل ذلك . ولهذا السبب اهتم العلماء برسالة الفن السينمائي ، وبحجوا الكثير من البحوث التي دعوا فيها الى تمسك السينما بأهدافها الثقافية والاعلامية . ومنذ ذلك الوقت وجدنا الحكومات في جميع أنحاء العالم تعنى بمراقبة السينما عنابقتها بمراقبة الصحف مسواء بسواء . وفي وزارات الإرشاد والثقافة موظفون عهدت اليهم الدولة القيام بهذا العمل الهام من الأعمال المتصلة بالثقافة والاعلان .

ومما لا شك فيه أن السينما مسؤولة في أكثر بلاد العالم المتحضر عن انحراف الأطفال وسوء سلوك الشباب . وكل ذلك برغم ما أجرى من التجارب الكثيرة التي أثبت بعضها صدق هذه الحقيقة بالأرقام . وانكرتها بحوث أخرى بحجة أن الانحراف في الأطفال وفي الشباب لم يخرج من كونه استعدادا طبيعيا فيهم . ثم أنت السينما فكشفت عن هذا الاستعداد وحولت تغذيته واتماءه بشكل من الأشكال . ومما لا شك فيه أيضا أن كثرة إغراء الشباب والأطفال لدور السينما له تأثير عميق في آرائهم وتفكيرهم .

وهما يكن من شيء فإن للناس ينظرون الى السينما في اغلب الحالات على انها وسيلة من وسائل التسلية والترفيه . غير ان من هذه الوسائل الترفيهية ما يرتفع بالمرء الى درجة عالية من درجات الفكر الايجابي والانتعاش بمعنى الشرف والنبيل والشهامة ، ويشعر الانسان بقسائته كاملة او قريبة من الكمال . ومن هذه الوسائل الترفيهية ما يهبط بالمرء الى ادنى درجات الفكر السلبي والانتعاش بالمعنى الدنيئة ، واشباع الغرائز الخسيسة ، والتزول بقسائية الفرد الى احط الدرجات .

لذلك اصبح الفيلم الثقافي موضع اهتمام الحكومات الحديثة كما تدبنا ؛ وذلك منذ ان شعرت السلطات المسؤولة في العالم المتحضر بضرورة ارشاد الجماهير عن طريق السينما ، فشجعت على انتاج هذا النوع من الافلام ، ووصلت الجمهور بأخر انباء العالم ومخترعاته ، وقصت عليه قصة الحضارة الحديثة وما أحرزته من انتصارات كثيرة ، وجعلت ذلك كله جزءا هاما من الافلام السلية او الافلام الاخبارية او الافلام التاريخية ونحو ذلك .

مذاهب نشر الافلام السينمائية :

انقسم العالم الذي نعيش فيه بالنسبة للسينما الى مذاهب ثلاثة او أربعة :

اولها - المذهب الأمريكي الذي يرى في السينما انها اداة من ادوات التسلية للمشاهد ، والربح للمنتج . ولذلك يعنى العنسية كلها بالروايات البوليسية ، ويصنع من المجرمين ابطالا ، ويؤثر بذلك في نفوس الشباب اسوأ تأثير .

وثانيها - المذهب السوفيتي ، وهو على النقيض من المذهب المنتقم . والسينما عند أصحاب هذا المذهب واسطة للتثاقفة ، وقن ديمقراطية وشعبية وظيفته الجدير عن تفكر الشعب وآرائه وعواطفه ومشاعره ورغباته .

والحولة في هذا النظم هي التي تفرض على الفنانين موضوعات خلسة يعرضونها على الشاشة . ويؤمن الفنانون السوفيت بهذا النظم ويقولون ان المروسة الحديثة للسينما (يقصدون انفسهم) هي التي تقوم على أسس

حديثه ومخروسة ، وإن المعهد الذى كان فيه للفيلم عبارة من عمل فنى هذله
انربح المئادى قد ولى واتنهى الى غير رجعة .

وثقنتها — المذهب الذى يجمع بين المذهبين السليقين . فلا هو
بالمتهافت على الربح واجتذاب الجماهير بالافلام البوليسية واللام رعاة البتر
واستعراض اعمال المجرمين والنظر اليهم على انهم أبطال يظنون لشق
الادوار على مسرح الحياة الانستية ، ولا هو بالمتزمت الذى يحصر جهده
فى الامور الجدية والثقافية والاعلامية التى ينفر الشعب من الكثر منها .
ولكنه مذهب بين بين . والامثلة على هذا المذهب الاخير كثيرة فى الافلام
السينمائية التى تنتجها البلاد الاسيوية والافريقية .

ورابعتها — مذهب يصح أن يقال عنه انه المذهب الاشتراكى المعتدل .
وهو قريب من المذهب الثالث . ولكن يزيد عليه شيئا واحدا هو اللون
الاشترراكى للفيلم . فكما تعتد الدول الشيوعية على السينما فى الترويج
لمذهبها ، او فى انهله جميع طبقات الشعب ، وكما تعتد الدول الراسمالية
على السينما فى غلبة كهذه الغلبة ، فكذلك تعتد الدول الاشتراكية على هذه
الاداة من ادوات الاعلام فى تفضية للشعب بالمبادئ الاشتراكية وبنوع خاص
اذا كانت هذه المبادئ جيدة عليه كل الجودة .

وكذلك تعمل الجمهورية العربية المتحدة فى الوقت الحاضر . وربما
كان الفيلم للذى عنوانه « الرسالة » — مع شىء من التسهيل — من الامثلة
الحية على الافلام الاشتراكية النالحة فى الوصول الى هذا الغرض .



ثم ان السينما استخضمت بعد الحرب العالمية الثانية لأغراض لغرض
عدا الأغراض الاعلامية والثقافية ، استخضمت وسيلة من وسائل التعليم
فى المدارس والمعاهد . ولحدثت بذلك انقلابا هائلا فى تاريخ التربية .
وفتحت مجالات جديدة فى التعليم . وبذا استطاع الفيلم السينمائى الواحد
أن يجوب بالطلاب جميع أنحاء العالم . وصدق من قال ان الفيلم التعليمى
هو النافذة التى يطل منها الطالب على العالم كله . وهكذا أصبح
من شعائل المعلمين والمربين قولهم « تعلم فى زمن قصير ما يتعلمه غيرك

في زمن أطول بكثير « . يريدون بذلك أن يقولوا أن السينما تعطى الطلاب من المنومات الكثير في وقت قصير جدا ما لا يعطيه الكتاب من المعلومات في وقت أطول .

ونعود الى الحديث عن رقابة الدولة للسينما فنقول عن هذه الرقابة انها رقابة وقائية في أكثرها . والغرض منها صيانة الشباب من الانحراف . ولذلك فرضت الولايات المتحدة نفسها رقابة رسمية على انتاج الأفلام . ثم تحولت هذه الرقابة الحكومية بعهد ذلك الى رقابة ذاتية — أى رقابة السينما نفسها بنفسها ، وذلك على أسس من دستور وضعه مكتب الرقابة الذاتية بالولايات المتحدة .

وفي إنجلترا رقابة على الأسلام ترك فيها الأمر للمناقشة المباشرة بين الجمهور الإنكليزي وصانع الفيلم . وفي إنجلترا أيضا مكتب للرقابة الذاتية أو مجلس لهذه الرقابة . وليس لهذا المكتب أو المجلس قانون مكتوب . ومع ذلك فله مبادئ غير مكتوبة يسير عليها . ولذلك نرى الرقيب الإنجليزي على الأفلام يسأل نفسه دائما هذه الأسئلة الثلاثة وهي :

١ — هل من المحتمل أن يفسد الفيلم المستوى الأخلاقي العام للجمهور ، وذلك عن طريق التقليل من بشاعة الجريمة ، أو عن طريق التساهل في القيم الاجتماعية ؟

٢ — هل من المحتمل أن تسوء القصة أو الحادثة أو الحوار الى الجمهور المترن في تكبره ؟

٣ — ما تأثير القصة أو الحوار أو الحادثة على الأطفال من مختلف الأعمار ؟

وتتلقى الرقابة الذاتية في الدول المتحضرة في عصرنا هذا على طائفة من المبادئ تحاول المنع بها قدر المستطاع منها ما يلي :

١ — المحافظة على كرامة الأمر والبيوت والاقتصاد ما أمكن من ذكر العورات والملاهي الجنسية المحرمة ونحو ذلك .

٢ — الأمراض من ذكر الشذوذ الجنسي والاختلاط المحرم ونحو ذلك .

٣ — تحكيم الذوق في المناظر الخاصة بخلع الملابس أو عرض غرف النوم وما إليها .

٤ — الاعراض عن مناظر القتل بطريقة الشنق أو الكهرياء أو الامبال الوحشية .

وهكذا نجد أن تأثير السينما أقوى ما يمكن على السلوك والأذواق .
وهما مظهران من مظاهر الرأي العام لا محالة . والأفلام السينمائية في هذا التأثير أشبه ما تكون بالقصة . ونحن نقرا القصص في الحقيقة لكي نغير شيئا من آرائنا ، وأفكارنا ، وأذواقنا ومعلوماتنا شيئا فشيئا . أى أن هذا التغيير أو التعديل إنما يتم ببطء . ومع ذلك فقد نتجج قصة واحدة في هذا التغيير والتبديل . وقد لا نتجج قصص عديدة في الوصول الى هذه النتيجة . وكذلك الشأن مع الفيلم السينمائي . فهناك الأفلام التي يخرج منها المشاهدون في شبه ثورة عقلية على وضع معين أو رأى معين . وهناك الأفلام التي تبعث في المشاهدين نوعا من الإصرار على وضعهم القديم أو رأيهم القديم بعد أن راوا مساوئ الوضع الجديد الذي تعرضه الأفلام السينمائية وهكذا .

البَابُ الثَّانِي

الْأَمَلُ

الفصل الأول

الإعلام ووسائله

تعريف الإعلام :

الإعلام هو تزويد الناس بالأخبار الصحيحة والمعلومات السلبية والحقائق الثابتة التي تساعد على تكوين رأى صائب في واقعة من الوقائع أو مشكلة من المشكلات ، بحيث يعبر هذا الرأى تعبيرا موضوعيا عن عقلية الجماهير واتجاهاتهم وميولهم .

معنى ذلك أن الفلية الوحيدة من الإعلام هي الانتفاع بنشرها وذلك عن طريق المعلومات والحقائق والأرقام والاحصاءات ونحو ذلك .

أجل — يقوم الإعلام على الأرقام والاحصاءات ولكن بشرط أن تقدم هذه الأرقام والاحصاءات كاملة غير منقوصة . وهنا تلفت النظر إلى التحريف أو التزييف أو العبث الذي يقع في هذه الأرقام والاحصاءات والحقائق والمعلومات ، وذلك من بعض المخرضين الذين يقومون بهذا الزيف أو العبث لفلية في أنفسهم .

على حين أن رجل الإعلام بالمعنى الصحيح يجب أن يقدم الأرقام الصحيحة والاحصاءات الدقيقة في الموضوع الذي يريد أن ينقله إلى الآخرين .

من أجل ذلك قلنا في كتاب « الإعلام له تاريخه ومذاهبه » أن أوضح تعريف للإعلام حتى الآن هو التعريف الذي وضعه العالم الألماني « أوتوجروتر » حيث قال :

« الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها في نفس الوقت » (١) .

(١) عبد اللطيف حمزة : الإعلام — له تاريخه ومذاهبه ، ص ٢٣ .

فالاعلام تعبير موضوعي . ومعنى ذلك أنه ليس تعبيراً ذاتياً من جانب الصحفي أو المذيع أو رجل السينما أو التلفزيون . وإنما هو تعبير موضوعي خالص بمعنى أنه يقوم على الحقائق أو الأرقام والإحصاءات أو عليها معا إذا لزم الحال .

عناصر الاعلام :

- ١ - عنصر المرسل .
- ٢ - عنصر المستقبل .
- ٣ - عنصر الاداة أو الوسيلة .

المرسل (بكسر السين) هو صاحب الرسالة الاعلامية . او الجهة التي تصدر عنها هذه الرسالة . سواء كانت هذه الجهة هي الحكومة او الشركة او الهيئة او النادي او الفرد او الجماعة .

والمستقبل (بكسر الباء) هو من توجه اليه الرسالة الاعلامية سواء كان فردا أم جماعة .

والاداة او (الوسيلة) هي ما تؤدي به الرسالة الاعلامية ، سواء كانت هذه الاداة هي الصحيفة ، او الاذاعة ، او التلفزيون ، او الخطبة ، او المؤتمر ، او الوكالة الخاصة بنشر الأنباء ، او السوق ، او المعرض ، الى آخر هذه الوسائل الاعلامية المعروفة ، كما سيأتي ذكر ذلك .

اثر من اليونان أنهم كفوا يقولون :

ان الامة لا تقوى على المحافظة على حريتها اذا اتسعت ائتماعا كبيرا يصعب معه اتصال الشعب كله بكامله . ذلك انه يجب ان يجتمع الناس كلهم في ساحة من الساحات العالية في المدينة ، ويستمعوا الى اقوال قادتهم وزعمائهم . ويغير هذه الطريقة يصبح الشعب عجزا عن الاطلاع على احوال الحكومة ، عجزا عن مراقبة الحكم .

وفي العصر الحديث لم يعد في استطاعة الجماهير البغيرة في الامة الكبيرة ان يجتمعوا بكلل هيئاتهم واعادادهم في الساحات او الميادين العالية كما كان يفعلون في روما او أثينا او في مكة او المدينة .

من هذه الجماهير أصبحت قادرة في الوقت الحاضر على أن تجتمع كل صباح ومساء حول أعبدة الصحف ، أو أجهزة الراديو أو التلفزيون . ومن ثم كانت لهذه الوسائل الحديثة أهمية كبيرة ، وتدع هذه الوسائل الحديثة مؤتقنا لتكلم أولا عن :

وسائل الاعلام القديمة :

سبق لنا كذلك في الكتاب الذي سبقت الإشارة اليه ان استعرضنا على عجل وسائل الاعلام التي عرفها البشر الى يومنا هذا . والحق ان وسائل الاعلام التي عرفتها العصور المتقدمة لم تكد تخرج عما يلي :

الشتاعلت ، والحفر على الأحجار والأشجار والأعمدة المنصوبة في المعابد أو الميادين العامة . وكان التجار الذين ينتقلون من مكان الى مكان يحملون معهم الأخبار ، كما كان المفاندون الذين يتجولون في عرض البلاد وطولها لنشر الأخبار ، وإعلان أوامر الحكام . كان جميع هؤلاء يعتبرون كذلك من وسائل الاعلام في تلك الأزمنة . ويضاف الى جميع الوسائل المتقدمة وسيلة هامة ، هي وسيلة الاتصال الشخصي .

ثم ظهرت المطبعة فكانت هي الفاصل الحقيقي بين العصور القديمة والعصور الحديثة من حيث الاعلام . ذلك أن المطبعة أبدت العالم الحديث بوسائل اعلامية جديدة ، منها الكتب والنشرات ثم الصحف في نهاية الأمر .

وستحدث - كما قلنا - أولا من أهم وسائل الاعلام القديمة . وننتقل منها بعد ذلك الى الكلام عن وسائل الاعلام الحديثة . نمن الوسائل القديمة ما يلي :

القصة الشعبية :

كانت القصة الشعبية الشعبية أول ما عرفه العرب وغير العرب من وسائل الاعلام ، وكانت الأداة الوحيدة للتعبير عن رأى القبيلة في العصر الجاهلي . فلما جاء الاسلام لعبت قصائد الشاعر الاسلامي « حسان بن ثابت » دورها في مناصرة صاحب الدعوة . ثم في عصر بني أمية وجد ما يسمى « بالشعر السيلسي » . وعلي الشعراء السيلسيين من أمثال جرير والنوفدي والإخطل

والراعى/وذى الرمة اعتد خلفاء بنى أمية في كثير من قضاياهم السياسية .
ثم في العصر العباسي ظهرت عصبية من نوع آخر اسسها « الشعوبية »
وحلت محل العصبية القبلية . وتحصن الشراء الشعبيون للأمم
أو الأجناس التى ينتمون إليها . كما ظهرت في العصر العباسي عصبية
من نوع ثالث ، هى العصبية المذهبية : فهذه فرقة دينية تتعصب لمذهب
أهل السنة ، وهذه فرقة دينية تتعصب لمذهب المعتزلة ، وهذه فرقة دينية
تتعصب للشيعة أو لآل البيت . وكان من شعرائها الكهيت ودعبل الخزاعي
وديك الجن . ثم هذه فرقة دينية تتعصب للخوارج ، وكان من شعرائها
وكتباها الطرمح . وهكذا كان لكل فرقة من هذه الفرق الدينية شعراؤها
وخطبائها والذاتون عنها ضد الفرق الدينية الأخرى .

ثم في عهود الخلافة الفاطمية والسلطنة الأيوبية ومهد المماليك
— وهى العهود التى شهدت الحروب للصليبية — كان للشعر المكان الأول
في مهاتين الاعلام والدعاية . وبالشعر كما بالسيف نجح الفاطميون في مصر .
وبالشعر كما بالسيف نجح صلاح الدين وأولاده في محاربة الصليبيين
وفي التغلب عليهم . وطردهم من البلاد الاسلامية .

وبقيت القصيدة الشعرية مكانتها ووظيفتها السياسية والاجتماعية
والاعلامية والدعائية الى يومنا هذا . ففى كل حادث هام أو موقف
من المواقف السياسية والاجتماعية الخطيرة نسمع صوت الشاعر الى جانب
صوت المحن . وللباحث المختص ان يراجع القصائد الشعرية التى قيلت
في حادث تأليم قناة السويس وحادث جلاء القوات البريطانية عن مصر ،
وهذا كله فضلا عن القصائد الشعرية التى نظمها كل من شوقي وحافظ
في محاربة الاحتلال البريطانى منذ وطئت أقدامه ارض مصر الى ان قامت
الثورة الشعبية الكبرى في مصر سنة ١٩١٩ (١) .

(١) عبد اللطيف حمزة : مستقبل الصحافة في مصر ، الجزء الأول خلاصا
(بالانثب والصحافة) ، الفصل الذى عنوانه « القصيدة الشعرية والصحافة
المصرية » .

الخطبة :

اما الدور الذي لعبته الخطبة الدينية والخطبة السياسية في مجال الاعلام ومجال الدعاية في تاريخ العرب الديني والسياسي فلا يقبل في خطورته عن دور التصيدة للشعرية ما لم يكن اكبر منه . والخطبة منذ ظهور الاسلام هي الوسيلة الاولى من وسائل الاعلام التي اعتمد عليها صاحب الدعوة — صلوات الله وسلامه عليه — في نشر الدين الجديد وفي شرح المبادئ التي نادى بها في الجزيرة العربية .

واذا تركنا عهد الرسول الى عهد الخلفاء الراشدين واستمعنا الى خطب الامام علي — كرم الله وجهه — وجدنا انفسنا امام رجل يمثل درجة عالية من درجات البلاغة العربية لم يبلغها خطيب اسلامي قبله ولا بعده ؛ باستثناء صاحب الدعوة . وقد حدث الخلاف بين علي ومعاوية فكان ذلك من الاسباب التي وصلت بخطب الامام علي الى هذه الذروة .

ونترك عهد الخلفاء الراشدين الى الدولة الاموية فنجد انفسنا كذلك امام خطباء من اشهرهم رجالا هما زياد بن ابييه والحجاج بن يوسف الثقفي . وكان كل منهما شديد اللهجة في مخاطبة العراقيين . كما كان احدهما — وهو الحجاج — قد احظ العنصر المرحي في خطبته . فحين اراد ان يخطب العراقيين سعد المنبر وهو ملثم بلثام ، وبقي على ذلك مدة ثلث في اثنتائها عجب الحاضرين في المسجد . وجرؤ بعضهم فقال للحاضرين العمبة لكم ؟ وهنا حصر الحجاج اللثام عن وجهه وبدأ خطبته المشهورة بقوله :

انا ابن جلا وطلاخ التتليا

متى اضبح الجلالة تصرفوني

ناخف بذلك اهل العراق وآلئى العرب في ظروبهم واستقبلت نه احوالهم .

وتوالى الخطباء بعد الحجاج حتى جاء يوم سعد فيه بعضهم على المنبر وخطب اهل العراق قتلا لهم ؛

... ألا انكم كنتم تلقبون كل واحد من أمرائكم بلقب تعرفونه به ،
ألا ناعلموا أن لى لقبا أحب أن أعرف به فلما (الجزائر) !!

ثم نصل إلى العهد العباسي فنجد الخطبة العباسية لا تقل في منزلتها
عن الخطبة الأموية ، ونجد القصيدة تعود إليها مكررتها القديمة . ومع هذا
وذاك فقد كانت القصيدة والخطبة تتعاونان على التثياف بوظائف الاعلام
والدعوية للدولة العباسية على أحسن وجه .

وتسير بنا عجلة التاريخ إلى عصر الحروب الصليبية فنرى الخطب
الدينية السياسية قد بلغت أوجها في إثارة المشاعر وتوبيخ الخواطر ،
وفي التهئة للحرب . فلذا كان التغير العام للقتال فيها ينتشر الخطباء
في أنجوام الكبرى في كل من القاهرة ودمشق أو القدس وذلك لتحسيس
الشعب العربي الاسلامي وتهيته للجهاد في سبيل الله . حتى اذا اتهم
الجنش الاسلامي بقيادة نور الدين أو صلاح الدين تسابق الخطباء إلى القاء
الخطب التي كان أشهرها وأروعها لاذك ما يلقي في جامع المسجد الأقصى .
كما نجد الشعراء في نفس الوقت يتسابقون كذلك إلى نظم القصائد
في تهنة نور الدين أو صلاح الدين أو ابنه من ابلاوا بلاء حسنا في محاربة
الصليبيين . وقد عرفت القصائد التي نظمت في تهنة صلاح الدين
بانتصاراته على الصليبيين في يوم حطين باسم مشهور في تاريخ الأدب العربي
هو « القدسيت » (١) .

ثم تسير بنا عجلة التاريخ كذلك فتصل هذه المرة إلى العصر الحديث ،
إلى عصر الثورات الشعبية التي قامت في بعض بلاد الشرق الأوسط
— ومنها على سبيل المثال — الثورة الشعبية الكبرى لمصر سنة ١٩١٩
بزعملة سعد زغلول . وفي هذه الثورة ظهر عدد من الخطباء السياسيين
— وعلى رأسهم سعد زغلول — ما زالت خطبهم ترين في آذاننا إلى اليوم .
فيل عن مسعد زغلول انه ذهب مرة إلى حيث قتل أحد الشبان

(١) راجع كتاب الحروب الصليبية ، وكتاب صلاح الدين بطل حطين .
وهي للبولف .

في مظاهرة سياسية ، وحين وصل الى هناك غمس منبله في دم القتيل . ثم نادى في جهور المتظاهرين قائلا : اتدرون من هو الذى يحمل وزر هذا الدم ؟ انه عدلى يكن ! .

وبهذه الحركة المسرحية بلغ الخوف ذروته في قلوب العدلين من انصار عدلى . كما بلغت الجراة مبلغها في قلوب السعديين من انصار سعد (١) .

وقل بقل هذا في الثورات الشعبية التي قامت بها الاقطار العربية الاخرى ضد الاستعمار ومنها - على سبيل المثال - ثورة الشعب السوري ضد الاحتلال الفرنسى ، وثورة الشعب العراقي ضد الاستعمار البريطانى . الحق ، ان الخطبة كثت - وسقطت - اداة خطيرة من ابوات الاعلام لا يمكن الاستغناء عنها او زحزحتها عن مكانتها الكبيرة بين الوسائل الاعلامية الاخرى .

اتدرى ما هي الحكمة في أهمية الخطبة السياسية باعتبارها وسيلة من وسائل الاعلام ؟ .

ان الحكمة في ذلك هي حاجة الحكام في كل زمان ومكان الى التحدث الى الشعب . بل ان الحكمة في ذلك ان الخطبة تعتبر مظهرا من مظاهر الاتصال الشخصي الذي هو لخطر وسائل الاعلام قديما وحديثا (١) .

ذلك ان من أبرز السمات التي تتسم بها المجتمعات الحديثة ان الحكام مسوقون فيها الى الكلام ، مضطرون الى شرح نياتهم ، وبيان اعمالهم . ولا يكون ان يضربوا صفحا عن تبرير مسلكهم ... وكل سياسة في عصرنا انما هي حوار لا نهاية له بين الحاكم والمحكوم .

» على ان السمة الحوارية لا تقتصر على القرن الذى نعيش فيه ،

(١) محمد حسين هيكل ، مذكرات في السياسة المصرية (بتصرف) ص ٢٢٢ .

(٢) في خاتمة هذا الكتاب اشارة الى (الاتصال الشخصي) باعتباره وسيلة اعلامية .

نما من سياسة حفلت بالمحاورات أكثر مما حفلت به السلسلة الائتمنية القديبة . وقد احتفظت بأثرها في مؤلفات انطالون . وما من مؤرخ وضع خطبة مشحونة بكثير من المعاني أكثر من توسيديوس ...

« غير أن لحوار المجتمعات الحديثة مع ذلك شيئا تختص به ، وهو أن كلام الحكم يتجه من الآن فصاعدا إلى الناس كافة » وذلك بالطبع عن طريق الخطب التي يلقيها القادة على عدد من أفراد الشعب . ثم تتولى الصحف والاذاعة نشر هذه الخطب على بقية أفراد الشعب . وبذلك جنحت المجتمعات الحديثة إلى توسيع الحوار السياسي حتى شمل الناس كلهم . وبهذه الطريقة تنجح المجتمعات الحديثة في إعطاء « المواطن » صفة شاملة وتجعل في نهاية المطاف جميع أعضاء الجماعة مواطنين ذوي فعالية » (١) .

المقابلة :

كان النداء وسيلة لنشر الأخبار في العصور القديبة . وما زال إلى اليوم في بعض البلاد العربية كسوريا وغيرها . وشهد الناس في تلك العصور القديبة (المنادى) وهو يتجول في المدينة عرساً وطولاً . وكثيراً ما كان للمدينة الواحدة منادون كثيرون في وقت واحد . واستمرت هذه العادة في بعض البلاد العربية إلى منتصف القرن العشرين بالرغم من وجود الصحف والراديو وغيرها من وسائل الإعلام .

وقد كان يعهد إلى المنادى بإذاعة الأوامر الحكومية وبعض قوانين الدولة وبعض الأخبار العسكرية . وكان على المنادى أن يبنيء من وصول الحكم الجديد للتعليم أو الولاية . كان يعهد للمنادى كذلك إذاعة المواعيد التي حددتها الحكومة للأعياد الدينية ونحوها . كما كان على المنادى كذلك أن ينبع نياً وفاة عظيم من عظماء الدولة . وكان عليه أن يخبر بوصول السفن الحربية ورحيلها عن الموانئ العربية .

ومثل طريقة (المنادى) وجدنا طريقة أخرى للإعلام وهي طريقة

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة - ص ٣٣٦ (يتصرف) .

(المائن) ، ومن اعلاها كان المؤذن ينشر خبر وفاة أمير من الامراء او كبير من الكبراء ، او قتاد حربي له شهرته في ميادين القتال ، او زاهد متصوف كبير من الزهاد والصوفية . وكان على المؤذن أن ينوه بقىء من كراماته . وكان عليه في كل حالة من هذه الحالات أن يشيد بمنقلب الفقيد ، وذلك بعد الفراغ من تسبيح الله وحده والسلام على نبيه .

ولعل لخطر ما كان يقوم به المنادون في العصور القديمة انهم كانوا يتنادون بالتفكير العام « التعبئة العامة » او الدعوة للقتال اذا لزم الامر ذلك . وفي هذه الحالة يذيع المنادون (او المؤذنون في المساجد) بعض الاحاديث النبوية الشريفة في موضوع الجهاد في سبيل الله .

الحق — لقد كانت للبنادى وظيفة اعلامية بالغة الاهمية في العصور القديمة ، ولم يكن بالامكان الاستغناء عنه في بيئة من البيئات العربية بحال ما .

البعثات :

ولا نستطيع أن نترك الحديث عن وسائل الاعلام القديمة دون أن نذكر هذه الوسيلة التي عرفها القدماء منذ ظهور الاسلام ، واعتمد عليها صاحب الدعوة اعتمادا كبيرا . ونعنى بهذه الوسيلة الأخيرة « البعثات » . ومن أوضح الأمثلة عليها بعثات الرسول صلوات الله عليه وسلامه الى النجاشي ملك الحبشة وإلى كسرى ملك الفرس . وقد كانت هذه البعثات النبوية حركة اعلامية من أخطر ما عرف التاريخ ، وهي من أجل ذلك تستحق دراسة خاصة من جانب العارفين معرفة جيدة بالتاريخ الاسلامي والثقافة الاسلامية .

ان مما لا شك فيه ان الاسلام كان ثورة من أعظم الثورات التي تعرض لها تاريخ البشرية ان لم تكن أعظمها على وجه الإطلاق . ومما لا شك فيه ان هذه الثورة كانت بحلجة كبيرة الى جهود عظيمة في ميدان الاعلام والدعاية ، غير أن الاسلام لم يعرف في أية مرحلة من مراحلها التجريبية لفظ « الدعاية » ، وانما كان يعرف لفظا واحدا فقط هو لفظ « الدعوة الاسلامية » . وكان المسلمون الاولون ينشرون هذه الدعوة بطريقتين لا ثالث لهما ، هما طريق السيف من جهة ، وطريق الاقتناع

بصوره المختلفة من جبة ثائية . وكانت البعثت النبوية صورة من الصور
انتي اعتمد عليها نشر الدعوة الاسلامية . ولذلك عنى بها صاحب الرسالة ،
واكتار لها كبر الصحابة .

وفي رأينا - والقياس هنا مع الفارق البعيد - أن الزيارات الرسمية
وغير الرسمية مما نعرفه من وسائل الاعلام الحديثة تعتبر شكلا من اشكال
البعثت . وان كان القياس هنا مع الفارق البعيد كما قلنا .

ومن الأمثلة عليها الزيارات التي دبرتها جامعة الدول العربية
الى منطقة الخليج العربى عام ١٩٦٤ للتحدث مع رؤساء المجلس ..
وسنمود بعد قليل الى الحديث عن الزيارات كوسيلة من وسائل الاعلام
الحديثة .

ترى لماذا ضربنا المثل هنا بالقصيدة والخطبة والمنسادة والبعثت
من وسائل الاعلام القديمة بلذات واكتفينا بذلك ؟

ليس لهذا من سبب في الواقع سوى أن الكتب التي تتحدث عن الاعلام
الى وقتنا هذا تغفل النظر في هذه الوسائل الأربع المتقدمة . ولم تبدأ العناية
بعد بالاعلام الاسلامى بالمعنى الصحيح كما يمكن أن نفهمه من خلال الكتب
التاريخية الاسلامية لمؤرخين معروفين من أمثال الطبرى وابن الاثير
وأبى شامة (صاحب كتاب الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية)
وغيرهم . اما بقية الوسائل الاعلامية القديمة كالكتيب والمنظرة والنحو
فقد بحثها الدارسون أو أشبهوا اليها (١) . فننتقل من ذلك الى الكلام عن :

وسائل الاعلام الحديثة :

كانت المطبعة بحق هي الفاصل الحقيقى - كما قلنا - بين العصور
القديمة والعصور الحديثة من حيث الاعلام . أو بمعنى آخر كانت المطبعة
ثورة حقيقية نقلت الاعلام كله من طور الى طور .

(١) انظر كتاب (الاعلام - له تاريخه وتراجعه) للمؤلف . الفصل الثانى
بعنوان : تحليل وسائل الاعلام .

ثم بدأت الثورة الثانية من ثورات الاعلام بظهور أداة جديدة من أدواته ونعني بها (وكالات الأنباء) . ولخيرا حدثت الثورة الثالثة والأخيرة في مجالات الاعلام بظهور المخترعات الحديثة . ومنها السينما والراديو والتليفزيون . ولا ندرى ماذا يخبرنا لنا المستقبل من وسائل الاعلام فوق ما اشرنا اليه .

من أجل ذلك نتفأ امل للوسائل الآتية وهى :

١ - الصحافة .

٢ - وكالات الأنباء .

٣ - الراديو .

٤ - التليفزيون .

٥ - السينما .

وتضيف إلى الوسائل السابقة ما يلى :

٦ - المعرض .

٧ - المؤتمرات الصحفية .

٨ - الزيارات الرسمية وغير الرسمية .

ولخيرا نتفأ في نهاية المطاف عند وسيلة اعلامية تظهر خطرهما منذ اوائل هذا القرن ونعني بها :

العلاقات العامة :

والقصود بها من الاتصال بالجمهور التى تمنى بها مؤسسة من المؤسسات الأهلية ، أو مصنع من المصانع الكبيرة المعروفة ، أو هيئة أو دائرة من الهيئات أو الدوائر التى تتلغف منها الحكومة ، أو جمعية من الجمعيات تهدف إلى جلب الخير لعدد كبير من أفراد المجتمع ونحو ذلك .

يجترأ بنا افح أن نتفأ وقتلت قصيرة عند كل واحدة من هذه الأدوات الاعلامية الحديثة . ولكن ليس معنى ذلك أن العصر الحديث لا يعرف غير هذه الأدوات . كلا - فهناك الكتب والنوذة والمسرح والتليفزيون (أو الكلية اللاسلكية للاخبار) وغير ذلك .

الصحافة :

لماذا يقرأ الناس الصحف في أغلب الأحيان ؟ انهم يقرعونها للاطلاع على ما فيها من أخبار بدافع الرغبة في الوقوف على لحوال العالم المحيط بهم . ويقرعونها كذلك للاطلاع على أخبار العلوم والمخترعات بدافع الرغبة في هب الاستطلاع . ويقرعونها أيضا لمعرفة القضايا التي يتحدث عنها الرأي العام ولكي يكونوا على اتصال بالمانشيتات اليومية التي تتور حول هذه القضايا ، ويقرأ الناس الصحف آخر الأمر لمجرد التسلية والامتع بما فيها من طرائف حبرية ، ونوادير أدبية ونحو ذلك .

تلك هي الأفراض التي من أجلها يقرأ المواطنون في كل بقعة من بقاع الأرض ما لديهم من الصحف . أما الأفراض التي تهدف اليها الحكومات أو العول من وراء الصحف فنظهر من أن الحكومات الرأسمالية كالحكومات الاشتراكية تتخذ من للصحافة سلاحا قويا للدفاع عن أفكارها السيلسية التي تميزها عن الحكومات الأخرى .

وفي ذلك يقول أحد زعماء المذهب الشيوعي — وهو هنا خروشوف : « الصحافة هي سلاحنا الفكري الأيديولوجي الرئيسي ، ونحن نوجب عليها أن تنكل بخصوم الطبقة العالمة وأعداء العاللين جيبعا في المجتمع الشيوعي . وإذا كان الجيش لا غنى له في القتال عن السلاح فكذا (الحزب الشيوعي الواحد) لا يستطيع أن يقوم بأعماله في الميدان الفكري أو الأيديولوجي بغير سلاح الصحافة » .

وللصحافة الحديثة مشكلاتها العديدة . غير أن جميع هذه المشكلات أنها تنبع من شيء واحد فقط هو ما يسمى « بحرية الصحافة » بالواقع أن الصحف في أية بقعة من بقاع العالم الحديث لا تستمتع بحريتها الكاملة في نقد الحكومة أو المجتمع . وإن كانت الحرية الصحفية في الدول الرأسمالية تظهر منها في الدول الاشتراكية .

وهناك فرق بين المطالب التي يضغط الشعب بها على الصحف ، والمطالب التي تضغط بها الحكومة على هذه الصحف . فالقراء ، لا يضغطون على الصحف إلا من ناحية واحدة فقط هي رغبتهم في تنويع المواد التي تقدمها

الصحف . وفي هذا السبيل تشقى الصحف شقاء كبيرا لاشباع رغبت الجماهير . أما الحكومات فأتتها تضغط على الصحف لأغراض سياسية وأخرى ذاتية أو شخصية . ومن أجل ذلك وجدنا الأستاذ هارولد لاسكى نيلسون حزب العمال البريطانى ينصح طليبة الصحافة فى مقدمة كتابه (الصحافة والشؤون العالمية) بالنصائح الأربع الآتية :

أولاً - يجب عليكم أن تدركوا تهلم الإدراك انه لا توجد حكومة فى العالم لا تعمل على توجيه الأنباء الوجهة التى تختم مصالحها .

ثانياً - يجب أن تدركوا كذلك أن هناك هيئة كثيرة تعمل فى جمع الأنباء وتحول طوين بعضها باللون الذى تملبه عليها الأهواء والأغراض والتحيزات ونحو ذلك .

ثالثاً - يجب أن تدركوا كذلك أن المراسل الخارجى - وهو رجس له وزنه الخاص للأمور - كثيرا ما تضطره الظروف الى تلوين الأخبار التى يبعث بها الى صحيفة وتحريفها كذلك .

رابعاً - يجب عليكم أن تدركوا تها أن هيئة التحرير فى كل صحيفة بحجة السياسة التى تتميز بها من بعض الصحف الأخرى تقوم بلختيار الأخبار على أسس الهوى والفرس . ثم تقوم بتحرير هذه الأخبار بطريقة تتفق وهذه السياسة .

نخلص من ذلك كله الى أن الحرية الصحفية لا وجود لها فى الوقت الحاضر . كما نخلص من ذلك ايضا الى أن هذه الحرية الصحفية لو صحت انها وجدت فى صحافة اليوم فاتها تكون مهددة بأخطار كثيرة ، منها ما يأتى من جانب الحكومة ، ومنها ما يأتى من جانب الصحف ذاتها ، وإلتها وإيسرها خطرا ما كان من جانب الجمهور القارئ . وقد قلنا أن هذا الجمهور القارئ تها يطلب شيئا أكثر من تنوع المادة الصحفية ذاتها .

لهذا السبب ولأسباب كثيرة أخرى سبق لنا أن ناقشناها فى كتاب (أزمة الضير المحضى) قلنا أن للشك أخذ يندب فى صدور القراء من ناحية الصحف وذلك عقب الحرب العالمية الثانية . ويقال: إن نجاح الرئيس روزفلت

في انتخابات الرئاسة بين عامي ١٩٣٢ — ١٩٤٤ كان دليلا على أزمة الثقة بين الشعب والصحافة . فقد ظهر ان ٨٠٪ من الصحف الامريكية جاهرت بعدائها لروزنلت غير أنها كتمت في ذلك غير معبرة عن اتجاهات الشعب الامريكي الذي امر على انتخاب روزنلت .

ولكن هل معنى ذلك ان الصحافة لا تعتبر وسيلة ناجحة من وسائل الاعلام والتأثير في الرأي العام ؟ كلا — فلاننا لا نستطيع بحال من الاحوال ان نستغنى عن الصحف والحريصون منا على معرفة الحقيقة يوجبون على انفسهم ان يقرأوا عدة صحف في وقت واحد . ذلك ان دواء الصحف في دائها غالبا . والخطا الذي تقع فيه صحيفة من الصحف تصلحه صحيفة اخرى . والصواب دائما يقع بين طرفين . وهذا هو شأننا كذلك مع الراديو . فان الاستماع الى اذاعة واحدة لا يأتي بنفس النتيجة التي تكون بالاستماع الى عدة اذاعات في آن واحد .

ان الصحافة هي منبر انراى العلم — لا جدال في ذلك . والصحافة هي اقدر وسيلة من وسائل الاعلام على مناقشة الآراء والمسائل العامة في كل مجتمع . ومن الحقائق التي نؤمن بها كذلك تلك الحقيقة التي تقول « ان لكل مجتمع صحافته التي يستحقها » .

والصحافة في ذاتها صناعة وتجارة ورسالة . وهي جزء هام من الجهاز السياسي لكل دولة . وهي في الوقت نفسه اداة هامة في بناء المجتمعات ، ومتياس لحضارة الأمم على اختلافها . والصحافة مسؤولة كذلك عن تثقيف الجماهير ، مسؤولة عن الاخلاق العامة للوطنين ، مسؤولة في نهاية الامر عن السلام العالمى ، وقادرة على تحقيقه متى خلصت التية في ذلك .

بل ان الصحافة في نظر المفكرين هي المسؤولة عن مستوى المعيشة في البلاد التي تصدر فيها ، مسؤولة عن الامراض التي تعلى منها هذه البلاد .
(والخلاصة) ان الصحافة ليست مهنة فحسب ، وانها هي حياة

أيضا . فلذى يختار الصحافة لا يختار مهنة للكسب نقط ولكنه يختار حياة كلها جهاد وكفاح من أجل المجتمع (١) .

من هنا جاءت أهمية الصحافة . ومن هنا كانت لها هيبتها في المجتمع تلك الهيبة التي عبر عنها نابليون حين قال « اننى أرهب صرير الأعلام أكثر مما أرهب دوى المدافع » . وفي ذلك يقول السياسي الكبير مترنيخ « ان نابليون مدين للصحافة بجيش قوامه ثلثائة ألف جندي على الأقل » (٢)

وكالات الأنباء :

حدثنا الكتب ان تاريخ وكالات الأنباء انما يرجع الى سنة ١٨٣٥ وهي السنة التي ولدت فيها وكالة هافاس .

وهافاس هذا شاب فرنسي أنشأ له مكتبا في باريس لجميع الأنباء . واضطره ذلك الى أن يقوم برحلة كبيرة زار فيها أكثر العواصم الكبرى في القارة الأوروبية . وتعاقد مع مراسلين له في كل عاصمة من هذه العواصم . وكثت الطرق التي اعتمد عليها في توصيل الأخبار الى مكتبه الأصلي في باريس لا تكاد تتجاوز البريد ، والحمام الزاجل ، والأشخاص الذين يبعث بهم هافاس الى تلك البلاد لكي يجمعوا بأنفسهم الأخبار ثم يعيدونها الى هذا المكتب الرئيسي في مدينة باريس حيث يقومون بصياغة هذه الأخبار ثم توزيعها على المشتركين ورجال السلك الدبلوماسي وكبار التجار ورجال المال وغيرهم .

« والغريب أن الصحف في ذلك الوقت حين عرض عليها هافاس أن يدها بالأخبار قبلت ذلك بالرغص التام . وحجتها في ذلك أن المقال كلفت له سيادة العظمى على الصحف حينذاك (٣) » .

ولم تبض أكثر من سنة واحدة على هذا الوضع حتى أدركت الصحف انها اخطأت في ذلك . ومال القراء الى الأخبار . وكان على الصحف ان تشيع

-
- (١) عبد اللطيف حمزة : أزمة الضمير الصحفي ، ص ٢٥ — ٣١ .
(٢) الصحفي المحترف لجون هوهنبرج ترجمة فؤاد مويسانی . ص ٦ .
(٣) اليونيسكو ، الكتب الخالص بوكالات الأنباء ، ط — باريس ١٩٥٤ .

ميولهم من هذه الناحية . وهكذا استطاع هفلس في زمن يسير أن يحقق بوسيلته هذه توثيق الروابط بين باريس ولندن وبروكسل وروما ونيينا ومريد وكثير من المدن الألمانية الكبيرة .

وكالات الأنباء العالمية :

المعروف أن هذه الوكالات العالمية ست الى الآن ، وهي :

١ - وكالة فرانس اجنس الفرنسية (هفلس سابقا) .

٢ - وكالة رويترز الإنجليزية .

٣ - وكالة تاس السوفيتية .

٤ - وكالة الأسوشيتدبريس الأمريكية .

٥ - وكالة النيونليدبريس الأمريكية أيضا .

٦ - وكالة الأترنشيونال نيوز سرفيس الأمريكية كذلك .

وهناك حقيقة هامة لا ينبغي أن يغفل عنها رجال الاعلام . وهي أن جميع الوكالات العالمية للأنباء ترك أثرها واضحا في توجيه الرأي العام العالمى . ومن المستحيل في الواقع أن تكون هذه الوكالات العالمية محيدة في عرض الأنباء . وذلك ما دعا الى انشاء وكالات الأنباء المحلية ومنها (وكالة انباء الشرق الأوسط) في الجمهورية العربية المتحدة وذلك في شهر يناير ١٩٥٦ . وألقت الحكومة على هذه الوكالة طائلة كبيرة من المسؤوليات بها يتفق والمجتمع الجديد الذى تحاول حكومة الثورة ان تتولى بنائه على اسس من الاشتراكية الديمقراطية التعاونية (١) .

ومها يكن من شيء فإن الفرق عظيم بين الوكالة العالمية والوكالة المحلية التى خرينا لها مثلا بوكالة الشرق الأوسط . ويتمثل هذا الفرق في ضخامة الخدمات الاعلامية التى تقدمها الوكالة العالمية وفي المدى البعيد

(١) ليرجع القارئ متى اراد الى كتاب : الاعلام والتحول الاشتراكى للدكتور مختار التهامي ، المحرر بقسم الصحافة بجامعة القاهرة .

الذى يمتد توزيعها ، وفي عدد العملاء الذين يشتركون في هذه الوكالة ، وفيما تملكه من تسييلات في وسائل الارسل والاتصال ونحو ذلك . على حين ان نشاط الوكالة المحلية ينحصر أو يكاد في نطاق البلد الذى تصدر فيه هذه الوكالة . وان كان بعض هذه الوكالات المحلية يوزع نشرات منتظمة وبحدودة في الخارج تستهدف خدمة المواطنين المقيمين في البلاد الأجنبية . ولكنه لا سبيل الى مقارنتها بالنشرات الاخبارية التى تصدرها الوكالات العالمية (١) .

ومع ما تملك هذه الوكالات العالمية من هذه الميزات التى اشرنا اليها فان لها خطرا كبيرا يهدد الاعلام كله في البلاد الصبيلة . ونعنى التى تصل اليها اخبار هذه الوكالات . وذلك لعدم استطاعة هذه الوكالات العالمية - كما تدعى - اتباع الحيدة في نشر الاخبار وصياغتها وشن الوكالة في ذلك تبليها شأن السفح كما سبق القول في هذه القضية .

وربما كان الدواء الوحيد الذى تعالج به هذه المشكلة في الاقتراح الذى سبق ان اقرضناه في كتابنا « مستقبل الصحافة » واقتلاصته انه لا بد من انشاء وكالة انباء عالمية (تابعة تبعية مباشرة لمنظمة « الامم المتحدة » . والمنروض في هذه الوكالة المقترحة هو انها تلتزم الحيدة في نشر الاخبار ، سعيا وراء نشر السلام والرفاهية في شعوب الأرض ، وتبنى خطتها الاخبارية على هذه الأسس وحدها دون غيرها .

وكما ان الصحافة مسؤولة عن وأجبلت كثيرة - منها حفظ السلام في العالم فكللك يجب أن تكون وكالات الانباء لها نفس الهدف . فخذ لذلك هذا المثل (٢) :

« حين حدثت أزمة الحدود بين مصر والسودان منذ اعوام قليلة اذاعت وكالة رويتر الانجليزية برقية في الهزيع الاخير من الليل مؤداها

(١) راجع نيل اولت : الاخبار ليلا ونهارا ، ترجمة أحمد قاسم جودة . ص ٥ .

(٢) عبد اللطيف حبرة : أزمة الضمير الصحفى ، ص ١٦٢ .

أن الجيش المصرى غزا السودان . وكثت وكالة رويتر على الوكالة الوحيدة التى انفردت بنشر هذا الخبر واختارت له توقيتا معيناً هو الهزيع الاخير من الليل لئلا تشره الصحف السودانية تبيل ان يتاح لها الوقت الكافى للتحقق من وقوع هذا الغزو أو عدم وقوعه . وكلن قصد الوكالة الانجليزية من ذلك خلق حالة من التوتر أوحى بها الأوساط الانجليزية فى تلك الفترة .

لا شك أن فى هذا مثلاً صارخاً من الأخبار الزائفة التى يراد بها افساد العلاقات بين قطرين شقيتين يعيشان على نهر واحد وثقافة واحدة .

الإذاعة :

الى ماركونى ثم انيسون من بعده يرجع الفضل فى اختراع الراديو . ويمد الحرب العالمية الأولى انشأت شركة ماركونى مع (الدبلى ميل) فى لندن محطة ارسال أنيقت منها حفلات موسيقية استمع لها الشعب الانجليزى لأول مرة . غير أن هذه المحطة الإذاعية لم تستطع ان تشمل الجزيرة البريطانية كلها فى ذلك الوقت . ثم تقدمت هذه الإذاعة الانجليزية شيئاً فشيئاً حتى أصبحت تسمع فى باريس وإيطاليا والنرويج وسفن المحيط الأطلسى بسهولة .

وفى سنة ١٩٢٠ انشأت بعض الشركات الأمريكية محطة إذاعة كبرى بالولايات المتحدة . وكانت قد سبقتها الى الوجود محطة إذاعة فى موسكو . استطاعت الإذاعة الأمريكية ان تعلن نتيجة انتخاب السيد (وارن هاردينج) رئيساً للجمهورية . وكان ذلك أول انتصار للإذاعة على الصحافة فى نقل الأخبار العامة . فقد تبيل ان الإذاعة سبقت الصحافة فى ليلة الانتخاب . وشجع هذا النجاح شركات كثيرة على إنشاء محطات إذاعية بلغ عددها أربع محطات ارسال سنة ١٩٢١ ، وتسعا وعشرين محطة عام ١٩٢٢ ، وثلاثين واثنين وثلاثين محطة سنة ١٩٢٧ .

وبين الحربين العالميتين الأولى والثانية اخذت تحسينات كثيرة على الإذاعة فى كل من أوروبا وأمريكا ، وتنوعت البرامج فى هذه المحطات تنوعاً كبيراً . وكان من بينها البرامج التمثيلية . ومنذ ذلك الوقت أصبح للإذاعة خطرهما البالغ فى مجال الاعلام . وما زال لهذا الشأن الى اليوم .

والمهم ان الراديو يعتبر من اقوى اجهزة الاعلام فى الوقت الحاضر
لانه غير محدود بحدود الاقليم الذى يوجد فيه . على حين ان التلفزيون
ما زال محدودا بالحدود الاتليمية الضيقة الى اليوم . وفى كلامنا عن الرأى
العلم اشرنا الى الاذاعة والى اختلاف انظمتها وبرامجها باختلاف الحكومات
والشعوب . وللاذاعة الانجليزية نظم ، وللاذاعة الالمانية نظام آخر ،
ولللاذاعة السوفيتية نظام ثالث وهكذا .

فك ان الدول الاوربية الكبرى — وخاصة بعد الحرب العالمية
الثانية — اتجهت الى الاخذ بنظم الاذاعة الرسمية . اى ان الاذاعة فى هذه
الدول اعتبرت جهازا من اجهزة الحكومة . ولها — اى للحكومة — ان توجه
هذه الاذاعة كما تشاء .

التلفزيون :

منذ عام ١٩٣٠ بدأت الدول الكبرى ومن اولها امريكا وانجلترا
وفرنسا والمكسيك والاتحاد السوفيتى طقوسا من التجارب التى ساعدت
على ظهور التلفزيون . وفى عام ١٩٣٦ كانت انجلترا اولى الدول فى تقديم
برامج تلفزيونية بصورة منتظمة . وتبعها الولايات المتحدة الاميركية .
وفى عام ١٩٣٨ انتشر جهاز التلفزيون فى اكثر المنازل فى امريكا . ومنذ بداية
الحرب العالمية الثانية حتى سنة ١٩٤٥ خضع جهاز التلفزيون لتطورات
كثيرة وخطيرة . وفى سنة ١٩٤٨ اصبح عدد محطات التلفزيون فى امريكا
اربعا وعشرين محطة تقوم بالارسال من احدى وخمسين مدينة من المدن
الكبرى . ثم ارتفع عدد المحطات التلفزيونية فى امريكا فى سنة ١٩٥٨
الى خمسمائة وتسع وعشرين محطة . وفى نهاية هذه السنة المذكورة
بلغ عدد محطات التلفزيون فى الاتحاد السوفيتى ثلاثا وستين .

وكما تدخلت الحكومة فى الاذاعة وسيطرت عليها ، فكذلك فعلت
الحكومات بمحطات الارسال التلفزيونى . وفى ذلك ما يدل على القيمة
الكبرى لهذا الجهاز من الناحية الاعلامية الخالصة .

ولأن التلفزيون وسيلة مطلية ومحدودة بحدود الاقليم كما سبقت
الاشارة الى ذلك ، فقد فكرت الحكومات والشعوب فى علاج لهذه الحالة .

وذلك عن طريق تبادل البرامج التلفزيونية . سواء كانت هذه البرامج اخبارية او تعليمية او تمثيلية او غنائية ، ولهذه الغاية انشئ اتحاد لوريى للاذاعات سنة ١٩٥٧ بلمس (الأوروميزيون) يضم اثنتى عشرة دولة لوربية هى : المانيا والنمسا وبلجيكا والدانمارك وفرنسا وإيطاليا ولوكسمبرج ومونكو وهولندا وانجلترا والسويد وسويسرا ، ويعمل (الأوروميزيون) تحت اشراف لجنة البرامج التابعة للاتحاد الأوربى للاذاعات ، ومقر هذه اللجنة مدينة جنيف وتعمل هذه اللجنة على الشكل التالى :

ترسل كل محطة من محطات الدول المذكورة برامجها التلفزيونية التى أنتجتها الى مركز لجنة البرامج وهى اللجنة التى تستقبل هذه البرامج وترسلها الى الدول الاعضاء لتأخذ علما بنوعيتها وموضوعاتها . ثم تجمع الاجوبة التى ترد الى اللجنة من هذه الدول حول البرامج التى تفضلها الدولة على غيرها ، وحول اللغة التى تستعمل فى هذه البرامج عند تقديمها ... الخ (١) .

وفى البلاد العربية فى الوقت الحاضر تعاون وثيق بين محطات الاذاعة والتلفزيون على اختلافا . فنجد هذه المحطات كثيرا ما يتبادل البرامج الاذاعية والتلفزيونية فيما بينها بصورة قوية .

وفى شهر سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦٤ عقد مؤتمر خاص بتطوير التلفزيون فى القارة الافريقية . وقامت هيئة (اليونسكو) بتنظيم هذا المؤتمر فى (لاجوس) . وحضر المؤتمر طائفة من الخبراء العالمين . وانتهى الى عدد من التوصيات المهمة رايت من الخير ان احقها بهذا الكتاب فى نهايته (٢) .

وكان من بين هذه التوصيات على سبيل المثال ما يلى : « لكى نصل الى تفاهم اوثق وتعاطف اشد بين الشعوب الافريقية لابد للهيئات الاذاعية

(١) حسن الحسن : الاعلام والدولة ، ص ١٨٨ - ١٨٩ .
(٢) وقد سبقنا الى ذلك الدكتور مختار التهامي فى كتابه « الاعلام والتحول الاشتراكي » .

الأمريكية أن تقوم بتنظيم تبادل دورى للبرامج فيما بينها . ولابد لهذه البرامج المتبادلة أن تصور الثقافة تصويرا صادقا ، وتصور طريقة الحياة في تلك البلاد والخصائص المميزة لها » .

ومن هذه التوصيات كذلك :

« يوصى المؤتمر بإنشاء مجالس قومية استشارية للتلفزيون ويجب أن تحظى هذه المجالس باهتمام الهيئات التلفزيونية الأمريكية على اختلافها . وذلك باعتبارها وسيلة لزيادة التحسين في فاعلية هذه الهيئات وقوة تأثيرها وعظم وقعها في نفوس المشاهدين من أهل تلك البلاد .

« ويتعين أن تتضمن هذه المجالس الاستشارية بالإضافة الى ممثلين عن الخدمات الإذاعية والتلفزيونية القومية قادة من جميع قطاعات الحياة ، ولا سيما المهنيين منهم على مجالات التربية والاعلام على أن تأخذ هذه المجالس الاستشارية في اعتبارها جميع المسؤوليات التربوية والاجتماعية والتثافية لهيئة التلفزيون صلصة الشأن » .

السينما :

الى (انيسون) يرجع الفضل الأول كذلك في اختراع الصور المتحركة . وقد استطاع (روبرت هول) بعد ذلك أن يدخل تحسينات على آلة العرض للصور المتحركة نفسها وعلى عرض هذه الصور من أبعاد كبيرة دون أن يؤثر ذلك شيئا في وضوح الصور على الشاشة . ثم في عام ١٨٩٥ استطاع العاملان الفرنسيان (لويس وأوجست لوميرا) أن يصنعا آلة جديدة للعرض . وعرضا بها على الجمهور الفرنسي لأول مرة فغلبا طوله خمسون مترا . وكان هذا يحق لأول ميلاد السينما .

ثم جاء (شارل بيايه) من فرنسا متقدم بهذه الصناعة أشواطا بعيدة حققت أرباحا مذهلة في الحقيقة ، ومنذ ذلك الوقت انتشرت السينما في ربوع أوروبا وأمريكا .

وبعد عام ١٩٠٣ انتشرت الأفلام الإخبارية واحتاجت الى مجهودات كالتى تبذلها وكالات الأنباء سواء بسواء . ثم ظهرت الأفلام الروائية .

وفي روسيا السوفيتية أصبحت السينما — على حد تعبير لينين —

اهم الفنون التى تستعين بها الدولة فى نشر مذهبها . وهناك فى تلك البلاد ما يسمى بـ (الجريدة السينمائية) . وهى عبارة عن ملحق لصحيفة (براندا) . وهكذا أصبحت السينما السوفيتية فى نهاية الأمر كما سبق أن اشرنا الى ذلك — واسطة للثقافة ، وهى كذلك من ديمقراطى شسمى بالمعنى الصحيح لهذه الكلمة ، وظيفته الاولى التعبير عن الإنكار والعواطف والرغبات التى تجيش فى نفوس الملايين من الشعب السوفيتى .

وفى أميركا وبعد الحرب العالمية الأولى تقدمت هذه الصناعة تقدما متزايدا سمحت به القدرات الاقتصادية والاجتماعية التى توغرت للولايات المتحدة ولم تتوفر لغيرها . وبعد الحرب العالمية الأولى بنحو عشر سنوات بلغت الأفلام الأميركية درجة من القوة اكتسحت بها جميع الأفلام الأوربية . وكانت الفترة من عام ١٩١٩ الى ما قبل صناعة الأفلام الناطقة هى للأفلام الصامتة فى أميركا (١) .

وقد سبق لنا فى الباب الخالص بالرأى العام أن تحدثنا عن أثر السينما من ناحيتين هما تكوين الرأى العام من جهة . ونشر الثقافة من جهة ثنية ، فلنلنا بحاجة الى تكرار ما قلناه .

المعرض :

وهو من أنفع الوسائل الاعلامية فى الوقت الحاضر . لأنه ليس وسيلة من وسائل اللهو والتسلية وقضاء أوقات الفراغ بقدر ما هو وسيلة اقتصادية ناجحة للتعريف بشتى وجوه الحياة فى الأرض التى يقام عليها . والمعرض فى ذلك شأنه كشأن السوق فى العصور القديمة حين كانت تجتمع بين المعروضات المادية والمعرضات الفكرية كالشعر والخطب ونحو ذلك ، وإن كانت هذه المعروضات الفكرية قلما توجد فى المعارض الانجليزية بقدر ما توجد فى المعارض الدولية . وقد التفت الاعلاميون المحدثون الى هذه الظاهرة القديمة — وهى الجمع بين المعروضات المادية والمعرضات الفكرية ، مثال ذلك :

(١) المصدر المتقدم ، ص ٣٣٣ .

حدث في معرض نيويورك الدولي أن عرّضت (الأردن) في الجناح الخاص بها لوحة كتبت عليها قصيدة مؤثرة تصور حالة اللاجئين المطرودين من فلسطين ، وكان لهذه اللوحة تأثير نفسي وأخسر اعلامي في نفوس الجماهير . فما كان من اسرائيل الا أن اتهمت الدنيا واتعتها ولم يهدأ لها بال حتى تمكنت من ازالة هذه اللوحة من المعرض .

ومن الأمثلة على المعارض الحديثة كذلك (المعارض المتحركة) وهي معارض تنقل على ظهور السفن والبواخر الكبرى ، ومن الأمثلة عليها معارض اليابان للأسلحة الحربية والمنتجات القومية . وقد أخذ هذا المعرض ينتقل في عرض البحار ويرسو على مختلف الأنظار ويجذب اليه الأنظار .

هكذا تعددت وسائل الاعلام الحديثة ، والظاهر أن المستقبل يخفى منها مددا أكثر وأنسخم . فقد سمعنا أخيرا عن الصحف التي تنشر في البيت من طريق جهاز يلتقط الأنباء ويسجلها على شريط ، ويقدنها للبيوت مع أخبار أخرى مكتوبة بهذه الطريقة . وقد استطاعت بعض الشركات أن تدخل تعديلا على هذه الأجهزة بحيث تتمكن كذلك من نقل الصور الى جلابب الألفاظ . وبهذه الطريقة تستطيع الصحيفة أن تنافس الراديو والتلفزيون منافسة قوية .

الزيارات الرسمية وغير الرسمية :

وهي شبيهة (بالبعثات النبوية) التي تحدثنا عنها قبل ذلك . والتباس هنا مع الفارق . . وقد أصبحت الزيارات وسيلة من وسائل الاعلام التي ينتفع بها كثيرا في الوقت الحاضر . والأمثلة على هذه الزيارات كثيرة فتلعبنا بها الصحف ومحطات الاذاعة والتلفزيون كل يوم .

وقد أدركت الحكومات المتصارعة ما لتبادل الزيارات من الفوائد الجليلة ، فنرى رؤساء الدول في وقتنا هذا يكثر من هذه الزيارات . وقد يؤدي بعضها الى عقد مؤتمرات ومعااهدات . وفي هذه المؤتمرات أو الزيارات يناقش العديد من المشكلات الاقتصادية والمشكلات الدولية التي تمتاز بصفة (الحالية) . فيؤدى كل ذلك للمواطن الحديث بأن العالم قد أصبح أسرة واحدة بل جسدا واحدا اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحيى !!

ومن الأمثلة على الزيارات كذلك تلك الدعوات التي تتوجه بها الدول الكبرى كأمريكا وروسيا وإنجلترا إلى بعض الصحفيين أو السياسيين أو الأدباء والفنانين لزيارة هذه البلاد والتعرف على مجالات التقدم فيها . وكثيرا ما تعتمد الدول النامية كذلك إلى هذه الطريقة لإتعارف عليها الرأي العام العالمي .

ومن هذا القبيل كذلك ما تلجأ إليه بعض الحكومات من توزيع صور الزعماء والتلة وكبار الشعراء والكتل والفلاسفة والمفكرين في الأمة . ويكون هذا التوزيع إما في داخل الوطن الذي ينتمى إليه هؤلاء البارزون ، وإما في خارجه . وفي هذه التصرفات وأمثالها تعريف بالأمة التي أنتجت هؤلاء التابخين وسعدت بهم .

ومثل هذا يقال أيضا بالقبلى إلى (الرحلات) التي تقوم بها الهيئات والشركات والمدارس والمعاهد والجامعات إلى بلاد بعيدة بقصد التعرف عليها ، وتعريف أهلها بهم وببلادهم وما وصلت إليها في ميدان الأدب والفن والفن .

المؤتمرات :

وهى أنواع : فمنها المؤتمرات الصحفية والطبية والأدبية والعلمية والبرلمانية التي نسمع بها كثيرا في معظم الدول المتحضرة . ومن أوضح الأمثلة عليها المؤتمر الصحفى الذى يعقده رئيس جمهورية الولايات المتحدة بصفة دورية .

ومن أوضح الأمثلة عليها كذلك (مؤتمرات القمة) التي يعقدها رؤساء الدول العربية والأمريكية أو الآسيوية أو الأفروآسيوية وما إليها . ولشهرة هذه المؤتمرات على اختلافها عنيت بها الصحف والأذاعة والسينما والتلفزيون ، ولذلك لا تحتاج منا إلى مزيد من القول . بقى أن نتحدث عن وسيلة أخرى من وسائل الاعلام الحديثة وهى :

العلاقات العامة :

والعلاقات العامة — كما قلنا — هى فن الاتصال بلجباهير التي تتعامل معها المؤسسات العامة في المجتمع سواء كلفت هذه المؤسسات أو المنشآت أهلية أم حكومية .

والهدف منها في الواقع هو رعاية الروابط الاتساقية السليمة في المجتمع وكسب الجماهير ، وضمان التفاهم التام بين هذه المؤسسات على اختلافها . وبعبارة أخرى ان فن او علم العلاقات العامة يهتم كذلك بالكشف عن الاسس والمبادئ التي تساعد على اقامة روابط ودية سليمة بين فئات الشعب من ناحية والمؤسسات الاقتصادية والاجتماعية من ناحية أخرى (١) . ويسبب هذه المعرفة الدقيقة يستطيع الجمهور أن يتصرف تصرفا سليما مع هذه المؤسسة او المهنة ، ويستطيع في الوقت نفسه ان ينتفع بها على الوجه الاكمل .

واما الفوائد التي تعود على المؤسسة الاهلية او الحكومية من وراء العلاقات العامة فكثيرة ايضا .

لقد اثبتت التجارب والاحصاءات الكثيرة ان المؤسسات لا تتقدم في عملها بقوة (الادارة) وحدها . بل بقوة العلاقات العامة الى جانب ذلك . وقد اعتاد علماء هذا الفن ان يشبهوا المؤسسة بمركة لها جوادان : أحدهما يمثل الناحية الادارية في المؤسسة ، والثاني يمثل ناحية العلاقات العامة . كما يمكن تشبيه المؤسسة كذلك بالطائرة لها جناحان ، جناح يمثل الادارة ، وآخر يمثل العلاقات العامة .

ولكن — هل معنى ذلك انه لابد لكل مؤسسة من وجود جانب التسويق الى جانب العلاقات ؟

كلا — فان هناك مؤسسات حكومية وأخرى اهلية ليس لها جانب تسويق . ومثال ذلك الجامعات والمستشفيات العامة . فمن غير المعقول ان يكون للجامعة او المستشفى ناحية تتصل بالتسويق . فالجامعة عملها نشر العلم . والمستشفى عمله العلاج . وليس للجامعة او المستشفى ان يبيع الناس شيئا يربحان من ورائه ربحا قل او كثر . ومعنى ذلك ان التشبيه بين الآخرين لا ينطبقان الا على المؤسسات الصناعية والتجارية وليس غير .

(١) ابراهيم الامام ، العلاقات العامة والمجتمع ، ص ٧ .

(والخلاصة) ان العلاقات العامة عبارة عن نشاط مؤسسية من المؤسسات او نقابة من النقابات او شركة من الشركات ، او دائرة من الدوائر الحكومية . او جمعية من الجمعيات ، او اصحاب مهنة من المهن من اجل اقامة علاقات سلبية ونفعية بين الجمهور العلم وهو جمهور المستهلكين وبين هذه المؤسسات بن فيها من المساهمين والموظنين . وذلك كله بغية التكيف مع البيئة ، وبغية تفسر النشاط الاجتماعى الذى تراوله كل منظمة من تلك المنظمات (١) .

ولكن ما الفائدة التى تعود على الطرفين - طرف المؤسسة من جانب وطرف الجمهور المنتفع من جانب آخر - من وراء العلاقات انعلية ؟
الواقع ان فى تبادل الآراء والأفكار بين هذين الجانبين فائدة كبيرة تعود على كل منهما على حدة .

ثم ما هى الوسائل التى يعتمد عليها رجل العلاقات العامة ؟

ليس أمام هذا الرجل الا الوسائل الاعلامية المعروفة كالصحافة والاذاعة والتلفزيون والسينما . وهو فى استخدامه لهذه الوسائل الكثيرة بحاجة ماسة الى ثقافات كثيرة يستطيع ان يفهم بها عقلية الجماهير وان يتعامل معها بطرق سلبية . ومن هذه الثقافات علم النفس وعلم الصحافة وعلم الاقتصاد وطرق قياس الراى العلم وطرق الاستفتاء وعلم الاحصاء ونحو ذلك .

وعلى هذا فالعلاقات العامة ليست مجرد اقامة الحفلات والظهور بين الناس بالملابس الرسمية والقاء الكلام المصول فى الترحيب بالجماهير ، كلا - فانها أبعد من ذلك وأعرق . انها عبارة عن افهم النفس حقائق المؤسسة الحكومية أو الأهلية ولوضاعها وتفسير هذه الأوضاع وتعليلها والوصول من وراء ذلك الى غاية رئيسية هى (التكيف الاجتماعى) الى جانب غايات أخرى من أهمها الربح المادى أو النجاح المعنوى للمشروع الذى تتولى العلاقات العامة شرحه للجماهير .



وهكذا استطاعت وسائل الاعلام الحديثة أن تغير مفهوم الناس لمعنى السليسة . وفي ذلك يقول الأستاذ الفرنسي بول فاليري :

« لقد كثفت السليسة طيلة قرون عديدة عبارة عن فن منع الناس من الدخول نميا لا يعنيههم ، فلمصبحت في عصرنا هذا عبارة عن فن استجواب الحكم عما يجهله الشعب من المسائل السليسية وغير السليسية على المنسواء » .

مهما يكن من شيء فإن أشهر الوسائل الاعلامية والصتها بالمواطنين في المجتمع الواحد وسيلتان كبيرتان هما الصحافة والاذاعة . ولذلك يشتد الصراع بين هاتين الاداتين . وهو صراع ينتفع به الجمهور القسارى او السليع .

ومن هنا لا نستطيع ان نترك هذا الفصل دون ان نخوض في بعض الموضوعات التى تتصل بوسائل الاعلام . ومن أهمها موضوعان كبيران :

اولهما : المنافسة بين الراديو والتلفزيون والصحافة .

وثانيهما : اللغة التى تستخدم في هذه الأجهزة الثلاثة . ونعنى بهذا اللغة النصيحة التى يمكن ان تكون مفهومة من كبر عدد ممكن من أبناء البلاد العربية في وقتنا الحاضر . أما اللغة العلمية او اللهجة المحلية فلم نشأ ان نعرض لها في هذا البحث .

بين الراديو والصحف :

تعالى الصحف في وقتنا هذا كثيرا من المشقة في منافسة الراديو والتلفزيون . مع أن الحقيقة ان هذه الادوات الثلاث يعين بعضها البعض ويكمل بعضها البعض بطريقة تلقائية لا عناء فيها . وأكثر ما تظهر هذه المنافسة على أية حال في البلاد الراسمالية الكبيرة كالولايات المتحدة الأمريكية . فقد كان عدد الصحف اليومية عام ١٩٠٩ في تلك البلاد ألفين وستمئة صحيفة . ثم في عام ١٩٥٥ هبط هذا العدد الى ١٧٨ صحيفة فقط . والسبب في ذلك هو دخول الصحف في منافسة قوية مع الراديو بنوع خلس . ولم تجد الصحف الأمريكية أملها للتخفيف من هذه المنافسة غير طريق واحد : هو طريق انماج الجرائد والمجلات في تكتلات صحفية يساعد بعضها بعضا على الظهور للجبهسور بأخبار كثيرة وموضوعات

متنوعة ، وأعمدة ثلاثية ، وصور جذابة ، ومواد اعلامية تزيد على المواد التى يقدمها الراديو . وبهذه الطريقة الأخرى تستطيع كل صحيفة من تلك الصحف ان تضمن لنفسها ابتداء من أجل المجموعة التى تنتمى اليها . وهى المجموعة التى يتحمل بعضها خسائر بحسب فى المثل - ويزود بعضها بعضا بالمواد الاعلامية من جميع الصور والأشكال .

على ان الراديو من بين وسائط الاعلام فى الوقت الحاضر ما زال يحتفظ لنفسه بمكانة عالية وتأثير كبير فى نفوس المستمعين . وحسبنا ان نشر من مزاياه العديدة انى ما يلى :

أولاً - انه اصحح الوسائل الاعلامية بالتقليص الى المجتمعات البدائية او التقليدية ، وذلك لانتشار الامة فى هذه المجتمعات ، واسوء المواصلات وقلة المال الذى تستعين به هذه المجتمعات التقليدية فى ادخال التحسينات اللازمة على هذه المرافق الحيوية من مواصلات وتعليم وطرق اعلام ونحو ذلك .

ثانياً - ان الراديو يمنح المواطنين فى البيئات المتقدمة او الحديثة حرية اعلامية اوسع من بقية الوسائل الاعلامية الأخرى كالمصحف بنوع خاص . ذلك ان فى استطاعة المستمع بحركة بسيطة يحرك بها زرا من ازرار الراديو ان يستمتع الى محطات اذاعية كثيرة فى وقت واحد . وتستطيع هذه الاذاعات ان تمد المستمع بأخبار متنوعة وآراء وأفكار متباينة يصحح بعضها بعضا ، وتعطى فى النهاية صورة متكاملة للمشكلة التى تتحدث منها محطات الاذاعة المختلفة وقبل بها الراى العام سواء فى ذلك المجتمعات المتقدمة او المجتمعات النامية .

هكذا يتمتع المستمعون بحرية اعلامية كبيرة عن طريق الراديو ، فى حين ان ثمن هذه الحرية الاعلامية كبير عن طريق الصحف والمجلات والكتب وما إليها .

ثالثاً - ان الدعاية عن طريق الراديو - ومعه التلفزيون - اعظم اثرا من الدعاية عن طريق الصحف وحدها . ذلك ان المستمع يظل أكثر على التأمل والنقد حين يكون وحده فى مكان يستمتع فيه الى الراديو أو

يشاهد فيه التلفزيون . ولكن المستمع يفقد هذه القدرة في الغالب عندها
يمضى الى خطبة يشترك في الاصغاء اليها عدد من الجماهير الصغيرة التي
اجتمعت لسماعها . وكذلك الشأن في المحاضرة ونحو ذلك .

رابعاً - ان الراديو قادر دائماً على ان يجعلنا نعيش في عالم غنى
بالاحاسيس الاجتماعية . وربما كان هذا هو السبب في التصرف الذي يبدو
غير معقول من بعض المواطنين حين يتركون الراديو مفتوحاً طول النهار
دون ان يصفوا اليه .

خامساً - ان الراديو له فضل على الجماهير من الناحية اللغوية
البحثية . فمما لا شك فيه ان الراديو يزيد في محصولهم اللغوي يوماً بعد
آخر .

سادساً - ان الناس لا يتصل بعضهم ببعض من طريق النظر بقدر
ما يتصل بعضهم ببعض عن طريق السمع . واصلح من هذا ان يقال انه من
طريق النظر يتصل الناس بالاشياء . ولكن عن طريق الاذن يتصلون
بالاحياء . والفرق بعيد بين الحالتين . ومن ثم كان الراديو اقدر من سواء
على تزويد الناس بالاحاسيس الاجتماعية والتلذذات الذهنية .

بين الراديو والتلفزيون :

من الموازنة بين الراديو والتلفزيون يتضح لنا ان الراديو يمثل بان
موجاته تخترق كل انحاء العالم في اقل من لح البصر . ذلك ان موجة
الاثير تدور حول الكرة الارضية في نحو $\frac{1}{8}$ الثانية لا تنف في سبيلها حدود
او حدود . على حين ان التلفزيون محدود بدائرة قطرها لا يزيد حتى الان
عن مائة ميل . ولا بد من وجود محطات للتقوية كلها اريد التوسع في هذه
الدائرة .

ومن هنا نجد برامج التلفزيون في كل بلد من بلاد العالم برامج
محلية لا تتعدى حدود الوطن الذي توجد به المحطة التلفزيونية .

ومن ثم كان الراديو اقدر على تكوين (الراى العام العالمى) وقميد
يتفوق على الصحافة نفسها في هذا السبيل . أما التلفزيون فانه اقدر على
تكوين الراى المحلى .

لجری استفتاء في البلاد العربية حول وسائل الاعلام . ولكن من نتائج هذا الاستفتاء أن ٧٦٪ من البلاد العربية يفضل (الاذاعة) على بقية الوسائل الاعلامية . وانتشرت الجمهورية العربية المتحدة بتفضيل الصحف على غيرها من هذه الوسائل .

ولا ينبغي لنا ان ننسى في مجال التنافس بين الاذاعة والتلفزيون والصحافة كذلك ما قيل عن العصر الذي تعيش فيه من أنه (عصر الترانسسستور) وهو جهاز صغير من اجهزة الاذاعة يحمل في اليد بل يحمل في الجيب . واعتبرت الاستعلاء بخاطر هذا الجهاز ، وبقه كان كثيراً لا يحيط الجهود التي بذلها في الشرق الاوسط . وقال ان كل جهاز من هذه الاجهزة الصغيرة كان اقوى من فرقة كاملة مسلحة .

وسيلة الاتصال الشخصي :

تحققنا الى الآن عن وسائل الاعلام القديمة والحديثة بوجه عام . ولم نشر اشارة كافية الى وسيلة أخرى يعرفها الجميع . ولكنها لشهرتها بين الناس لا تحتاج الى من يشرحها لهم . وهذه الوسيلة من وسائل الاعلام المعروفة في كل زمان ومكان هي (الاتصال الشخصي) أو المباشر . وعليها تعتمد الدعاية في كل شكل من اشكالها . والسبب في ذلك ان الناس يتاثرون عادة بطريق الاتصال الشخصي أكثر مما يتاثرون بطريق الصحف أو الاذاعة أو التلفزيون . ذلك انهم مع الصحف والاذاعة لا يعيرون انتباههم الا الى الاشياء التي تهتمهم . ولكنهم مع الاتصال الشخصي مخطرون الى الاستماع لمن يحدثهم في موضوعات غير مطلوبة ولا محدودة لهم من قبل . ثم أنه في حالة الاتصال الشخصي المباشر يسهل على المتحدث ان يقدر رد الفعل المباشر على من يحدثهم ، كما يسهل عليه أيضاً أن يكيف نفسه وحديثه تبعاً لذلك . وهذا ما لا يتيسر بالطبع للصحيفة أو الراديو . ويضاف الى كل ذلك انه من اليسير علينا دائماً ان نفتتح بوجهة نظر اناس بيننا وبينهم صلات . في حين أنه ليس من السهل ان نفتتح بوجهة نظر الكتاب والمخبرين الذين قل ان نعرفهم كما نعرف الاصدقاء .

بين اللغة المسموعة واللغة المكتوبة :

كتب الأديب الفرنسى (جورج ديهايل) قال :

« عرنت بنفسى طبيا من الأطباء حضر موقعة من مواقع القتال وسمع
بانفيه أصوات المدافع فى الميدان ، كما سمع أنين الجرحى وأصوات الذعر
التي أتبعثت من بعض الجنود . ولكن مشاعر هذا الطبيب لم تهتز لهذه
الأصوات المؤلمة جميعها . وحين عاد هذا الطبيب الى بيته وقرأ من هذه
الموقعة فى كتاب تقرأ بما قرأ الى حد البكاء » (١) .

ليس لهذا الحديث الذى رواه الأديب الفرنسى غير معنى واحد وهو
أن من الناس من تؤثر فيهم الوسائل السمعية من وسائل الاعلام . ومنهم
من لا يتأثرون بغیر الوسائل البصرية منها . . . وربما كان هذا هو السبب
الذى من أجله يجد المتقنون لذتهم الكبرى فى القراءة ، ولا يجدون ما يعادل
هذه اللذة فى الاستماع أو المشاهدة .

مهما يكن من شئ فإن هناك فروقا واسعة بين اللغة المسموعة واللغة
المكتوبة . أو بعبارة أخرى — بين لغة الراديو ولغة الصحف . غابا من
ناحية الراديو فإن من المبادئ المتفق عليها فى الوقت الحاضر أن هناك
فيها يذاع أشياء يجيبها الجمهور وأشياء لا يعيل إليها . ولذلك تحرص
محطات الإذاعة فى العالم على استفتاء الجمهور المستمع بين آن وآخر عن
طريق رسائل المواطنين الى محطة الإذاعة . ومن هذه الرسائل يستطيع
الذيع أن يدرك ميول الجماهير وعليه أن يشبع رغباتهم . والمستمعون فى
هذه الحالة لا يتصلون بالذيع الا عن طريق آذانهم . أما أبصارهم فلا ترى
الذيع ولا تدرك صورته أو هيئته . ومع هذا وذاك فإن المستمع يدرك بذهنه
علما آخر مليئا بالأحاسيس الاجتماعية — كما قلنا .

ومن الحقائق التى نعرنها كذلك بالنسبة الى الراديو أن له وقتا معينا
من لواتل النهار والليل . وهذا من جهة . ومن جهة أخرى نجد أن المذيع
لا يتوقف فى إذاعته ولا يسمح لنا بمراجعة الكلمة المذاعة — كما نفعل ذلك

بالكتاب ، فإتينا حين نجد صعوبة ما في فهم العبارات المكتوبة غفناً نأخول
إن نعيد قراءتها مرة أو مرات حتى نفهمها فهما جيداً .

وبناء على هاتين الحقيقتين السابقتين نجد أنه يجب على اللغة
المسموعة أن تتميز بهذه السمات :

أولاً - سمة القصر في الجمل والعبارات . فلا ينبغي للذئع أن يعمد
إلى الجمل الطويلة أو العبارات المتشابهة ، ولا يصح له أن يعمد كثيراً
على الجمل الاعترافية وبذلك يسهل على السامع التقاط الكلمة المذاعة ،
كما يفسر له الحصول على معناها الإجمالي . ومعنى ذلك باختصار أن بناء
اللغة المسموعة ينبغي أن يختلف عن بناء اللغة المكتوبة ، وذلك أن السامع
لا يستطيع أن يقف من الكلام المذاع موقفه من الكلام المكتوب . فهو في حالة
الكلام المكتوب يعدل من سر القراءة قصد التغلب على صعوباتها .

ثانياً - في مقدور الذئع أن يلجأ لحبساً إلى تكرار بعض الألفاظ
ليسهل حفظها على السامع . وعلى الذئع أن يصنع في ذلك صنيع المدرس
الذي يحرص كل يوم على تعليم تلاميذه الألفاظ الجديدة ويحرص كذلك على
تثبيتها في أذهانهم عن طريق التكرار كلما أمكن ذلك .

ثالثاً - يجب أن تكون عبارات الذئع واضحة كل الوضوح . ولا
ينبغي له على الإطلاق أن يصطنع المبهم من الألفاظ أو الغامض من الأساليب
والأضاعت على المستمعين ثمرة استماعهم . وربما تعودوا بعد ذلك إقبال
الجهاز عندما يجرى دور هذا الذئع في البرنامج .

رابعاً - يحسن برجال الإذاعة كما يحسن برجال الصحافة أن
يحاولوا الوصول إلى لغة اعلامية خاصة بوسائل الاعلام على اختلافها ولا
يكون ذلك إلا بالعمل على تحديد الكلمات التي يكثر دورانها في أجهزة
الاعلام . والفرق بين هذه الكلمات المستعملة وكلمات القاموس كبير للغاية .
وبنبوض ذلك بجلاء عندما نتكلم الآن عن :

لغة الصحافة والإذاعة :

من الأمور المتفق عليها بالنسبة للصحافة في الوقت الحاضر أننا نكتب
لفهمنا الناس . ومن هذه القاعدة البسيطة كل البساطة نبداً خطواتنا نحو

أنشاء (لغة عربية بسيطة وعصى في نفس الوقت) يمكن أن تكون لغة عالية في المستقبل القريب أو البعيد .

والسبيل إلى ذلك هو أن نعد إلى مجموعة من الكتب التي يكتبها المؤلفون للجمهور القارئ وتقوم بلحساء الألفاظ اللغوية التي نجدها بهذه الكتب . وبهذه الطريقة نصل إلى أكثر الكلمات العربية شيوعاً في هذه الكتب .

ومن حسن الحظ أن العلماء قد بذلوا جهوداً مشكورة في هذا السبيل . واثرت هذه الجهود ظهور (معجم بيلا Charles Pillat) المطبوع الآن في باريس . جمع فيه صاحبه الكلمات الأساسية في اللغة العربية .

وفي سنة ١٩٥٠ نشر العالم بريل في القدس قاموساً آخر . هو (قاموس الصحافة العربية اليومية) واعتمد في وضعه على طرق الإحصاء الحديثة . وهي أن تحصى عدد المرات التي تتكرر فيها الكلمة الواحدة . ثم ترتب هذه الكلمات بحسب مقدار ورودها وتكرارها . وقد رجع بريل في هذا الإحصاء إلى مجموعة الصحف العربية التي صدرت في مصر وفلسطين ولبنان والعراق ، وذلك فيما بين سنتي ١٩٣٧ ، ١٩٣٩ .

وبذلك توصل بريل إلى جمع ١٣٦ ألف كلمة أثبت أن خمسة منها ترد بنسبة ٦١٪ وأن ألف كلمة منها ترد بنسبة ٨٩٪ وأن ثلاثة آلاف كلمة فقط ترد بنسبة ٩٥٪ .

ومعنى ذلك أن ألف كلمة عربية تكون ثلاثة أرباع الثروة اللفظية للكاتب وللصلى (١) .

وهذه البحوث العلمية وأمثالها إنما تستهدف شيئاً واحداً فقط هو الوصول إلى ما نسميه (طواعية القراءة) (Readability) وهو مجال ميسر للطلاب اللغويين إلى يومنا هذا . وسيكون له تأثير كبير على لغة الإعلام بوسائله الكثيرة من إذاعة وصحافة وتلفزيون ومسرح وسينما ونحو ذلك .

(١) مراد كليل ، محاضرة بعنوان « العربية لغة عالمية » القاها بمؤتمر مجمع اللغة العربية ببغداد سنة ١٩٦٦ .

الفصل الثاني

الاعلام والدولة

ماذا نعنى بالاعلام والدولة ؟ ولماذا كانت العلاقة بينهما شيئا ضروريا للمحافظة على كيان الامة ؟ .

سبق لنا ان اجبنا على هذا السؤال في كتابنا (الاعلام — له تاريخه ومذاقه) . والآن نعود الى الاجابة عن هذا السؤال بطريقة اخرى .

المقصود بالاعلام والدولة هو ان لكل نوع من انواع الحكومات في العالم مذهباً اعلامياً يوافق هذا النوع ويحقق الغرض الذى يسمى اليه .

ولما كانت الصحافة اول نموذج من نماذج الاعلام الحديث ، فقد وجدنا الحكومات الحديثة تسعى للسيطرة عليها بكل الطرق الممكنة : لذلك وجدنا الصحافة العربية تنشا في حجور الحكام ، وتصدر بوجههم وأفكارهم وأموالهم ، كما كان الشأن في مصر أيام محمد على وفي العراق في عهد محمّد باشا . وإما في أوروبا فقد وجدنا الحكومات منذ شعرت بخطورة هذه الاداة الاعلامية الجديدة وهى الصحافة تتجه الى السيطرة عليها إما بوضع القيود الخاصة بذلك ، وإما بشرائها بالمال لكي تكون موالية لها ، ناطقة باسمها ، معبرة عن اتجاهاتها . وشأن الصحف في هذه الحالة الأخيرة شأن الاذاعة فقد كانت أجهزة الراديو أهلية في اول الأمر . ثم لم تدم الحال على ذلك الا ريثما التفتت الحكومات الى خطورة هذه الاداة الاعلامية الثانية فسيطرت عليها واتخذت منها جزءاً من الجهاز الرسمى للدولة .

غير ان ذلك لم يمنع مطلقاً من وجود الصحافة الحرة . وإن كان ظهور الصحافة الحرة متأخراً بعض الشيء عن الصحافة الرسمية المقيدة بمصالح الدولة .

مهما يكن من شيء فإن حاجة الدولة الى الصحافة او الاذاعة ربما كانت اقوى من حاجة المينحائية الى الدولة . وقد جاءت اقوال الكثيرين من

قادة العالم مؤيدة لهذه الفكرة . فمن الأقوال التي أثرت عن نابليون
بونابرت قوله :

« ينبغي للحكم أن يجعل الصحافة في خدمته دائما » .

كما أثر من خروشوف أنه قال :

« الصحافة هي سلاحنا الفكرى الإيديولوجى الرئيسى . وإذا كان
الجيش لا يستطيع خوض القتال بدون سلاح فكذلك الحزب لا يستطيع
ممارسة أعماله بنجاح دون أن يتزود بسلاح الصحافة . ومن ثم يستحيل
علينا أن نترك الصحافة في أيدي غير أمينة . فهي لابد أن توضع في أيدي
الأيدي أمينة وأجدها بالثقة » .

لنا بعد ذلك أن نسأل أنفسنا هذا السؤال :

كيف تختلف الصحافة من بلد الى آخر باختلاف أنظمة الحكم فيها ؟

الواقع أن الصحافة وبقية وسائل الاعلام المعروفة ترتبط ارتباطا
وثيقا بأنظمة الحكم على اختلافها . فهناك نظام الملكية الاستبدادية ، ونظام
الملكية الدستورية . وهناك نظم الجبهزيريات بأشكالها المختلفة . ولهذه
الأنظمة صلتها القوية بالمذاهب السليسية . كالمذهب الفردى أو الراسمالى،
والمذهب الاشتراكى ، والمذهب الشيوعى . وهى المذاهب التى تمثل
الصراع البشرى بين الفرد والمجتمع أو بين الطبقات التى يتألف منها
المجتمع .

والاعلام هو الوسيلة الوحيدة والسريعة التى يؤثر بها الحاكم فى
المحكوم ، ويؤثر بها المحكوم فى الحاكم .

والاعلام هو الوسيلة الوحيدة للتفاهم الذى لابد منه لهذين الجانبين .

« غير أن الحكام يتفاوتون تفاوتاً بعيد المدى فى نوع التفاهم الذى
يربطهم بالشعوب التى يحكمونها . فمنهم من لا يسمح بهذا التفاهم على أية
صورة من الصور — كما فى الحكم الاستبدادى أو الديكتاتورى . ومنهم من
يسمح به دائما — كما فى الحكم الديمقراطي . ومنهم من يفتح له بعض

القيود الخاصة — كما في الحكم الاشتراكي . ومنهم من يحرم المواطنين حرياتها من هذا التفاهم اعتمادا منه على أن للحكومة لا عمل لها إلا اسعاد الشعب بجميع أفراداه على السواء — كما في النظام الشيوعي وهكذا « (١) » .

نظر علماء الصحافة في كل هذه الظروف أو الفروق فوجدوا أن العلم في عصوره التاريخية كان ولا يزال محكوما بنظريتين بارزتين من نظريات الاعلام وهما . .

١ — نظرية السلطة .

٢ — ونظرية الحرية .

ومن هاتين النظريتين السابقتين تولدت نظريتان أخريان أصبحتا تحكيان العالم في العصر الذي نعيش فيه وهما . .

٣ — النظرية السوفيتية التي تولدت من نظرية السلطة .

٤ — نظرية المسؤولية الاجتماعية التي تولدت من نظرية الحرية (٢) .

فما المقصود بنظرية السلطة ؟

السلطة من أنظمة الحكم التي نتحدث عنها هي التي تتجسد في الملك أو الخليفة أو الإمبراطور أو الأمير أو الديكتاتور الذي لا يؤمن بالحرية وبالديمقراطية ، ولا يسمح للشعب أن يشترك في الحكم بصورة أو بأخرى .

وتستند (السلطة) باعتبارها نظاما من أنظمة الحكم على فكرة « الحق الإلهي المقدس » وعلى الفكرة الثقلية (بأن الحاكم ظل الله وخليفته في الأرض) .

معنى ذلك أن الحاكم المطلق هو وهذه صاحب الحق في الهيئة على

(١) عبد اللطيف حمزة ، الاعلام — له تاريخه ومذاهبه ، ص ٦ — ٧ .

(٢) Four Theories for the Press by : Siebrt, Peterson and Sebraman. (٢)

Urban University 1956.

أمور الأمة ، أو صاحب الحق في تصريف الأمور العامة . غير أن الحكم المطلق في العصور السابقة كان يدرك مع ذلك أنه لا يستطيع أن ينفرد بهذه السلطة . فقد تعرض له أمور لا يعرف الصواب فيها من الخطأ . ومن ثم تظهر الحاجة إلى استشارة الحكماء أو العلماء أو سفوة الأمة . وكان على هؤلاء أن يبدؤوا بالمشورة النافعة والآراء الراجحة متى طلب إليهم ذلك .

ذلك بالضبط ما حدث في الدول الإسلامية كالدولة الأموية والدولة العباسية . فقد كان هناك ما يسمى « بأهل الحل والعقد » . وهم جماعة من علماء الدين كان يرجع إليهم الخليفة فيما أشكل عليه من أمور المسلمين .

وذلك بالضبط ما تحدث في الدول الأوربية قبل عصر النهضة فقد كانت الفكرة التي تستند إليها الدول الأوربية حينذاك هي الفكرة القليلة (بأن الحقيقة لا تتبع من من جمهور العلة ولكن تتبع من اذهان الخاصة وهؤلاء هم الحكماء والعلماء ومن إليهم) .

وهكذا انتصر المبدأ الاعلى في ذاته على جهتين وهما :

جهة الحكم الفرد أو الملك المستبد ، وجهة السفوة من رجال الأمة ، وهم بطبيعة الحال قليلون من حيث العدد . ورايهم ليس ملزماً للحكم نفسه . ومن ثم كانت (السلطة) هي وحدها صاحبة الحق في ممارسة الرقابة الفعلية على العمل الاعلى في أوربا . وهي وحدها صاحبة الحق في اعطاء التراخيص لمن يريد من الناس إصدار صحيفة أو نشرة أو نحو ذلك .

وقبل أن ندع الكلام عن مذهب (السلطة) نضرب مثلاً عليهما من واقع التاريخ الاسلامي نفسه . وليكن المثل الذي نضربه هنا هو (الخليفة المنصور) من خلفاء الدولة العباسية . وقد كان رجلاً قوياً البطش لا يعرف في سلسلته لنا ولا رحمة . وكانت له طريقته الخاصة في مراقبة الكتب والادباء الذين كانوا يمارسون الاعلام الاسلامي عن طريق نشر الكتب .

لترك أيلم المنصور كتب كبير هو عبد الله بن المقفع مترجم (كيلة وديمة) . ومذهب المؤرخون الي أن السبب الحقيقي في كتابة (كيلة وديمة)

هو توجيه النقد الى الخليفة بطريقة رمزية وذلك في وقت عز على ابن المتنع
ان يلجأ الى طريقة الكتابة غير الرمزية . ثم شعر ابن المتنع بعد ذلك انه
لا بد من أن يوجه نقده الى الخليفة بطريقة غير رمزية . وكتب بالفعل
رسالة صريحة سماها (الهاشمية) (١) نقد فيها نظام القضاء الاسلامى
وغيره من النظم المعمول بها في الدولة . وعلم الخليفة المنصور بهذا الكتاب
الاخير فلم يجد بدا من الحكم بالاعدام على هذا الكاتب الذى جرؤ على
نقده . وتم اعدام الكاتب بطريقة وحشية . فقد وضعه جنود المنصور في
تنور وقطموا جسده قطعة قطعة ، واخذوا يلتقون بكل قطعة في التنور .
وكان ذلك جزاء له على توجيه النقد الى الخليفة المنصور وهو الرجل
الذى يمثل التفرد بالسلطة ، ولا يعترف بحق الكاتب او العالم او الفيلسوف
في نقد الدولة .

ما المقصود بنظرية الحرية ؟

ظهرت هذه النظرية في المجتمع الاوروبى نتيجة لتطورات فكرية ،
ولاحداث سياسية واجتماعية . ومن أهم هذه الاحداث بطبيعة الحال
نشوب الثورة الفرنسية عام ١٧٨٩ وهى الثورة التى أعلنت حقوق
الانسان . ثم هى الثورة التى كان لها مفهوم اقتصادى ظهر في توليم (دعه
يفعل . دعه يمر) . ومعنى ذلك ترك الفرد حرا في مزاولته نشاطه
الاقتصادى ونشاطه الفكرى دون أى تدخل من جانب الدولة في هذا
النشاط باى شكل من الأشكال . ذلك أن الدولة يجب أن تقتصر وظائفها
على أمور ثلاثة وهى :

القضاء ، والأمن في الداخل ، والدفاع عن الوطن ضد أى اعتداء

خارجى (٢)

والحق أن نظرية الحرية تقوم على الايمان المطلق بالانسان من حيث
هو انسان . على حين أن نظرية السلطة تنظر الى الانسان على أنه جزء من
المجتمع ، وأن قيمته تقتصر في هذا المعنى .

(١) وتسمى كذلك (رسالة الصحابة) .

(م ٧ - الاعلام والدملية)

وبعبارة أخرى — يرى مذهب الحرية أن مسعادة الفرد هي الغاية من وجود المجتمع . وأما أنصار مذهب السلطة فيرون أن مسعادة المجتمع هي الغاية من وجود الفرد . والفرد في نظر (الحريين) أو القائلين بمذهب الحرية أسس من الدولة . على حين أن القائلين بمذهب (السلطة) يرون العكس .

من أجل ذلك أتاح مذهب الحرية أثمن الفرص من الناحية الاقتصادية لظهور (الديمقراطية الرأسمالية) وظهور (الاحتكارات) بأوسع معانيها . وفي ظل هذا النظام الرأسمالي تحققت الكثير من الانتصارات الشعبية . ونمتا التوسع في التعليم ، ومنح حق الانتخاب لأكثر المواطنين ، ومنها حق الفرد في ممارسة نشاطه الاجتماعي والتنافس في الحصول على أكبر قدر ممكن من الربح — المادى — ومنها زيادة الانتاج بالجملة . وقد عادت كل هذه المميزات على الشعوب والمجتمعات بلرفاهية والتقسيم . ومن الانتصارات التي حققها هذا النظام كذلك حرية الصحافة .

غير أن الصحافة في ظل نظام الحرية تطورت هي الأخرى الى صناعة من أضخم الصناعات الحديثة . واحتلجت الى رؤوس أحوال كبيرة .

« وأدى ذلك الى تخطيطها تدريجيا عن قضايا الرأي والشعوب ، واتجاهها الى تحقيق أكبر قدر ممكن من الربح المادى باعتبارها مشروعا تجاريا يخضع للأهداف الاحتكارية » (١) .

أما الفلسفة التي تستند عليها نظرية الحرية والامكلا التي وراء هذه النظرية فلما تتمثل في آراء (جون لوك) الانجليزى من أبناء القرن السابع عشر الميلادى ، ومعه في هذا الاتجاه كل من جون ملتون من القرن السابع عشر أيضا وجون ارسكين وتوماس جفرسون من القرن الثامن عشر ، وجون ستوارت مل من القرن التاسع عشر (٢) .

(والخلاصة) أن الصحافة في ظل النظام الحر تمتعت بحرية كبيرة

(١) الميثاق الوطنى .

(٢) غيب التلخيص حمزة : الأملام — له تاريخه ومذاهبه ، ص ١١٦ - ١١٧ .

لا تكاد تعرف من التأييد الا قيدا واحدا فقط هو حق الحكومة في فرض انقراطية على الصحف زمن الحرب متى رأت المصلحة في ذلك . ومع هذا وذلك فقد سارت الولايات المتحدة الاميركية في تطبيق هذا الحق على اساس الاختيار لا الاجبار ، وعلى الود والصداقة وحسن التفاهم بينها وبين اصحاب الصحف ولكن ذلك في اثناء الحرب العالمية الثانية .

ولكن مهما قيل في الحرية التي تتمتع بها الدول الرأسمالية في الوقت الحاضر ، ومهما قيل في الديمقراطية التي تنعم بها هذه الشعوب في العصر الذي نعيش فيه فان هناك حقيقة لا ينبغي تجاهلها . وهي ان الحكومات الديمقراطية الرأسمالية لا غنى لها مطلقا عن شيء من (السلطة) بالرغم من انها تعتمد اعتمادا يوشك ان يكون تاما على نظرية (الحرية) .

وهذا القدر الذي يمارسه الحكام الآخزون بنظام الحرية من المذهب القتل بالسلطة يمكن ان نعالله بذلك المقدار من الحرية كما نراه عند الحكام الآخزين بنظرية (السلطة) . ألم نقل ان الخلفاء العباسيين وغيرهم من الحكام المستبدين كانوا لا يحدون غنى من مشاورة الحكماء وعلماء الدين وهم الذين يتكلم منهم ما يسمى (بأهل الحل والعقد) ؟ .

معنى ذلك انه ليس في تاريخ العالم ما يمكن ان يسمى (بالحرية) الخالصة (مئة بالمئة) . وليس في تاريخ العالم ما يمكن ان يسمى (بالسلطة) الخالصة (مئة في المئة) ، ولولا ذلك ما استسلم لحكومة امر ، ولا تحقت لامة من الامم غلبة .

ما المقصود بنظرية المسؤولية الاجتماعية ؟

آمن اصحاب النظرية السابقة بالحرية العسلة للفرد من حيث هو وتولدت من هذه الحرية ظواهر جديدة في المجتمعات . منها تضخم رؤوس الاموال ومنها الاحتكارات . واصبح المجتمع الرأسمالي عبارة عن طبقتين هما طبقة الاغنياء المرففين في الغنى ، وطبقة الفقراء الواصلين بالفقر الى اثنى درجاته .

وهنا سأل اصحاب هذه النظرية انفسهم .. هل هناك حدود لهذه الحرية ؟ .

واجب هؤلاء عن ذلك بأن الحرية المطلقة تشكل خطرا كبيرا على المجتمع ، وإن الحرية الصحيحة هي المحدودة بحدود القلقون من جهة وحدود الصالح العام من جهة ثانية .

وفي أعقاب الحرب العالمية الثانية علت الشكوى من حرية الصحف في أمريكا وغيرها من البلاد الرأسمالية - وهي الحرية التي نجم عنها فساد الأخلاق وانحطاط القيم الإنسانية - وأخذ كل بلد من البلاد الرأسمالية يفكر في تحسين الطرق لتقاومة هذه الأضرار التي سببتها حرية الصحافة . وظهرت في أكثر بلاد العالم الحر فكرة تهدف إلى إنشاء (مجلس أعلى للصحافة) من شأنه أن يراقب الصحف ويحد من انحرافاتها بكل الطرق الممكنة .

والأساس الذي تبنى عليه نظرية المسؤولية الاجتماعية هو أن الحرية حق وواجب ونظام ومسؤولية في وقت واحد) . والمعروف أن هذه النظرية نشأت في أمريكا وإنجلترا وكانت ثمرة لكتابات وليام كنج ثم بلغت أوجها بعد الحرب العالمية الثانية وذلك في كل من إنجلترا وأمريكا أيضا . ولذلك أطلق عليها اسم (النظرية الأنجلو أمريكية) .

والصحافة التي تأخذ بهذه النظرية ليست صحافة ذاتية بقدر ما هي صحافة موضوعية ، وليست ملكا للأفراد بقدر ما هي ملك للصالح العام .
وعما يكن من شيء فإن نظرية المسؤولية الاجتماعية في بعض الدول الغربية لم تنشأ أن تحل جميع المشكلات التي نجمت عن الأخذ بنظرية الحرية ، ومنها مشكلة الاحتكارات . كما عجزت عن حل المشكلة الكبيرة التي تتمثل في خضوع الصحافة والإذاعة لرأس المال . كما أنها عجزت عجزا تاما عن تقديم الحلول الصحيحة لمشكلة الحرب والسلام .

الصحافة والسلام العالمي :

غير أن هذه المشكلة الأخيرة استطاع قسم الصحافة بجامعة القاهرة أن يشارك في حلها قدر المستطاع وذلك عن طريق رسالة جامعية (١)

(١) الرسالة للدكتور مختار التهامي . وقد حصل بها على درجة الدكتوراه في الأدب من قسم الصحافة بجامعة القاهرة ثم طبعت الرسالة بعد ذلك في كتاب بعنوان (الصحافة والسلام العالمي) .

اشتملت على (مشروع دستور دولى للصحفة) مستقى من تحديد مهمة الصحفة فى المجتمع الدولى الحديث وفى هذا الدستور شرح للالتزامات التى لفتها الرسالة على علق الاعلام باسم المسؤولية العالمية .

ما المقصود بالنظرية السوفيتية ؟

تقوم النظرية السوفيتية للاعلام على الشيوعية . وتستند للشيوعية على آراء ماركس . وتقول الفلسفة الماركسية ان الهدف الوحيد لها هو اقامة مجتمع شيوعى تتحقق فيه العدالة . والطريق الى هذه العدالة هو ترك الحكم فى ايدى الكادحين من العمال والفلاحين وهم الذين اطلق عليهم اسم (البروليتاريا) .

وبما يكن من ثمر فان الفلسفة الشيوعية تقوم على الاسس التالية :

١ - المادية الجدلية :

سميت مادية لأنها تنبش بأن الحياة المادية وحدها هى التى لها صفه الواقع والحقيقة . اما الجانب المعنوى بفكره وآرائه فليس الا انعكاسا لهذه الحياة المادية لا أكثر ولا أقل . وبعبارة أخرى — انعكاسا لمجموعة الانتاج المادى الموجود فى المجتمع فى وقت معين .

غير أن الفلسفة الشيوعية تعتمد كذلك على ما يسمى (بالمادية الجدلية او المنطقية) . ومفناها ان كل تغيير اجتماعى وتطور أو تقدم فى المجتمع انما ينتج دائما عن تنازع بين قوتين أو عنصرين متضادين أو متناقضين فى داخل تطلق الحقيقة . وهاتان القوتان او العنصران هما الفكرة ونقيضها، او الرأى وشده . وتكون نتيجة الصراع بينهما وجود حالة تسمى حالة تآلف النقيضين . وهذه الحالة الأخيرة لابد أن تكون لرقى من الحالات المتناقضتين . وهذه الحالة الجديدة تصبح بعد ذلك فكرة جديدة ينشأ عنها نقيض يناقضها . وينتهى امر الآخرين الى تآلف جديد ينتج عنه فكرة جديدة او حالة جديدة . وتستمر العملية على هذا النحو . وهذا ما يعرف فى تاريخ البشر باسم التطور .

وعلى ذلك قلنا الجدلية المنطقية هي الغاتون أو المبدأ الذى بمقتضاه يحدث التغيير الاجتماعى فى نظر الشيوعية .

٢ — المادية التاريخية :

أو التفسير المادى للتاريخ . وهى عبارة عن المادية الجدلية مطبقة على ميدان العلاقات البشرية فى المجتمع . وقد عرفها ماركس فى كتابه (نقد فى الاقتصاد السياسى) بأنها — أى المادية التاريخية — الغلبة المشتركة لجميع الناس فى الإنتاج وتبادل الأشياء التى اثمر عنها هذا الإنتاج . وليس التغيير الاجتماعى فى تاريخ العالم نتيجة للتغيير فى الأفكار ؛ ولكن نتيجة للتغيير فى طريقة الإنتاج وطريقة التبادل . وهذا الإنتاج يتضمن كذلك الصلة بين الناس بعضهم ببعض . وهو ما يسميه ماركس (بالعلاقات الانتاجية) . ومن هنا وجد النظم الرأسمالى . وبه تمكنت الاغلبية من العيش الرغيد بفضل الجهود التى تبذلها الاغلبية .

وجاء تفسير هذه المشكلة فى مشروع ماركس المعروف (بالبيان الشيوعى) ؛ ذلك بأن اتجاه الناس الى استقلال بعضهم لبعض كان غسدا نخل التاريخ عن طريق الملكية الخاصة لوسائل الإنتاج . وكان من نتيجة ذلك أن أصبحت العلاقات الانتاجية ملاقات بين طبقتين مختلفتين . أى أن تاريخ المجتمعات القائمة الآن هو تاريخ نضال الطبقات بعضها ضد بعض . وفى اعتقاد ماركس أن هذا التاريخ أخذ يدخل مرحلته النهائية . وهى مرحلة النضال بين البورجوازية والبروليتاريا . ذلك أن النظم الاقتصادى للمجتمع هو الأسس الحقيقى للتطور والتقدم . أما الدين والأخلاق والقوانين والنظم فى المجتمعات — كلها البنيان الذى يبنى فوق الأسس . وهذا النظم يعكس مصالح الطبقة السائدة فى المجتمع . وعلى هذا فإن نظم الأخلاق السائد خلا فى وقت ما يكون عبارة عن مجموعة المبادئ التى ترى هذه الطبقة السائدة أنها المبادئ الواجب اتباعها والتى يجب أن يوجه اليها المجتمع .

ونتيجة لذلك فإن مراحل التطور الاقتصادى هى فى الواقع مراحل التطور الاجتماعى ، ومرحل للترتج التاريخى . وهى لا يحدثان بسبب ظهور مبادئ عقلية جديدة أو معتقدات أخرى للحق والعدالة . وانها يحدثان

نتيجة للنفخات التي تصيب القوى الانتاجية على مر السنين وهذا كله هو المقصود بالمالية التاريخية في الفلسفة الشيوعية .

٢ - سيادة الطبقة العاملة (البروليتاريا) :

يقال ان لفظ (البروليتاريا) مشتق من اللفظ اليوناني Prolitarras ومعناه الطبقة الأخيرة في المجتمع اليوناني أو الروماني . وهم الذين لا يؤدون فيه حقوقا للدولة سوى انتاج التسل . ومن ثم أخذ اللفظ يحمل معنى التحقير . وفي الهلش السفلى الذي وضعه (انتلز) من (المفاستو الشيوعي) عرف البروليتاريا بأنها طبقة العمال التي تعمل بالأجر . وهم الذين ليس لديهم وسائل انتاج لحسابهم الخاص . لذلك اضطروا الى بيع قدرتهم على العمل في سبيل لقمة العيش .

وفي نظر ماركس ان البروليتاريا هي الطبقة الوحيدة في المجتمع . ويرجع بعض السبب في ذلك الى ان جميع أعضائها مشتركون في تحمل اعباء الاستغلال . وهناك سبب آخر اعتمد عليه ماركس في نظره الى البروليتاريا هذه النظرة . وهذا السبب الآخر هو ظروف استخدام العمال في الأعمال الصناعية ، وتجمعهم داخل المصانع تجمعا ساعد على انهاء الوعى الطبقي عند هذه الطبقة . وهو امر يسهل به تنظيمهم للعمل الثوري . وكان ماركس وانتلز يعتقدان أن من نتائج الانقلاب الصناعي تركيز المجتمع في طبقتين متناقضتين هما طبقة البورجوازية وطبقة البروليتاريا . وكل ما عداها من أقسام المجتمع — فيها عدا الفلاحين — يعتبر شواذ مألها الزوال بزوال النظام الرأسمالي نفسه . ولذلك كان من رايها ان البروليتاريا ستكون على المدى الطويل هي لغلبية الشعب — أو بمعنى آخر — هي الطبقة الوحيدة في المجتمع .

النظرية السوفييتية في الاعلام :

تعدنا شرح الفلسفة الشيوعية لنفهم بالضبط لماذا اتجهت النظرية السوفييتية في الاعلام الى تحقيق الأهداف التالية :

١ — ملكية الشعب للصحافة أو بمعنى آخر تاهيم الصحف .

٢ - قيام الاعلام بدور فعال في المجتمع السوفيتي ونالظر اليه على انه جهاز رسمى من أجهزة الدولة .

وفى ذلك يقول لينين :

« لابد للجريدة من أن تكون جهلرا من أجهزة الجهاد والكفاح بحيث لا يبد الفكرى بأخبار دقيقة ومصادقة من اقتصادنا فحسب ، بل يقصد الاعلام كذلك الى تطيل هذه الأخبار ودراستها دراسة عقلية لكى نصل فى نهاية الأمر الى نتائج صحيحة فيما يختص بالحركة العمالية » .

واضح من هذه العبارة أن الصحافة السوفيتية تعتقد أن الاثارة العقلية أهم ونتج من الاثارة العاطفية ، وأن الأولى البق بالأم المتقدمة من الثانية . لذلك وضع لينين تعريفا للجريدة قال :

« الجريدة ليست أداة من أدوات الدعاية الجماعية أو الاثارة بقدر ما هى أداة للتنظيم الإجتماعى » .



تلك هى النظريات التى صدر عنها الاسلام عبر العصور التاريخية منذ القدم الى يومنا هذا .

وكلن من الطبيعى أن تكون نظرية السلطة أولى النظريات وجودا فى تاريخ البشر . ذلك أن البيئات القديمة - فيما عدا بيئة اليونان وبيئة المدينة على عهد الرسول والخلفاء الراشدين - لم تعرف من أنظمة الحكم غير النظام الاستبدادى المطلق . ومعنى ذلك أن الاسلام جاء مبشرا بالحرية وبالمسؤولية الاجتماعية التى عبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فى حديث نذكره بمعناه وفيه « أن تؤما ركبوأ سفينة . فلخص كل واحد منهم بكن . وقال لقدم أنا حر فى مكلى هذا افعل به ما اشاء . وهم بأن يخرق مكلمه فى السفينة . فان ضرب القسم على يده نجا ونجسوا . وان تركوه عرق وغرقوا » .

وهكذا عرف المسلمون الحرية كما عرفوا الشورى عن طريق القرآن والحديث ولتكمهم لم ينتقموا بهذه المعرفة بمعد حياة الرسول والخلفاء الراشدين .

على حين أن أوربا جاءت بعرفتها بالحرية عن طريق الثورات والنضال بين الطبقات المختلفة مير القرون الوسطى . ثم جاء أفلاسفة والكتّاب فآخذوا بفلسفون هذه الثورات وهذا النضال . ووصلوا من ذلك إلى معرفة الحرية وفلسفة الحرية ووضعوا لها تلك النظرية .

ومعنى ذلك أنه بينما عرف المسلمون هذه المعنى بطريقة تلقينية سهلة — كما أوضحنا — إذا بالفاربيين يعرفون هذه المعنى عن طريق الفلسفة . ولذا ترك لنا هؤلاء الفلاسفة كثيرا من الكتب في موضوع الحرية والتحرر ومراع الطبقات ومذاهب الرأسمالية والاشتراكية ولم يترك لنا العرب مثل هذا التراث .

(وبعد) فلنستأ نريد أن نفرغ من هذا الفصل دون أن نعرض على أنفسنا هذا السؤال الآخر .

ما هي النظرية الإعلامية للجمهورية العربية المتحدة في وقتنا هذا ؟

أختلف الباحثون في تحديد النظرية الإعلامية التي تصدر عنها حكومة الثورة في الجمهورية العربية المتحدة في الوقت الحاضر .

فمنهم من قال أنها (نظرية المسؤولية الاجتماعية) . وقد ميرنا عن ذلك في كتاب (الاعلام له تاريخه ومذاهبه) وذلك في النصل الذي تحدثنا فيه من (الاعلام والمسؤولية الاجتماعية في الميثاق) (١) . ومنهم من ذهب إلى أنها (النظرية السوفيتية) . ومن هؤلاء صاحب كتاب (الاعلام والتحول الاشتراكي) الدكتور مختار التهامي .

وفي تقديرى أن النظرية الإعلامية للجمهورية العربية المتحدة ليست هي نظرية الحرية ، وليست هي نظرية المسؤولية الاجتماعية ، وليست هي النظرية السوفيتية . ولكن فيها شيء من كل ذلك .

ولمثل ذلك ما حدا بكثير من الباحثين العرب إلى دعوة جديدة ، هي اقتراح اسم جديد للاشتراكية العربية لا يحمل لفظ « الاشتراكية » . كلن يكون هذا الاسم الجديد « النظرية الاقتصادية العربية » أو « الاقتصادية

التعاونية « ومن هؤلاء الباحثين العرب صديقنا الدكتور نعمت سعيد الأستاذ بكلية الاقتصاد بجامعة بغداد . وهو يرى في الاسم الجديد تمييزاً للاشتراكية العربية عن سواها من الاشتراكيات الأخرى في العالم . هذا من جهة . ومن جهة ثانية يرى أن في ذلك حماية للبلاد العربية من شرور المعسكرين الشرقي والغربي متى عرف كل منهما أن الاشتراكية العربية لا تبت لأحدهما بمصلحة .

ومع هذا وذلك فلنأخذ نلاحظ أن اشتراكيتنا العربية إنما تركز على عمودين هما :

الاشتراكية العلمية بالتطبيق العربي من جهة ، والدين الإسلامي الذي لا يرضى بطبيعته أن يكون المال دولة بين الأغنياء - أعنى متداولاً بينهم فقط - من جهة ثانية .

ومع هذا وذلك فلا بد أن نعترف هنا أن الاشتراكية العربية ما زالت غامضة في أذهان الكثيرين من العرب أنفسهم إلى يومنا هذا .

ولعل ذلك ما دما (الجزائر) إلى عقد ندوة لبحث الاشتراكية العربية . ولا يدل ذلك كله في نظرنا إلا على شيء واحد فقط ، وهو أن الاشتراكية العربية - أو الاقتصادية التعاونية - ما زالت في انتظار الكتب القليلة أو الفيلسوف السياسي الاجتماعي - الذي يضع لنا ما يمكن تسميته « بفلسفة النظرية العربية في الاشتراكية » .

صحيح أن الاشتراكية الأوروبية كانت نتيجة للصراع الهائل بين طبقات المجتمع الأوربي - وهو الصراع الذي ألهم الفلاسفة الأوربيين ووضعت « الفلسفة الاشتراكية » . ومن هؤلاء بطبيعة الحال الفيلسوف ماركس .

وصحيح أننا نحن العرب لم نر بنا في تاريخنا الطويل مثل هذه التجربة بالشكل الذي عرفته أوروبا . ومن ثم اضطربنا نحن العرب إلى أن نستورد النظام الاشتراكي من الخارج حين شعرنا بالحاجة إلى مثله . غير أننا وجدنا بعد ذلك أن النظام الاشتراكي بصورته الماركسية لا يلائم ظروفنا الحالية ولا يتفق وتقاليدنا العربية الإسلامية ، ولا يصل جميع مشكلاتنا الاقتصادية ومن ثم رسمنا لأنفسنا صورة اشتراكية عربية

لا تتجاهل التاريخ العربي الاسلامي ، ولا الدين العربي الاسلامي ،
ولا التقاليد العربية الاسلامية .

وهنا نتاح لى الفرصة من جديد لى الخص الحجج التى اعتدت عليها
فى ان الجمهورية العربية المتحدة غير آخذة بالنظرية السوفيتية .

اولا - ان ما فعلته الجمهورية العربية المتحدة بالصحافة الى الان
هو « التنظيم » . لا التليم . ولما ما فعله الجمهوريات السوفيتية بالصحافة
في « التليم » والفرق كبير بينهما . « التليم » نظام تؤول فيه ملكية
الصحف الى الحكومة وتصبح به الصحافة مرفقا من المرافق العامة .
وتحصل الخزنة العامة للدولة على ايرادات الصحافة . وتحصل فى الوقت
نفسه خبطر الصحف .

اما « التنظيم » فيه آلت ملكية الصحف الى الاتحاد الاشتراكي العربي
لا الى الحكومة . وليس الاتحاد الاشتراكي جزءا من الجهاز الادارى
للحكومة . وانما هو مجرد سلطة توجيهية بيد المجتمع .

ثم ان ايرادات الصحف بمقتضى قرار التنظيم لا تؤول الى الحكومة
ولكن تنقسم الى قسمين . الاول يكون لموظفى المؤسسة الصحفية بن فيها
من العمال والمحربين . والثانى لمشروعات التحسين فى الصحافة .

فى التليم لا يوجد ما ينص على طريقة ادارة الصحيفة . وفى التنظيم
نص على انه من حق الاتحاد الاشتراكي العربي ان يشكل مجالس ادارات
الصحف ويعين لكل مجلس ادارة رئيسا او عضوا منتدبا او اكتر . ويتولى
المجلس نيابة عن الاتحاد الاشتراكي مباشرة جميع لشروعات القانونية .

ثانيا - ان الميثاق الذى زاد فى تأكيد ملكية الشعب للصحافة
لكذ فى الوقت نفسه استقلالها من الاجهزة الحكومية . وبذلك ينتزع للشعب
اعظم ادوات حرية الراى ويمنح الصحافة اتوى الضمانات لممارسة النقد
الوجه للشعب او الحكومة .

والامر على عكس ذلك بالقىس الى الصحافة الشيوعية التى هى جزء
من اجهزة الدولة والتى لا تملك الحرية فى توجيه النقد للمجتمع او للحكومة .

ثالثا - اننا ما زلنا الى اليوم نفرق تفرقة واضحة بين الاشتراكية

المحتلة والشيوعية . وقد اختار الشعب العربى لنفسه فى الجمهورية العربية المتحدة المذهب الاول لا الثانى . او بمعنى آخر اختار الاشتراكية بالتطبيق العربى . وهى شئ بعيد عن الشيوعية .

وفى اعتقادنا الى الآن ان هذا الشعب لو مرضت عليه الشيوعية او أجرى له استفتاء علم فيها لرفضها رفضا باتا . واستند فى رفضه هذا الى أمور منها العقيدة الاسلامية التى لا تتفق مع مبادئ الشيوعية .

رابعاً - ان النظريات الاعلامية فى ذاتها كبقية النظريات الاعلامية الأخرى - ليست متشابهة فى جميع بلاد العالم ... فإذا لم نشأ نظرية المسؤولية الاجتماعية فى امريكا ان تحل مشكلات الاحتكارات واستقلال رأس المال الخاص وغيرها من المشكلات الخطيرة على أجهزة الاعلام فى تلك البلاد - فمن هذه النظرية - وهى نظرية المسؤولية الاجتماعية - قد استطاعت أن تجد حلاً لهذه المشكلات التى تآثر بها الاعلام فى بلاد أخرى غير امريكا ومنها للجمهورية العربية المتحدة . وقد جاء ذلك من طريق محاولتين هما :

١ - تقوّن تنظيم الصحافة (سنة ١٩٦٠) .

٢ - الميثاق الوطنى (سنة ١٩٦٢) .

وليس معنى ذلك بالطبع أن حكومة الثورة صدرت فى هاتين المحاولتين عن النظرية الشيوعية . وهى النظرية التى أبى مؤلف الكتاب إلا أن يسميها (بالنظرية الاشتراكية) . ولم يشأ أن يسميها باسمها المعروفة به لدى جميع دول العالم وهو (النظرية السوفيتية) . ومن هنا تألفت حكومة الثورة فى الجمهورية العربية المتحدة بتأليم كثير من المرافق العامة . كما تألفت حكومة الثورة بمساعدة العمال والفلاحين ، وجعلت لهم نسبة كبيرة فى مجلس الأمة .

ونحن نرى أن جميع هذه الجهود كانت تطبيقاً سليماً للديمقراطية فى بلد يؤمن بالاشتراكية المحتلة . ولم تكن تطبيقاً - بحال ما - للشيوعية .
خامساً - هناك نوع من التقلب بين نظريات الاعلام فى الوقت الحاضر . ومن آياته أن المجتمع الرأسمالى يضطر فى كثير من الأحيان

الى اختيار طريق التليم حلا لبعض المشكلات الاقتصادية . وذلك برغم
ان التليم فى ذاته أصل من أصول الشيوعية .

(ويعد) فاتهم يقولون ان المجتمعات فى تطور مستمر ، وان حتية
التاريخ ستؤدى الى اعتناق الاشتراكية . وفى هذا الآخر علاج لادواء
البشرية . وهذا كله صحيح فى جملته وتفصيله . ولكن ليس معناه
فى اعتقادى ان السيطرة التالية فى نهاية الأمر لابد ان تكون للذهب الشيوعى
ما دام المذهب الاشتراكى قادرا على حل المشكلات التى يئن منها العالم
فى وقتنا الحاضر وربما فى الأزمنة المقبلة أيضا .

الفصل الثالث

الاعلام في الدول النامية

تقسم المجتمعات الانسانية عند علماء الاجتماع الى ثلاثة انواع هي :
المجتمعات التقليدية ، والمجتمعات الانتقالية ، والمجتمعات الحديثة .

١ - (**المجتمعات التقليدية**) هي المجتمعات التي يخضع فيها الفرد لسلطان العادات والتقاليد ، ويخضع فيها الفرد كذلك لتنفيذ رجال الدين اذا كان لهم وجود هناك . والتطور في هذه المجتمعات يسير ببطء شديد ، ووسائل الاعلام في هذه المجتمعات بدائية ومتخلفة ، والامية متفشية ، والاهام كثيرة ومتسلطة . وفي هذه المجتمعات يقوم العرف بمقام القانون ، واهم من كل ذلك ان التفاهم بين الافراد في هذه المجتمعات ليس له لغة موحدة او على الاصح لهجة واحدة . ذلك ان اللغات تتعدد في هذه المجتمعات تعددا لا يساعد على تحقيق الغاية من الاعلام . ففي الهند مثلا نجد ثلاث عشرة لغة رسمية . بل قيل انها ١٢٥ لغة . « ودققت نلم - تام في اواسط افريقيا » تنقل لهجات عديدة لها وجود في تلك البلاد . ولا بد من استخدام الترجمة والمترجمين اذا اريد اجتياز بعض المناطق الجغرافية هناك .

فاذا راعينا الحوائك اللغوية وطول المسافات وصعوبة المواصلات علينا كيف يكون التفاهم عميرا لا يتيسر الا بصعوبة ومشقة « (١) .

نظر رجال الاعلام في هذه الخطورة الناجمة من صعوبة التفاهم في هذه المجتمعات . كما نظروا في الصعوبات الناجمة من تنشئ الجهل والامية وسوء المواصلات في تلك المجتمعات ففتشوا الى ان تنسب وسيلة

من وسائل الاعلام الحديثة لمثل هذه المجتمعات التطبيقية في الوقت الحاضر انها هي وسيلة الاذاعة . ويعنى ادق (جهاز الترانزستور) .

معنى ذلك ان الراديو هو ائنف وسائل الاعلام في بلاد تتكلم الى ايامنا هذه بلغة الطبول والزهور . ويستحيل فيها اصدار صفح مطية اذ هي تنجز كل المعجز فن ان تخطب المواطنين بلغات متعددة في وقت واحد . وذلك كله فضلا من ان وصول هذه الصف الى قرائها — ان وجدوا — قد لا يكون قبل مضي ثلاثة او خمسة ايام في حين ان الاذاعة بلجهازها المعروفة تستطيع الاتصال بالجياهير اتصالا مباشرا وسريما في نفس الوقت وتستطيع ان تخطبهم بلغاتهم لكثيرة اذا لزم الامر (١) .

٢ — النوع الثاني هو (المجتمعات الانتقالية) ، وتسمى كذلك بالمجتمعات النابية . وهي مجتمعات بدأت طريق التقدم بالفعل . وربما تطع بعضها اشواطا كبيرة في هذا السبيل . ومن دلائل التقدم في هذه المجتمعات النابية زيادة نسبة التعليم وزيادة ملحوظة ، وارتفاع مستوى المعيشة بحيث شمل الرخاء اكثر طبقات الشعب ، ومنها الطبقة الفقيرة . وزيادة الوعي القومي ، والوعي الصحي ، والوعي العلمى ، والوعي الادبى او للفنى ونحو ذلك .

غير ان اهم ما يمتاز به المجتمعات النابية في الحقيقة هو (زيادة التطلع) بين افرادها الى مستقبل افضل وحياة افضل ونظام افضل . ومن اجل ذلك نجد ان الدول النابية تشهد منذ منتصف القرن الذى نعيش فيه ثورة جديدة يمكن ان نطلق عليها اسم « ثورة التطلعات » وتعتبر وسائل الاعلام الحديثة سببا من اسباب هذه الثورة في الحقيقة . ومن هذه

(١) وهنا نحيل القارىء الى التجارب الناجحة التى قام بها كل من (الاب سليندا) في كولومبيا عام ١٩٤٧ وتجربة (جيزون لايت) في قلب الغابة داخل قصر قديم امتلكته الاذاعة الفرنسية وراء البحار ، راجع المصدر السابق ، ص ٣٧٩ ، ص ٣٨٢ .

الوسائل الاعلامية بطبيعة الحال كل من الصحف والاذاعة والتلفزيون والسينما والكتب .

ويسبب هذه الوسائل الاعلامية كذلك زادت مطالب الشعوب النامية بما يزيد كثيرا على قدرة الحكومات التي تتولى امر هذه الشعوب ومن ثم بدت هذه الحكومات وكثفتها عاجزة عن تحقيق آمال الشعوب التي تحكمها . وهو امر ادى الى حالة من السخط في ثلاثة ارباع شعوب العالم في الوقت الحاضر . والذي لا ريب فيه ان وسائل الاعلام تعتبر كذلك السبب الاول من اسباب تفاقم هذه الحالة والوصول بها الى هذه الدرجة من السخط والتفجر ، وذلك بما تنشره هذه الوسائل الاعلامية بين حين وآخر من وعود وآمال من جانب الحكم في مستقبل زاهر وحياة كريمة ، وبما تنشره كذلك عن مستوى المعيشة في الدول للتدنية المهد بالتقدم والرخاء . ولعل من اسباب هذه الحالة التي تشير اليها كذلك — وهى حالة السخط والتفجر في اكثر اجزاء العالم النامى في الوقت الحاضر — زيادة الاتصال بين القرية والمدينة ، وازدحام العواصم الكبرى بأعداد غفيرة من المواطنين الذين هربوا من بؤس الحياة وشظف العيش في الريف ، وجاعوا بليل كبير في لين الحياة وسعة الارزاق في العواصم .

الحق انه مما يزيد في ثورة التطلعات التي نشير اليها ما نجده في اغلب الدول النامية من الفروق الكبيرة بين القرية والمدينة ، ذلك ان سوء توزيع الثروة في الريف وتوغير العناية بالمسكن الكبيرة ، واهمال القرية من جميع الوجوه ، وتركيز التعليم والعلاج والصناعات ودور الحكومة في العواصم — كل هذه الامور تجعل مشكلة التطلعات تزداد في كل يوم حدة على حدة .

وقد يسأل سائل . ولكن ما هو الطريق الى حل هذه المشكلة ؟

والجواب على ذلك ان لكل داء دواء من جنسه . فلذا كانت وسائل الاعلام الحديثة هي التي ادت الى هذه الحالة الخطيرة ، فان هذه الوسائل الاعلامية هي التي تستطيع ان تشترك في حل هذه المشكلة بان تعمل تعميلا واضحا في برامجها اليومية او الدورية لكي تتجني هذه الغلظة .

إذا كان أعمال القرية وتركيز النشاط الحكومي والنشاط الشعبي في المواسم من الأساليب التي أدت إلى هذه الحالة الخطيرة فإن العناية بالقرية وتزويدها بكل أساليب الحياة الصحيحة أو السعيدة التي يحياها الناس في المواسم يكون طريقا من طرق علاج هذه المشكلة .

وعلى ذلك يجب أن تتسع القرية منذ الآن لأجهزة الاعلام على اختلافها من صحف وإذاعة وتلفزيون وسينما ومكتبة وناد ونحو ذلك كما يجب أن تكون طرق المواصلات بين القرى والمدن سهلة ومتوفرة ومعتلة الثمن .

وكذلك يجب أن يتوفر للقرى العدد الكافي من المدارس على اختلاف درجاتها ، والمستشفيات بجميع أشكالها ، وأن تبدأ القرية طورا جديدا من أطوار حياتها يقوم على الصناعة بشرط أن تكون من وحى البيئة وذلك إلى جذب الزراعة التي سبقتي طلبعا للقرية لا تفرقتها بحال من الأحوال .

بهذه الحلول وإشغالها لا يحس أهل القرى بالفروق البعيدة بينهم وبين سكان المدن ، ولا يحسون الحرمان الذي يحسونه الآن بعد أن بدؤوا يتطلعون إلى الحياة التي من هذا النوع . والمواطنون المحتون في القرى مخالفون في ذلك لأبائهم وأجدادهم كل المخالفين . فقد كان هؤلاء الآباء قد أراحوا أنفسهم من هذا التطلع ورشوا بضيء هي أكثر ملائمة للمجتمعات التقليدية منها للمجتمعات النابية .

ونعود إلى وسائل الاعلام فنقول أنها تستطيع أن تنقذ الناس من هذه الحالة . ولا يكون ذلك إلا بتقوية أجهزة الاعلام وتطوير برامجها وتغيير مضمونها بحيث تستطيع هذه الوسائل أن توجه الحكومة والشعب إلى نشر مبادئ التضحية والمعدل والبذل وغيرها من المبادئ اللازمة للمواطنين في مرحلة الصناعة أو مرحلة الانتقال من طور إلى طور .

وهذا ما تتعله بعض الدول النابية في الوقت الحاضر . ومنها الجمهورية العربية المتحدة . غير أن هناك دولا أخرى نابية عجزت عن اخذ مثل هذه السياسة . ومع هذا وذاك فمنذ سنة ١٩٦٠ والعالم يشهد تحول الثورات التطلعية في هذه الدول إلى ثورات أكثر عنفا وأعظم خطورة . وقد أطلقنا على هذه الثورات الجديدة اسم (ثورة التضر أو السخط) .

(م ٨ — الاعلام والدعاية)

ونعود فنقول هنا ان اول سبب من اسباب هذه الثورة الجديدة هو وسائل الاعلام الحديثة ، ومن اسباب هذه الثورة كذلك عدم الاستقرار السياسي في اغلب الدول النامية ، ثم من اسبابها أيضا تمسك الطبقة المثقفة في الدول النامية ببادئ الديمقراطية الغربية ، ومحاوله زرع هذا النبات في ارض غير ارضه ، وفي فصل زراعى غير فصله . ومن هنا نجد بعض هذه الدول النامية يمتلئ من محنة التقلبات السياسية والثورات الشعبية ما يعوق تنميته ويعرقل نموه ويؤدى ذلك كله الى عدم التوفيق في اختيار الحكم الملائم له آخر الأمر .

ولذلك نجد دول امريكا اللاتينية على سبيل المثال في ثورة مستمرة انى يومنا هذا . وكذلك نجد شعوب شرق آسيا وبعض الدول العربية . وما تزال هذه الأخيرة موزمة بين الخوف من الاستعمار الغربى والخوف من الاستعمار الشيوعى . وكذلك الشأن في دول افريقيا تلك الدول التى ما زالت تحترق بنار البغض والكراهية للاستعمار الاوربى . على ان كراهية الدول النامية للاستعمار الغربى على هذا النحو هى التى تجعلها تتجه صوب الكتلة الشرقية واهمة ان لهذه الكتلة ايدىولوجية ربما اعقتها على تحقيق امانيها السياسية والاقتصادية في اقرب وقت . وهكذا تقف الشيوعية امام هذه الدول النامية وكتفها الطريق الوحيد الى الخلاص من حالة السخط الذى تشمر به .

فكر علماء السياسة في اوضاع الدول النامية في الوقت الحاضر ماहतدوا الى ان اصلح نظام لهذه الدول هو النظام المبنى على نوع من الحكم الأبوى العادل . ومعناه اسناد الحكم في هذه الدول النامية الى اقلية عادلة تسعى جاهدة لتطوير المجتمع والقضاء على الاوضاع القديمة الفاسدة في هذا المجتمع . ولاشك ان القضاء على القديم يتطلب نوعا من القيم الجديدة والمفاهيم الجديدة والتبادلات الجديدة . وبدونها يستحيل التحول من طور الى آخر من اطوار الامة .

وهكذا تواجه المجتمعات الانتقالية او النامية مهمة صعبة هى مهمة تطوير هذه المجتمعات في سنوات قليلة والوصول بها الى المستوى الذى تعيش فيه المجتمعات المتقدمة .

٣ - النوع الثالث (المجتمعات الحديثة) أو المتقدمة وعلى المجتمعات التي مرت في طريق طويل من النضال والكفاح ، وتطعت في هذا الطريق أعمالا طويلة من حياتها .

أجل يحدثنا التاريخ أن هذه المجتمعات أو الدول الحديثة أو المتقدمة ومنها دول أوروبا مرت بمصور كثيرة من أهمها : عصر الاستكشاف ، وعصر الاضطهاد الديني ، وعصر النهضة ، وعصر الثورة الصناعية ، وعصر الثورة الفرنسية وهكذا . ولما العالم في تلك الدول المتقدمة قد مر هو الآخر بعصر البخار وعصر الكهرباء ، وعصر الذرة . كل ذلك والدول النامية أو المتخلفة تقف من هذه العصور أو الأطوار موقف المتفرج أو المتعجب لا أكثر ولا أقل .

ومرة أخرى نسال أنفسنا :

ما هي وظائف الاعلام في المجتمعات بأنواعها الثلاثة ؟ وهل يمكن أن نعد موازنات بين الوسائل الاعلامية في هذه المجتمعات .

أما في (المجتمع التقليدي) فقد رأينا أن الراديو في وقتنا هذا يعتبر انسب الوسائل وأتجها في الحقيقة . وذلك نظرا لانتشار الية من جهة وسوء المواصلات من جهة ثانية ، ولتقص القدرة المالية التي تقوم بالانفاق على وسائل اعلامية أخرى آخر الأمر .

أما في (المجتمع الانتقالي) أو الإنلي لما زال الراديو صاحب الأملية على الصحف بوجه خاص . وإن كانت هذه الأخيرة تؤدي في الوقت الحاضر دورا خطيرا في عملية التطوير أو الانتقال من حالة الى حالة افضل منها .

ولما في (المجتمع الحديث) أو المتقدم فإن للكتب والسينما والمسرح والمعرض ، كما للمؤتمرات الصحفية الدورية ، وأحدث الشخصيات الكبيرة في الدولة أثرا كبيرا في توجيه الرأي العام . وليست الاذاعة في هذه المجتمعات الحديثة الا وسيلة واحدة من بين وسائل أخرى عديدة ربما كانت اعظم من الاذاعة نظرا في هذا المجتمع .

وبرغم ذلك فإن الراديو في المجتمعات الحديثة يمتاز على بقية الوسائل الاعلامية الأخرى بميزات عظيمة من أهمها :

١ - أنه الوسيلة السريعة التي بها يمارس المواطن في كل المجتمعات التي تحدثنا عنها ما يسمى (بحرية الاعلام) أو بمعنى أدق (حرية الاستعلام) . ففى وسع المستمع في أية جهة من جهات العالم أن يستمع الى محطات اذاعية كثيرة في وقت واحد أو في يوم واحد . وتستطيع كل اذاعة من هذه الاذاعات أن تصحح الاذاعات الأخرى . لأن الحقيقة تقع بينها جميعا . ولما تفتحص بها - أى بالحقيقة - اذاعة واحدة نقط . كل ذلك بطريقة سهلة قلما تتيسر للمستمع بمحوله عن الراديو الى الصحف .

ولكن ما هي وظائف الاعلام في الدول النامية بصفة خاصة ؟

من اليسر علينا أن نفهم أن المرحلة الانتقالية في أى مجتمع انساني يمكن أن تنقسم الى فترات زمنية ثلاث وهي :

الفترة الأولى - وفيها يكون الهدف الرئيسي للمرحلة هو تقوية سلطة القائمين بالأمر . ونعني بها سلطة الأقلية التي جاءت للتعليم بهذه المهمة الخطيرة كما قلنا - وهي مهمة تطوير المجتمع .

لذلك نجد أن وسائل الاعلام في هذه الفترة من المرحلة تحول ما وسعها ذلك اثبات شرعية هذه الأقلية الحاكمة . كما نجد الدول نفسها تحول أن تسيطر كل السيطرة من جانبها على وسائل الاعلام في هذه الفترة من المرحلة بنوع خاص . ومعنى ذلك أن على وسائل الاعلام في هذه الفترة الأولى أن تدافع عن القادة ، وتقدمهم بمساعدة قوية حتى يقوموا بواجبهم نحو هذه المهمة الكبيرة وهي تطوير المجتمع .

الفترة الثانية من فترات المرحلة - وفيها تبذل وسائل الاعلام قصارى جهدها في نقل آراء الشعب ، ووجهة نظره في حل المشكلات الناجمة عن حركة التطوير الى القادة وعلى رأسهم رئيس الجمهورية .

الفترة الثالثة من فترات المرحلة - وفيها تقوم وسائل الاعلام بدور المتحدث الدقيق بلسان الشعب ، وتمثيل السلطة للرابعة في الدولة

— وهى سلطة الصحافة — بالمعنى الواسع لهذه الكلمة ، وهو المعنى الذى يشمل الصحافة المكتوبة ممثلة فى الصحف والمجلات ، والصحافة المسبوعة ممثلة فى الاذاعة ، والصحافة المرئية ممثلة فى السينما والتلفزيون .

وفى هذه الفترة الأخيرة نجد ان مستوى الأمة الاجتماعى والسياسى قد ارتفع ، وان الشعب قد بدأ يعد نفسه اعدادا سليما للديمقراطية الصحيحة بالمعنى الغربى ، ويكون الشعب فى هذه الفترة قد اتجز شوطا كبيرا فى طريقه الى تقدم صحيح وحياة افضل .

ولكن ما هى الخطة الاعلامية فى الدول النامية ؟

لاشك ان الهدف الأول — بطبيعة الحال — هو نقل المجتمع الى مرحلة جديدة من مراحله . او بعبارة أخرى تحويل هذا المجتمع الى النظام الاشتراكى . واذ ذلك يجب على المجتمع ان يقوم بتحديد النظرية الاعلامية التى يأخذ بها ، ويلتزم الشعب ومعه الحكومة بهذه الطريقة منذ اعلانها بالطرق الرسمية والطرق الشعبية .

وقد سبق ان عرضنا رأينا فى هذه النقطة الأخيرة . وقلنا ان النظرية الاعلامية التى تلتزم بها الجمهورية العربية المتحدة هى (نظرية المسؤولية الاجتماعية) ، وليست النظرية السوفيتية . وهنا نسبح بالدعوة الى ما يسمى (بمستور المثقفين) لتحقيق هذه الغاية . كما نسبح بتنظيم الحلقات الدراسية ، ومعسكرات العمل الميدانى للارتفاع بمستوى العاملين فى اجهزة الاعلام . ولتنظمة اليونسكو مشاركة قوية فى هذا الميدان الآخر لادب انها ستترك اثرا قويا فى تكوين اجهزة الاعلام فى الدول النامية من التيلم بدورها على احسن وجه ممكن .

ان انتقال المجتمع النامى من مرحلة قديمة الى اخرى جديدة يحتاج فى الواقع الى التيلم بمعلمين كبيرين هما :

الأول — عملية التغير الفكرى او الأيديولوجى .

والثانى — عملية التغير التكنولوجى والاقتصادى .

والتغيير الفكرى يهدف الى محاربة الانكار الرجعية التى تسيطر على المجتمع ومحاربة الانتهازية التى هى الطابع العام لهذه الرجعية فى كل مجتمع . ولا يكون ذلك مطلقا الا بطريقتين لا ثالث لهما . .

الأول - طريق للتعليم .

الثانى - طريق الاعلام .

فى التعليم توضع المناهج الجديدة التى تلائم المرحلة الجديدة . وفى الاعلام توضع البرامج الجديدة التى تتماشى مع الأوضاع الجديدة (كما سبقت الاشارة الى ذلك) .

ولما التغيير الانتلجى فيهدف الى بناء مجتمع جديد ، هو مجتمع الكفالية والعدل . وقد ضربت الجمهورية العربية المتحدة مثلا يحتذى به فى هذه الناحية .

وندع التغيير الانتلجى جلبا لانه لا يعنينا فى هذا البحث . وننظر فى التغيير الايديولوجى . وهنا يقتز فى اذهانتنا سؤال هام هو :

ما المفاهيم الجديدة والقيم الجديدة والقيادات الجديدة التى لابد منها للمجتمعات الانتقالية او النبلية لكى تتسير هذه المجتمعات فى طريقها السوى نحو التقدم الحقيقى ؟ .

ما لا شك فيه ان مجموعة من القيم الجديدة لابد من توفرها للمجتمعات الانتقالية . وبدونها لا يحدث الانتقال من طور الى طور . ونريد ان نتقرب هذا المعنى الى ذهن القارئ فنضرب له المثل هنا بالقرآن الكريم والشعر الجاهلى . او بمعبارة اخرى . بالفرق الكبير بين المثل الاعلى العربى فى الجاهلية والمثل الاعلى للعربى فى الاسلام .

فالمثل الاعلى للعربى فى الجاهلية عبارة عن الفخر بالنجدة ، والفخر

بالكرم ، والفخر بالشراب ومخالطة النساء ، والدفاع عن القبيلة . والأخذ بالثأر . وهذه صورة دقيقة للحياة في نظر العربى في الجاهلية (١) .

والمثل الأعلى للعربى في الاسلام بخلاف ذلك جيلة واحدة . فهو هنا الخضوع لله والانتقاد لأواهره تعالى ، والنضحية بالمنازع الشخصية والمنازع القبلية في سبيل الدين الجديد ، وتجنب الكبر والمظنة والتعالي على الناس ، والوفاء بالمهد في كل وقت ، وبذل المال لمن يستحقون هذا البذل والصبر على الشدائد والمصائب ومنها مصيبة الحرب (٢) .

(١) يدلنا على ذلك أبيات لطرفة بن العبد . يجد القارىء العبدى صعبة في فهمها لغرابية الفاظها . أما مملئها فمسهلة لأنها لا تخرج عما ذكرناه من اوصاف المثل الأعلى للعربى في الجاهلية والأبيات هي :

ولولا ثلاث هن من عيشة الفتى وحقك لم أحفل متى قلم حودى
نمنهن سبق الماذلات بشرية كبيت متى ما تصل بالماء تزيد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب بيهكة تحت الخباء المعمد
وكرى اذا نادى المفساك مجنبا كسيد الفضا ذى السورة المتورد
فهذا الشامر يقول انه لا يعيش في هذه الدنيا الا ثلاثة اشياء هي
الشراب والنساء والنجدة .

أما الشراب فقد عبر عنه في البيت الثانى بالخبرة التى اذا علاها الماء ازبدت وصلحت للشراب . وأما النساء فمعب عنها في البيت الثالث بقوله انه يمشق المرأة الحسنة تحت الخباء المقام على أحمدة .
وأما النجدة فمعب عنها في البيت الآخر بقوله انه مستعد على الدوام لنجدة من يستجير به . ولانه يفر لنجدة كما يفر الخشب الغاصب في الصحراء .

(٢) وهذا المثل الأعلى في الاسلام يعبر عنه القرآن في آيت كثيرة منها :
« يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا . ان اكرمكم عند الله اتقاكم » . ومنها : « ليس البر ان تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين » . وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب ، وأقام الصلاة وآتى الزكاة والمؤمنون =

وهذا الذى يحدث فى الثورات الدينية الكبرى كالمسيحية والاسلام يحدث مثله فى الثورات السياسية والاجتماعية الكبرى ، كالثورة الفرنسية والثورة الروسية والثورة المصرية لصل ١٩٥٢ وثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ فى العراق وغيرها .

وهذه الثورات السياسية والاجتماعية ليست الا ايدانا بميلاد عصر جديد لو مجتمع جديد ، هو المجتمع الانتقالى او النامى على النحو الذى شرحناه من قبل .

وهنا يصبح المجتمع الجديد فى حاجة ملحة الى قيم جديدة ومفاهيم جديدة وتبادلات جديدة .

ولنضرب المثل هنا بالمجتمع النامى فى الجمهورية العربية المتحدة وهو المجتمع الذى يلخذ فى وقتنا هذا بالاشتراكية الطوعية بالصورة العربية، والتطبيق العربى لا الغربى كما نجد فى لبة دولة من الدول الاوربية او الاسيوية فى الوقت الحاضر .

ما هى المفاهيم الجديدة للجمهورية العربية المتحدة :

هناك مفاهيم سياسية واقتصادية ومفاهيم ذهنية وخلفية واجتماعية. من المفاهيم السياسية والاقتصادية :

١ — مفهوم الوحدة العربية من جميع النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية والثقافية والاعلامية والتعليمية .

٢ — مفهوم الوحدة الامريكية لهفد الوحدة فى -انها اولا ، ولحاربة الدعاية الصهيونية فى هذه الفترة بعد ان بلغت سذخ الدعاية مداها واستخدمت لذلك كل الوسائل .

٣ — مفهوم الحيلاد الابجلى ومناهة الوقوف بوقتنا وسنطابن المسكرين الشرى والغربى لاحداث التوازن بينهما .

= بمهدم اذا عاهدوا والصلبرين فى البأساء والضراء وجين البأس .
اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون » .

٤ - مفهوم الجديد للثروة بما يتفق والاشتراكية العربية التى تؤمن بالملكية ، ولكنها تكرر باستغلال رأس المال وتحارب الاحتكار بجميع صوره .

٥ - مفهوم السلام العالمى ومكافحة الاستعمار بجميع اشكاله فى اية بقعة من بقاع الأرض . وفى رأى الايديولوجية السيلسية العربية ان الاستعمار الصهيونى ممثلا فى دولة اسرائيل انها يشكل لخطر انواع الاستعمار الحديث .

وغنى عن البيان ان هذه المفاهيم السيلسية والاقتصادية لا تحتاج الى مزيد من الشرح . بعد اذ أصبحت معروفة لكل عربى مهما قل حظه من الاتصال بالصحف والاذاعة وغيرهما من وسائل الاعلام المألوغة غير ان هناك طبقة من المفاهيم الجديدة قد تحتاج الى شىء من الشرح ومنها :

١ - الشعور بالمسؤولية الاجتماعية :

سبق أن قلنا ان الحرية فى النظام الراسمالى حرية مطلقة توشك الا تكون لها حدود معينة . على حين ان الحرية فى ظل النظام الاشتراكى حرية مقيدة لصالح المجموع . ولا فرق بين الحرية الراسمالية والحرية الاشتراكية الا من هذه الناحية .

صحيح ان النظام الراسمالى بدأ يشعر بضرورة الحرية التى لا حدود لها . ومن ثم أخذ يضع لها حدودا تنق عندها . غير ان هذه الحدود التى وضعت للحرية الراسمالية - مهما بولغ فيها . فلها لا يمكن ان تصل الى مستوى الحدود التى وضعتها الحرية الاشتراكية ذاتها .

والواقع ان الحرية الاشتراكية لا تعنى غير المسؤولية الاجتماعية بكونها تحمل هذه العبارة الأخيرة من معنى .

الليس من معنى المسؤولية الاجتماعية عندنا نحن العرب ان كل مواطن عربى مسؤول عن المشاركة الفعلية فى بناء المجتمع الجديد ؟ . ومن ثم نرى الجمهورية العربية المتحدة - على سبيل المثال - تعيش فى هذه الحقبة الزمنية ثورات ثلاثا فى زمن واحد : ثورة سياسية ، وثورة اجتماعية ،

وثورة اقتصادية . على حين ان المجتمع السابق لمجتمع الثورة في مصر كان يعيش ثورة واحدة فقط ، هي الثورة السياسية .

والخلاصة ان المسؤولية الاجتماعية معناها تقديم الصالح العام على المصالح الخاص ولا شيء اكثر من ذلك .

٢ - المتصلون وانكار الذات :

ان بناء الوطن او اعادة بنائه من جديد يحتاج الى تضافر القوى والى انكار الذات . بمعنى ان المواطن العرعى في المجتمع العرعى اصبح عليه ان يقوم بكل ما يستطيع ان يقوم به من عمل ، عارفا انه مهما بذل في سبيل هذا العمل فليس من حقه ان يتسب شيئا من الفضل لنفسه ، ولا ان يشيد بعمله ، ولا ان ينتظر عليه الاجر من الناس او من الدولة . وان كانت الدولة نفسها لا تنسى جهود العاملين ، ولا تترك فرصة من الفرص الا اشادت بهم ومنحتهم المكافآت المادية او المعنوية التي يستحقونها على امثالهم .

ومن شأن هذه الايديولوجية التعاونية ان تنظر الى الثروة — كما قلنا — على انها ملك لجميع الشعب . واذا ذلك فقط يستط لفظ [الاحسان] ويحذف من قاموس الحياة الاشتراكية السليمة ، ويحل محله لفظ [الحق] الذي لكل فرد من افراد الامة على الدولة .

فالضمان الاجتماعي حق .

واشتراك العمال في ارباح المؤسسات حق .

ولخذ ما زاد من حاجة الاغنياء للفقراء حق وهكذا .

٣ - مبدأ تكافؤ الفرص :

وقد تبع هذا المبدأ الاخير من المبدأ السابق (لكل مواطن الحق في خيرات بلاده بقدر ما يعمل لها) . ولا يكون ذلك بطبيعة الحال الا اذا اتاح المجتمع لكل المواطنين فرصا متكافئة للعمل ، وفرصا متكافئة للربح الناتج عن هذا العمل ، بشرط الا يتم ذلك بطريق المجاملات او « المحسوبيات » او اعتبار الفرص المتكافئة نوعا من « التفضل » ونحو ذلك .

هذه بعض سمات المجتمع الجديد الذي انتقلت اليه الجمهورية

العربية المتحدة . غير أن هذه المفاهيم الجديدة تحتاج الى قيادات جديدة
نشر هذه المفاهيم الجديدة .

فما معنى القيادات الجديدة للمجتمع الجديد ؟

سبق أن ذكرنا أن الجمهورية العربية المتحدة تنف الآن في المرحلة
الانتقالية من مراحل المجتمعات البشرية ، وأنها لا تزال تمر بالفترة الثاقية
من فترات هذه المرحلة . ومعنى ذلك أن هذا المجتمع الذى نتحدث عنه
ما زال يعانى من صفتين هما .. صفة القلق ، وصفة التطلع . وقد سبق
أن قلنا أن آمال الشعوب فى هذه الفترة تبدو أعرض وأطول مما يلزم .
وهنا تواجه الحكومات الاشتراكية موقفاً ينطوى على كثير من الحرج
والمصوبة . ومن ثم يحتاج المجتمع فى هذه المرحلة الى :

قيادات سياسية واقتصادية .

وقيادات اجتماعية وثقافية .

وقيادات اعلامية .

فما القيادة السياسية :

تمثل أولا فى تقاد المرحلة ونعنى به رئيس الجمهورية باعتباره
الرجل القادر على وضع الحلول الناجحة للتلطب على ثورة القلق والحلول
الناجحة لثورة التطلع . ثم هو القادر على تحقيق آمال الشعب السياسية
كالحياد الإيجابى والوحدة العربية ، والآمال الاقتصادية الاشتراكية بتحديد
الملكية وحسن توزيع الثروة .

لما القيادة الاجتماعية :

فإن أول ما يجب عليها أن تدرسه هو خصائص المرحلة الانتقالية وإن
تعمل على نشر القيم الجديدة للمجتمع الجديد على النحو الذى شرعناه من
قبل أو على نحو أفضل منه كلما أمكن ذلك .

وعلى أساس من هذه الدراسة يمكن للقيادة الاجتماعية أن تنظر فى
كثير من المشكلات الحاضرة ، كمشكلة الأسكان وزيادة السكان ومشكلة
المرأة ، ومشكلة العمال والفلاحين ، ومشكلة تحديد النسل ، ومشكلة الأمية

ومشكلة البطالة ، ومشكلة الاستهلاك الفردي والحد من هذا الاستهلاك ، ومشكلة الرقابة على ما يبدو من الانحرافات الفردية من جانب الرجعية والانتهازية كالرشوة والمصوبية . وإذا كلن (التعليم) أمرا من الأمور التي تتصل بالقيادات الاجتماعية فليطها أن تعمل على نقل الأفكار الثورية للأجيال الجديدة عن طريق المدرسة والجامعة حتى يمكن التغلب على العقليات الجاهدة التي لم تؤمن بعد بالثورة ولم تحاول أن تسير الركب .

وهنا نتقدم باحتياط واحد فقط وخلاصته أن للحكومة الاشتراكية أن تؤثر أو تغير أو تبدل أو تحذف أو تضيف ما تشاء الى المناهج الدراسية في المرحلة الابتدائية والاعدادية والثقوية . وحقا في ذلك واضح لا يناقشها فيه أحد . ولكنها — أى الحكومة الاشتراكية — ينبغي لها أن تترك الجامعة دون أن تحدث هذه التغييرات في مناهجها . ذلك أن الجامعة هى المكان الذى تتكون فيه شخصية الطالب الجامعى بعيدا عن كل هذه المؤثرات . ولأن ممارسة أى ضغط على الطالب الجامعى من جانب الأستاذ أو المناهج أو الحكومة يعوق تكوينه العقلى ويؤثر فى نضجه الفكرى .

لذلك نكرر القول بأن من حق الدولة أن تتصرف كما تشاء فى مناهج التعليم العام . أما المناهج الجامعية فليس من الخير للدولة أن تحدث فيها أى تغيير أو تبديل .

غير أن ذلك لا يمنع مطلقا من أن يفتح الباب على مصراعيه أمام طلبة الجامعات لى يناقشوا الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى خلقها الوضع الاشتراكى . وبهذه الطريقة — وليس بطريق العبث بمناهج الدراسة — يستطيع طلبة الجامعات أن يكونوا لأنفسهم رأيا سليما فى هذه الموضوعات .

ولا شك أن الفرق كبير بين عقلية الشباب المتحركة وعقلية الرجعيين الجاهدة . وآية ذلك أن كل ثورة من الثورات السياسية وغير السياسية إنما تتبع أولا من عقول الشباب ثم تسرى منهم الى سواهم من المواطنين فى الأمة .

أما القيادات الاعلامية :

فنحن نعرف ان الاعلام بمعناه الواسع يشمل الاشياء المكتوبة والاشياء المسبوعة ، والاشياء المرئية ، وقد اشرنا في تضاعيف الكلام عن وسائل الاعلام انها يجب ان تسيطر الفترات الزمنية الثلاث المرحلة الانتقالية .

فى الفترة الاولى — تبذل وسائل الاعلام أقصى جهدها فى نشر الثقة بالاقليية الحاكمة .

وفى الثانية — تقوم وسائل الاعلام مقام الوسيط بين الحاكم والمحكوم ، وتسمع هذه الاقلية الحاكمة صوت للشعب المحكوم .

وفى الثالثة — تبلغ وسائل الاعلام أعلى مستوياتها فى تمثيل السلطة الرابعة فى المجتمع ، وهى السلطة الاعلامية أسدق تمثيل وأعظمه .

أما القيادات الأدبية والعلمية والفنية فاصحابها بطبيعة الحال هم وحدهم المختصون فى الأمة . وعليهم ولجب كبير هو الاشتراك العقلى فى بناء هذه الأمة .

(فالقيادة الأدبية) تهدف الى خلق ايدولوجية جديدة للأدب ، ودعوة الى نوع جديد من هذا الأدب ، وهو هنا (الأدب الهلالي) . أما الأدب الخيالى أو الرومانسى أو الأدب المبني على الأساطير والخرافات فلا يكون الا مجرد الامتناع والفلسية ، وليست هذه الأخيرة محترمة .

(والقيادة العلمية) تتبذل فى محاولة العلماء فى وقتنا هذا اللحاق بركب العلم فى الامم المتقدمة — تلك الامم التى قلنا انها قطعت عصر البخار وعصر الكهرباء وانها تعيش الآن فى عصر الذرة . ولا ينبغي لنا أن نكتفى بسرد القصص الطبية التى توضح لنا جهود العلماء فى ميدان الاختراع ونحو ذلك . بل يجب أن ننظر من ذلك الى الاشتراك العقلى فى حركة الاختراع نفصحنها .

(والقيادة الفنية) يخصص هدفها في جعل الفن على اختلافها مسيرة لتقدم المجتمع ، خادمة لأغراضه الجديدة وأوضاعه الجديدة ، محبرة عن أماله العريضة ، معنية بالشعب أو بالطبقة الجديدة التي ظهرت في هذا الشعب وهي طبقة العمال ومعها طبقة الفلاحين الموجودة قبل ذلك . وذلك بدلا من العناية بطبقة الأغنياء وأصحاب رؤوس الأموال وذوى الجاه والسلطان ومن اليوم .

الحق - ان في وسع الأدب أو الفن أن ينفخ في روح المجتمعات الجديدة ، وأن يساعدنا على ادراك الحياة الجديدة ، والقيم الجديدة والمفاهيم الجديدة .

لعل هذه الأساليب المتقدمة هي التي رمت الى التفكير فيما يسمى (بـمستور المتفنين) . وقد أعدت (أمانة الفكر والدموة) بالاتحاد الاشتراكي العربي بالقاء هذا الدستور ، فقالت في ضرورة الأدب والفن :

« الأدب والفن الثوريان هما الوجه الآخر من العملة التي تسكها الثورة لنفسها . أما الوجه الأول فهو الوجه الاقتصادي والاجتماعي ، ومعنى ذلك أنه يجب أن نتحدث دائما عن التخطيط الثقافي والفني في نفس الوقت الذي نتحدث فيه عن التخطيط الاقتصادي بوصف أن التخطيط وجهان لشيء واحد هو الثورة . ان هدف الثورة الاقتصادية والاجتماعية هو اكفاء (أى توفير) للحاجة المادية للمواطن الاشتراكي . وهدف الفن والأدب هو اكفاء حاجته الروحية .. وما لم يكن لدينا أدب وفن من نوع آخر فلن نستطيع انجاح الثورة وتدعيمها . »

وطرح الدستور هذا السؤال : هل نقف على الحياد بين المذاهب الفنية المختلفة ؟ وأجاب عنه بقوله : ان النهج الاشتراكي الذي اخترناه أسلوبا لحياقتنا يفرض علينا أن نقف الى جوار المدارس الفنية التي تنصر الامن وتعتطف عليه وعلى مثلثه . وتهتم اهتماما أصيلا بتقدمه . »

ثم طرح الدستور سؤالا آخر وهو : كيف يتجه الكاتب ورجل

الاعلام للشعب ؟ ولجلب عن ذلك بقوله : ان الهدف الرئيسى لاجهزة الاعلام والثقافة هو مساعدة عملية التحول الاشتراكى على الصعيد المادى ، واحداث تحويل اشتراكى فكرى وغنى فى قطاع الثقافة والاعلام .. وان الطريقة الوحيدة لفهم الجماهير وتغييرها هى التعبير عن الجماهير فعلا . وبهذا تتغير الجماهير وتتطور ؟ ويتغير معها من يتصدون لقيادتها وتعاليمها » .

ومن الأسئلة التى طرحها الدستور كذلك : حل الدولة وصية على الفنان ؟ ولجلب عن ذلك بالانكار . ولكن فى الوقت الذى لا تقيم فيه الدولة من نفسها وصية على الفنان ، فان من وجبها ان تحرص على توفير الظروف التى تتيح له ان يتحول تلقائيا الى طريق الاشتراكية .. يجب ان نحذر من مطالبة الفنان بالالتزام الحرفى بتفاصيل الخطة واهدائها . وتكتفى بان يؤيد روح الخطة وروح الهدف .

البَابُ الثَّالِثُ

الْعَمَلِيَّةُ

الفصل الأول

ما هي الدعاية

الدعاية هي محاولة التأثير في الأفراد والجماعات والسيطرة على سلوكهم لأغراض مشكوك فيها ، وذلك في مجتمع معين زمن معين ولهدف معين .

وقد عرفت للدعاية منذ فجر التاريخ ، وكانت الخطابة اليونانية الفنية وسيلة من وسائلها . واعترف إفلاطون بقيمة الخطابة في ميدان الدعاية التنسيقية . وكذلك كان الشعر عند اليونان للتقدم . أما العرب فقد كان اعتمادهم على الشعر في الدعاية أكبر من اعتماد غيرهم من الأمم . وذلك باستثناء اليونان والرومان القدماء . وهي الذين اتخذوا من الشعر الحماسي في كل من الألياذة والأوديسا وسيلة لاثارة الجماهير والهاب مشاعرهم .

ولها في المجال الديني فقد لعبت الدعاية دورا في غاية الخطورة . وفي عهد البابا جريجوار السابع عقد مؤتمر لنشر الدعاية بلهذه الكاثوليكي . ويقال ان من هذا المؤتمر أخذت كلمة (الدعاية) معناها في اللغات الأوروبية الحديثة .

هذا في التاريخ الأوربي . أما في التاريخ الإسلامي — وفي الحروب الصليبية ينوع خالص — فقد لعبت الدعاية دورا أهم وأخطر من جميع الأدوار السابقة . ذلك أن فكرة الحرب من حيث هي اشترك في الترويج لها متهماء الدين عن طريق « القصص الدينية » الذي كان يلقي على الجنود في الميدان . وكان يقوم به رجل من لخطر موطن الدولة وهو « القلص » كما اشترك في الترويج لها كذلك الأمراء من شعراء وكتل وخطباء اثاروا

الحية في النفوس وأشعلوا نار العصية الإسلامية حتى تسابق الجنود إلى الاستشهاد في سبيل الله والإسلام وياعوا نقوسهم رخيصة من أجله (١) .

ومنذ بداية الحرب العالمية الأولى وفي أثناء هذه الحرب ظهرت الحاجة باسة إلى الدعاية السياسية . وتطورت الدعاية ذاتها حتى أصبحت علما من العلوم له قواعده وأصوله . وكان لكل دولة من الدول المشتركة في الحرب العالمية الأولى سياستها في الدعاية التي تخالف بها سياسة الدولة الأخرى .

نسياسة إنجلترا تقوم على اقتناع الدول المتحالفة معها بعدالة الإنجليز واحتيتهم في هذه الحرب وبن النصر سيكون حليفا لها في نهاية الأمر .

أما ألمانيا فتقوم سياستها على مجرد الدفاع أو الرد على دعاية الحلفاء وهكذا .

والمهم هو أن الدعاية كانت الاداء السرية الرئيسية في الحرب وكان يطلق على هذه الدعاية السرية عند الإنجليز اسم (الحرب السياسية) وعند الألمان (الحرب الثقافية) وعند الأمريكيين (الحرب السيكولوجية) . وكلها تهدف إلى جعل الآخرين يقصرون كما تريد هذه الدعاية أن يقصروا وإن فعلوا . وفي ذلك يقول قائد الملقى من قادة الحرب في ذلك الوقت :

« أننا نستهلك الكثير من القنابل لنهدم بها مدفعا واحدا في يد جندي . ليس الأرخص من ذلك أن توجد وسيلة تسبب اضطراب الأسلحة التي تضغط على زناد ذلك المدفع في يدي الجندي ؟ » .

من أجل ذلك أخذ الإنجليز ينظرون لأنفسهم في الحرب العالمية الأولى دعائية من هذا النوع . وكلفت الصحف إحدى وسائلها . وكان الصحفي الإنجليزى (نورثكليف) هو المنظم للحقيقة لها . وكان أسلوب هذا الصحفي يقوم على نشر روح الهزيمة في داخل ألمانيا اعتيادا على القاعدة التي تقول أن روح الهزيمة إنما تبدأ أولا في الجبهة الداخلية للمعنى .

(١) لمن أراد المزيد عن حركة الإغلام والدعاية الإسلامية في أثناء الحروب العالمية أن يرجع إلى كتاب : (أدب الحروب الصليبية للؤلف ، طبع دار الفكر العربي بالقاهرة) .

أنواع الدعاية :

والدعاية في ذاتها أنواع أو ألوان منها :

- ١ - الدعاية البيضاء .
- ٢ - والدعاية السوداء .
- ٣ - ودعاية تتخذ لنفسها ألوانا بين الأبيض والأسود وتسمى الدعاية الرمادية .

الدعاية البيضاء : هي الدعاية المكشوفة غير المستورة . وهي عبارة عن النشاط العلني من أجل هدف معين . كما يكون ذلك في الصحف والأذاعة ووسائل الاتصال بالجمهور .

والدعاية السوداء : هي الدعاية المستورة . وتتقوم عادة على نشاط المخبرات السرية . ولا تكشف الدعاية السوداء مطلقا عن مصادرها الحقيقية . ولكنها تنمو وتتوالد بطرق سرية . وذلك في داخل أرض العدو أو على مقربة منها .

والدعاية الرمادية : هي الدعاية التي لا تخفى من أن يقف الناس على مصادرها الحقيقية . ولكنها تخفى وراء هدف من الأهداف . ومن الأمثلة عليها إذاعات أوروبا الحرة . . وهي عبارة عن شبكة من المحطات الإذاعية تتولاها (اللجنة الأعلى لأوروبا الحرة باسم الإذاعة الموجهة) إلى دول شرقي أوروبا وجنوبي شرقها ، وهي يوغوسلافيا وتشيكوسلوفاكيا ، والمجر ، ورومانيا ، والفضلايا . والهدف من هذه الإذاعات الموجهة إنما هو إبطاء الدعاية الشيوعية في تلك البلاد .

ويصح أن ننظر إلى الإذاعة الموجهة - وهي جزء من برامج الإذاعة في الجمهورية العربية المتحدة - على أنها من هذا النوع بالرغم من أن اللون الغالب على هذه الإذاعة الموجهة في مصر هو اللون الثقافي . أي أن الدعاية التي من هذا الطريق دعائية غير مباشرة . والدعاية غير المباشرة أنواع كثيرة بدون شك من الدعاية المباشرة .

وسائل الدعاية السوداء :

والدعاية السوداء فيها عدا الاذاعة السرية وسائل اخرى كثيرة .
منها وسيلة الصحف السرية والنشرات او المطبوعات السرية . وتزييف
اغلفة الصحف الوطنية . كما فعلت اسرائيل في استغلالها غلاف مجلة
مصرية هي مجلة (روزاليوسف) في نشر دعائية سوداء ضد الجمهورية
العربية المتحدة .

اساليب الدعاية :

للدعاية في ذاتها عوامل واساليب كثيرة منها على سبيل المثال :

أ- أسلوب النكته :

والنكته تأثير كبير في الرأي العام كما نعرف . وخاصة في الشعوب
التي تميل بطبيعتها الى ذلك ، كالشعب المصري . وقد يحدث أحيانا أن يكون
لبعض النكات تأثير في الرأي العام أكبر وأعمق من تأثير المقالات للصحفية
والأحاديث الإذاعية . ولذلك تعنى البلاد المحاذية دائما بجمع النكات
ذات الهدف السيلسي . فعلت ذلك إنجلترا في أيام موسوليني وحاولت
سنة ١٩٥٦ - - إى فى أثناء العدوان الثلاثى على مصر - أن تستغل بعض
هذه النكات فى نقد الأوضاع القائمة فى مصر فاشاعت النكته التالية :

« اشترى رجل أنة سمك . وتوجه بها الى منزله . فعالت له زوجته :
مغيش زيت (باللهجة العراقية : مكو دهن) . فذهب الرجل الى ألبقال
ليشترى زيتا . فوجد طابورا من الناس أمام البقال ينتظرون وصول الزيت .
وأخيرا وبعد طول انتظار لم يصل الزيت . فعاد الرجل غامضا الى منزله
وأخذ السمك وألقى به فى النيل . فخرج السمك رأسه من الماء وقال :
يعيش جمال عبد الناصر » .

وتحليل هذه النكته والبحث عنها وجد أنها أخذت اخذاً من الكتاب
الذى جمعت فيه النكات التى ترجع الى أيام موسوليني ولم يحدث التغير

الآى عبارة « يعيش الدوتشى » . فقد حنفت وحل محلها « يعيش جمال
عبد الناصر » (١) .

٢ - اسلوب التكرار :

وهو من أهم اساليب الدعاية فى الواقع ومن أهم اساليب الاعلان
كذلك . ومن أجل هذا لا تكتفى سلعة من السلع فى الاعلان عن نفسها
بمرة واحدة فى الصحف أو الاذاعة أو التلفزيون ولكنها تأخذ فى تكرار الاعلان
عن نفسها بكل الوسائل المتقدمة حتى تطعن الى أن هذا الاعلان قد استقر
فى اذهان الناس بصورة عبيقة وطويلة الأمد .

وكذلك الدعاية السيلسية أو الاجتماعية لا غنى لها مطلقا عن التكرار
وسيلة من وسائل تثبيت المعلومات فى عقول الجمهور فعلى الصحف والاذاعة
والتلفزيون وجميع وسائل الاعلام المعروفة أن توالى نشر الموضوعات
التي تتصل بانتصارات الشعب ، ومؤامرات الاستعمار وحيله والاعية .
وعليها أن تقوم بواجب الرد على الدعاية السوداء . ولعل اذاعة
(صوت العرب) فى القاهرة أقوى مثل على ذلك .

٣ - الأسلوب الدينى :

وتد اعتبرت العصور الانسانية كلها تقريبا على هذا الأسلوب .
ويكفى أن نذكر الحروب الصليبية ، وما قام به الخطباء الدينيين من الجهد
الكبير فى مساندة السلطان صلاح الدين الأيوبي ولولاده فى هذه الحرب .
وظفر صلاح الدين بفتح بيت المقدس . فتراحم الشعراء لتنهضه فى ذلك اليوم
ومنهم الشاعر الذى قال :

اترى منلما منا يعينى أبصر

القدس يفتح والفرجة تكفر

من كان هذا فتحه لمهند

ماذا يقال له وماذا يخضر

(١) من محاضرات القاها الدكتور محمد عبد القادر حاتم على طلبه تسم
المحاضرة بجامعة القاهرة .

وأما الخطباء فقد تباروا كذلك في انكسار أرواح الدين بكلمات لا يتسع المجال لذكرها . وليرجع إليها من أراد في كتاب الترويضتين في أخبار الدولتين لأبي شامة .

وفي مصر وفي أثناء العدوان الثلاثي سنة ١٩٥٦ ، كان من الإنشيد الحماسية التي ألهمت نفوس الشعب كله نشيد ...

الله أكبر الله أكبر

الله أكبر نسوق كيد المعتدي

والله للمظلوم خير مؤيد ... الخ

٤ - أسلوب الكذب والاختلاق :

وللدعاية في الواقع أساليب غير مشروعة منها أسلوب التحريف والتزييف ، وأسلوب الحذف أو البتر ، وأسلوب الكذب والاختلاق . وقد اعتد (جى دى موليه) على هذا الأسلوب الأخير في أثناء العدوان الثلاثي على مصر فادّاع بأن الجيش الفرنسي سيطر سيطرة تامة على مدينة الاسماعيلية . غير أنه عقب هذا التصريح الكاذب بمساعة ونصف ساعة كان الفرنسيون المقيمون في الاسماعيلية قد أبرقوا إلى باريس يقولون ان (جى دى موليه) كذب فيما ادّلى به من تصريح .

٥ - أسلوب الاستغفال والاستعطاف :

ومن الأساليب الهلابة في الدعاية أسلوب الاستغفال بغية التأثير في نفوس الشعوب والحكومات .. وعليه تعتد الصهيونية كثيرا في نشر دعايتها ضد الدول العربية في ربوع أمريكا . وهي الدعاية التي تدافع بها إسرائيل عن كيانها وبعائنها في المنطقة ... ومن ذلك ما تعتد عليه الصهيونية هناك في أمريكا من استخدام عبارات مؤثرة في نفوس الشعب الأمريكي مثل قولهم (اعلو لنا لعيش) . ومع هذه العبارة رسم لطفل صهيوني يريد الطعام فلا يجده . وبذلك يستدرون عطف الأمريكيين ويستجشون عطفهم .

٦ - الإنشيد والأغاني :

وقد ثبت أن هذا الأسلوب من أهم أساليب الدعاية . وكثرت تجربة العدوان الثلاثي على مصر من أغاني الشواهد على ذلك . وكما نجتحت

الإدعية الشعبية في انتصار السلطان صلاح الدين على الصليبيين في المعصور الوسطى ، فذلك نجحت الأغنى والناشيد الوطنية في نجات مصر من العدوان الثلاثي .

ويطول بنا القول لو أردنا أن نستعرض ملقمة من هذه الناشيد والأغنى . وقد أشرنا منها إلى نشيد (الله أكبر) . ومن هنا أصبح لكبار المغنيين في بحر من أمثال محمد عبد الوهاب (عيد الحليم حافظ) وفريد الأطرش والسيدة أم كلثوم دين كبير في عنق الوطنية المصرية العربية التي كتب لها النعير في ذلك الوقت .

٧ - الشعارات :

والشعارات عبارة عن الكلمات البسيطة التي تصدر عن الزعماء في كل حركة من الحركات السياسية والاجتماعية ثم يرددها الشعب نفسه كما يردد الأغنى والناشيد القومية . ففي الثورة الشعبية لسنة ١٩١٩ كان من الشعارات التي يرددها الزعيم سعد زغلول قوله « الحق فوق القوة والامة فوق الحكومة » . وقوله « الاستقلال القلم أو المسوت الزمام » ... الخ .

ومن الشعارات التي كان يرددها الرئيس جمال عبد الناصر في ثورة سنة ١٩٥٢ وما زال يرددها قوله « ارفع رأسك يا اخي فقد مضى عهد الاستعباد » ...

ان هذه الشعارات تفكرنا دائما بما كان للأحاديث النبوية الكريمة من قوة التأثير على المسلمين - والقياس هنا مع الفارق البعيد بينها .

والرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من الاحاديث النبوية ما يقوم مقام هذه الشعارات السياسية أو الدينية . ويزيد عليها كثيرا في قوة التأثير على النفوس .

ومن ذلك قوله :

« المسلم للمسلم كلابتيان المرموص يشد بهضه بهضه » .

وقوله : « الجنة تحت ظلال السيوف » .

وقوله : « المسلم من سلم الناس من لسانه ويده » .

وقوله : « ان الذين متين . أوغل فيه برفق . ان المتين (١) لا ارضا تطع ولا ظهرا يلقى » ... الخ .

٨ — اسلوب منطاد الاختبار او جس نبض الراى العلم :

ويكون ذلك غالبا عن طريق الثماعلت واطلاقتها بين الناس في وقت معين ، ثم القيام بتحليل الراى العلم بالنسبة لهذه الثماعلت . فاذا اثبت التحليل نجاحها ذاعت وتكررت . واذا اثبت فشلها عدل عنها الى غيرها وهكذا .

وكثيرا ما تعتمد وكالات الأنباء على هذا الاسلوب الآخر من اساليب الدعاية . فتنسب الوكالة كلاما معيناً الى شخصية مسؤولة في احدى الدول ضد دولة أخرى . وهنا يحدث هذا التصريح بليلة في الإنكار لابد ان تغليه الدولة المقصودة بهذا التصريح بمجهود دعائى كبير للعمل على احباطه . وقد يكون جس نبض الراى العلم بطريق مقالة تنشر في الصحف حول موضوع معين . فاذا رضى عنه الراى العلم أعلن صاحب المقال — وكثيرا ما يكون رئيس الدولة او رجلا مسؤولا فيها — انه صاحب الفكرة . واذا سقط الراى العلم فان كاتب المقال يصرح بأنه لا يوافق على الفكرة او الموضوع إثرا للصالح المسلم للأمة .

عد العلماء من أساليب الدعاية هذه ثلاثين أسلوبا . وقد اكتتبنا نحن منها بهذا القدر . ذلك ان العبرة من هذه الأساليب والعوامل ليست في كميتهما ولكن في الطريقة التي تمارس بها .

على أن العقيل البشرى يخفرع في كل يوم جديدا من هذه الطرق والأساليب كما سيتضح لنسا ذلك بجلالة عند الكلام عن الدعاية النازية ، والدعاية الصهيونية ، والدعاية السوفيتية (٢) .

(١) المتين : هو الذى انقطع عن أصحابه في السفر لأنه لجهد دابته لكي يسبقهم فنفتت دابته .

(٢) رأينا ان نمسب ذلك بالكلام عن نموذج من نماذج الدعاية الإسلامية في العصر الوسيط — هو الدعاية الأيوبية — وذلك بعد ان تحدثنا في كتابنا السابق (الاعلام تاريخه ومذاهبه) عن الدعاية الفاطمية والدعاية الأيوبية و

الفصل الثاني

الدعاية الاموية

من الحقائق التي لا تحتاج الى تكليل ان الاسلام — باعتباره ديناً — لم يحتاج الى دعاية وانما احتاج الى اعلام . ولكن الاسلام — باعتباره سياسة — احتاج الى الدعاية قبل كل شيء . لعل لم يكن الدين الاسلامي بحاجة الى (دعاية) بل كان بحاجة الى (اعلام) . والاعلام هو اذاعة الحقائق والوثائق كما حدثت بصورتها الحقيقية . ولما للدعاية نهى في اجتناب الجاهل ولو كان ذلك من طريق الباطل في بعض الاحياء . والاسلام حق ، والرسول حق ، والقرآن حق (كتب لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) تنزيل من عزيز حكيم .

من اجل ذلك لا يستطيع التاريخ ان يفسر حركة واحدة من حركات الرسول ولا كلمة واحدة من كلماته على انها دعائية . ولكن يستطيع ان يفسر كل هذه الحركات والخطب والاحاديث النبوية على انها اعلام بأكمل ما تحمل هذه الكلمة من معنى . حتى الشعر الذي كان يلقيه الشعراء بين يدي صاحب الرسالة — كشمس حسن بن ثابت — لم يكن من قبيل الدعاية للإسلام ولا لبني الاسلام لان الاسلام ونبيه لم يكونا بحاجة الى شيء من ذلك . بل ان القرآن نفسه ذم الشعراء ... قال تعالى : (والشعراء يتبعهم الغفلون . لآم قرأتهم في كل واد يهيئون . واتهم يقولون ما لا يفعلون) . هذا مع علمنا بان النبي كان يستمع الى الشعراء ، وكان يثيب بعضهم كذلك : مثل ذلك في الشرائع والعيادات التي سنّها الاسلام كالصلاة والصيام والحج . فلم يكن اجتماع المسلمين للصلاة يوم الجمعة أو في الامياد للدعاية أو الاعلان . ولا كان اجتماع المسلمين في مكة للحج كل عام للدعاية والاعلان . انما كانت هذه الشعائر الدينية تقام لوجه الله تعالى لا للتظاهر أو الفخر أو الزهو وغير ذلك من معاني الجاهلية .



وانتفضى عهد الرسول عليه الصلاة والسلام وتبعه عهد الخلفاء الراشدين وكان في حقيقته امتدادا لعهد صاحب الرسالة . ولم يستطع التاريخ ان يفسر حركات عمر وعثمان وعلي بن ابي طالب بانها دعالية . ذلك ان عهد الخلفاء الراشدين كمهد صاحب الرسالة كان يعتمد على (الاعلام) وليس على (الدعالية) . ومن ثم نظر التاريخ الى عمر صدر الاسلام ، على انه العصر الذهبي لهذه الامة الاسلامية ، وذلك من حيث نقاء العقيدة ، واستقامة الطريقة ، وحسن الأمثلة .

ثم ظهرت الدولة الأموية . وبهذه الدولة الجديدة تحولت الخلافة الاسلامية الى حكم استبدادي على فرار الحكم الفارسي المعروف قبل ظهور الاسلام . ومنذ ذلك التاريخ انقسم المسلمون الى فرق دينية كثيرة ، ربما كان اهمها ما يلي :

فرقة اهل السنة ، وفرقة المعتزلة ، وفرقة الشيعة .

واذ ذاك حل الخصام بين هذه الفرق محل التوالم . واضطربت الحياة الاسلامية ذاتها ولم تعد بحاجة الى الاعلام قدر حاجتها الى الدعالية .

اما مذهب اهل السنة فعليه الكثرة الغالبة من المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . وعليه كذلك الدولتان الاموية ثم الدولة العباسية في اكثرها .

واما مذهب الشيعة — وهم المنتشيون لطى بن ابي طالب (رضى الله عنه) — فقد انتشر في العراق وايران . وعليه كانت دولة كبيرة في تاريخ مصر هي الدولة الفاطمية .

واما مذهب المعتزلة — وهم فرقة دينية بلغت لوجها في القرن الثالث الهجري — فقد تمسك له بعض الخلفاء العباسيين . . واتخذوا الاعتزال مذهباً رسمياً للدولة . وكان الكاتب العربي المعروف بالجليل كبر الدعاة لفرقة المعتزلة التي هي في الاصل احدي فرق السنة ثم استقلت بهذا المذهب . ولكن :

ما هي الأسس التي بنيت عليها الدعاية الإسلامية ؟

كان الأساس الذي بنيت عليه الدعاية والاعلام عند أهل السنة هو (النقل) لا (العقل) . فكل ما نزل عن القرآن الكريم أو نزل عن الرسول العظيم كان يعتبر قاعدة أساسية للحياة الإسلامية من جميع جوانبها .
وأما ما عدا ذلك فله لا يلتفت إليه مهما كان المصدر الذي نقل منه .

وكان الأساس الذي بنيت عليه الدعاية والاعلام عند الشيعة يختلف باختلاف الفرق الدينية التي تنتمي إلى هؤلاء . (فالإمامية) من فرق الشيعة تستمد في الاعلام والدعاية إلى (العقل) . و (الخلافة) من فرق الشيعة يستندون إلى أسس غريب كل الغرابة على أهل السنة . وهذا الأسس هو القول (بالعلم بالباطن) . وهو العلم الذي زعموا أن علي بن أبي طالب ورثه عن الرسول صلوات الله عليه وسلم قبل موته . ثم ورثه علي أبناءه من بعده .

لها المعتزلة فقد اشتركوا مع الإمامية من فرق الشيعة في الأساس الذي بنوا عليه اعلامهم ودعيتهم وهو (العقل) . ولكنهم — أي المعتزلة — زادوا عليهم في ذلك . ولذا أطلق المؤرخون على المعتزلة — بنوع خاص — اسم (المفكرين الأحرار) . غير أن هؤلاء المعتزلة وضوا لأنفسهم قاعدة في غاية الخطورة ، وهي أنهم بنوا اعلامهم ودعيتهم على (الاقتناع) فإن لم يأت بفائدة فبشيء أخطر من ذلك هو (السيف) . ومن أجل ذلك تعرضت للسيف رقاب الكثرة من الفقهاء السنيين الذين خالفوا المعتزلة في مسائل كثيرة من أهمها القول بخلق القرآن . لذا بعد ذلك أن نبحث في :

وسائل الدعاية لكل مذهب من المذاهب السلفية :

تلك هي الأسس التي بنيت عليها الدعاية في كل مذهب من المذاهب المتقدمة . أما الوسائل التي مارستها الدعاية في كل واحد منها فنتخصص فيما يلي :

كانت وسائل الاعلام والدعاية للقبائل بمذهب أهل السنة هي الكتاب والقصة والخطبة على هذا الترتيب . كما كانت وسائل الاعلام والدعاية

للقائلين بمذهب الشيعة لا تعدو القصيدة والكتاب والخطبة بهذا الترتيب المنفرد للترتيب الأول بمضى الشيء .

وأما وسائل الدعاية والاعلام للقائلين بالاعتزال فكانت تنحصر في واحدة فقط هي (المناظرة) بوصفها الطريق للانتفاع . وكثيرا ما كانت هذه المناظرات تجتمع في كتاب ، وكثيرا ما تظهر كتب أخرى في الرد على هذا الكتاب وهكذا .

ولو بقيت جميع الفرق الدينية على هذه الوسائل التي اشرنا اليها في ميدان الاعلام والدعاية لكان الأمر ولاستطاعت هذه الفرق ان تكتب اتسع صفحة من صفحات الاعلام والدعاية في تاريخ الاسلام . ولكن حدث غير ذلك . حدث ان اعتنقت هذه المذاهب كلها بعد ذلك على القوة واستعمال السيف . فقام السيف - بتبثيل اصنع مأساة في تاريخ الاسلام ، على يد معاوية بن ابي سفيان ولولاده - وذلك بدافع الكراهية الشديدة على ابن ابي طالب واولاده . من أجل ذلك روى لنا التاريخ كثيرا من تلك المآسي الاموية التي كشفت لنا عن شيئين هامين هما :

الاسلوب الذي اعتقد عليه بنو امية في دعاتيتهم والوسيلة التي نشروا بها تلك الدعاية . أما الاسلوب الذي بنوا عليه اعلامهم ودعاتيتهم واتخذوا منه حجة على خصومهم فواحد فقط ، وهو أسلوب (النقل) لا (العقل) . ومن ثم عهد الخلفاء الامويون الى طريقة غريبة في الدعاية ضد الشخصية التاريخية العظيمة التي كانوا يكرهونها من أعمق قلوبهم . ويرون فيها الخطر كل الخطر على كياناتهم ، وهي شخصية الامم على بن ابي طالب رضي الله عنه .

لجل - عهد الخلفاء الامويون الى طرق التحريف والزيف والاختلاق في النقل . وبلغ بهم الاسراف في ذلك الى حد انهم حملوا العلماء على الكتب في تفسير بعض آيات القرآن الكريم تفسيرا يخرج به عليا نفسه عن ساحة الدين ويعتبر به عدوا لله ولرسوله وللمسلمين ﷺ .

وكذلك فعلوا ببعض الاحاديث النبوية التي لجروها على السنة بعض الشخصيات المرتقة ، ورواها العلماء والفقهاء على انها احاديث صحيحة ،

لا شيء الا لانها منقولة . والنقل عندهم — لا العقل — هو الأساس ،
وكان على الخليفة الأموي بعد ذلك أن يعطى هؤلاء هؤلاء من المال
ما يلا به جيوبهم ، ويفسد به ضمائرهم ، ويبيعون به آخرتهم بدنياتهم .
كل ذلك ارضاء منهم للخليفة الذي اكل قلبه الغيظ من علي ، والتلق
والفرع من اولاده .

عرض لنا التاريخ منظرا من أولى منظر العداوة بين علي ومعاوية
في سورة الخليفة عثمان بن عفان (رضي الله عنه) وهو جالس في بيته يقرأ
القرآن ، وقد احس بحركة الغدر التي يقوم بها بعض المسلحين لقلته .
واذ ذاك بعث الى علي بن ابي طالب بهذا البيت المشهور من الشعر :

إذا كنت مأكولا فكُنْ أَكَلِي

والا فاعركني ولما لمـنـزقـ

نبحث اليه علي بن ابي طالب بجماعة من اصحابه وعلى رأسهم ابنه
الحسن . ووقت هؤلاء يهرسون باب الخليفة . ولكن الثوار تسلفوا عليه
الجدار ، واستطاعوا أن يقتحموا عليه الدار وطعنه كل واحد منهم طعنة
ثم لاذ بالفرار .

تري لماذا فعل معاوية اذ ذاك ؟ لقد بعث الى المدينة من اتى له بقميص
عثمان وعليه دمه — فيما زعم — وحملوا القميص على علم ، ووصلوا به
الى معاوية ففرشه على الارض وجعل اصحابه ، وجلسوا يتكئون على عثمان
ابن عفان ويتهمون عليا بقتله . ثم حدث بعد ذلك من الوقائع الحربية
بين علي ومعاوية ما هو معروف في التاريخ .

والآن نترك هذه الحركة المسرحية البارعة ونستعرض بعض النصوص
نمينا نستطعم به في هذا المجال الابيات التي رويت عن مقتل الحسين
(رضي الله عنه) ومعاوية ، وثبتت لنا بما لا يدع مجالا للشك أن الدعاية
هي التي قتلت عليا كما وردت في العقد الفريد :

[. . قتله — اي قتل الحسين (رضي الله عنه) — سنان بن أبي انس ،
واجبهز عليه خولة بن يزيد الأصبحي ، من حمير . وحز رأسه وألقى به
عبيد الله وهو يقول :

أوتر ركلى نضه وذهبيا أنا ظلت الملك الحجيا
خير عباد الله أما وأبا

نقال له عبيد الله بن زياد : إذا كان خير الناس أباً وأباً وخير عباد الله ،
يلم قتلته ، قديموه فاضربوا عنقه ، فضربت عنقه [(١)] .

ثم استمع الى رنة الفرح والشمعة والرفق من تلك الجريمة
وذلك في قول الشاعر (عمران بن حطان) حيث يقول :

يا ضرية من تقي ما أراد بهما

الا ليبلغ من ذى العرش وشوانا

إني لأنكره يوماً فلعنهم

أوفى البرية عند الله مزاننا !!

هكذا نجح بنو أمية في دعائهم ضد علي وأولاده ولبنوا على أنفسهم
من كرههم . وساعدهم على ذلك في الواقع لمران لا ثالث لها :

وأولها — تنشى الجهل في الناس وعجز أكثرهم عن التفقه في الدين
ونهم المبادئ التي بشر بها الإسلام .

ثانيتها — اعتماد العلماء الأمويين من أهل السنة — كما — إذا صحت
الروايات التاريخية المتواترة — على أسلوب (النقل) دون العقل . فيمكن
أن يشيع بينهم حديث مكتوب فيه تم للامام علي — (كرم الله وجهه) —
حتى تروى الكثرة من الفقهاء ورجال الدين هذا الحديث دون أن يكتفوا
أنفسهم جهداً في تحصيله أو تحقيقه أو التلذذ من صحته . وبذلك فتتح
أمثال هؤلاء الفقهاء ورجال الدين أمم الخلفاء بلب الاختلاق والاكاذيب ،
وهان عليهم أن يفسروا بعض الآيات القرآنية تفسيراً مبتعاً على الهوى ،
بل تفسيراً ليس له من غاية سوى الدعاية السوداء ضد علي وأولاده والقضاء
عليهم مادياً ومعنوياً وتاريخياً ودينياً ومذهبياً في وقت مبكر !!

(١) المقعد النريد ج ٤ ص ٣٨٠-٣٨١ طبع ١٩٤٤ ، القاهرة .

وقد درج المؤرخون المسلمون في كتبهم على تسمية (الدعاية) باسم
السيسة . واستمع الى المسعودى اذ يقول (١) :

« ويلغ من احكام معاوية للسيسة وانتقله لها واجتذابت قلوب خواصه
وعوامه ان رجلا من اهل الكوفة دخل ببعير الى دمشق في حال متفرغهم
(اى متصرف الامويين) عن صنفين . فطلق به رجل من دمشق فقال :
هذه نكفتى اخذت منى بصنفين . فارتفع ابرها الى معاوية . واتام التمشقي
خسعين رجلا يشهدون انها نكفته . فقفى معاوية للدمشقي على الكوفي
وابره بفلسطين النكافة اليه .

فقال الكوفي .. اصلحك الله ايها الأمير انه جنل ونيس نكافة .

فقال معاوية .. هذا حكم قد مضى ! .

ثم دس معاوية الى الكوفي بعد تفرق الجبامة من احضره اليه ثنية .
وسأله معاوية من ثمن البعير ودفن اليه حصته ، وبره ، واحسن اليه ،
قال له :

ابلغ عليا انى اقبله بمائة ألفا ما نعيم من يفرق بين النكافة والجل ٢٢٢ .

ان أيسر ما نفهمه من هذه القصة وامثالها ان معاوية بن أبى سفيان
استغل مذاجة الكثرة الغالبة من المسلمين في فرض آرائه على الناس
وبذر الكره في قلوبهم لعلى واولاده من بعده ، وقس على هذا الزرع بكل ما
يملك من وسائل الدعاية السوداء . وهى دعاية مبنية على الأكاذيب
والتلويح ولا شئ غير ذلك .

قيل انه بلغ من امر طاعة اهل الشام لمعاوية انه صلى بهم عند
مسيرتهم الى (صنفين) صلاة الجمعة في يوم الأربعاء (٢) .

(١) مروج الذهب ج ٢ ص ٧٢ ، المطبعة البهية المصرية .

(٢) فتوح النهج لابن كثير الحديث . ج ١ . ص ٢٥٨ .

وتبلغ الدعاية الاموية ذروتها بهذا الأسلوب العجيب من اساليب التشنيع ، وهو وضع الروايات التي تظعن عليا في اعز ما لديه وهو الدين. ومن ذلك ما رواه الزهري ان عروة بن الزبير حدثه فقال :

حدثتكم عائشة قالت :

كُتِبَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ أَتَى الْعَبَّاسَ وَعَلِيَّ .
فَنَقَلَ النَّبِيُّ (ص) يَا عَفْشَةَ ابْنَ هَنْبَلٍ (يُشِيرُ إِلَى الْعَبَّاسِ وَعَلِيٍّ) يَمُوتَانِ
عَلَى رُفْطَيْنِ .

وأخيراً نصل إلى أعجب ما رواه التاريخ من أن معاوية بنزل (لسيرة ابن حنبل) مائة ألف درهم ليقرا الآية الكريمة :

(ومن النفس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو الُدُّ الخصم . وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل ، والله لا يحب الفساد) . ويقول إنها نزلت في علي (١) .
 وإن الآية الكريمة :

(ومن النفس من يشقى نفسه ابتغاء مرضاة الله) قد نزلت في عبد الرحمن بن ملجم فلم يفعل سميرة ذلك ، فبذل له معلوية مائة ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له أربع مائة ألف درهم فقبل ؟ .

عندى أن هذه الروايات المتقدمة ربما كتبت موضعاً للشك . وقد لا يستطيع الباحث أن يؤمن بواحدة منها لأنها — على أقل تقدير — لا تسير الحقيقة ولا الواقع في شيء . وحسبنا أن ننظر من هذه الروايات كذلك إلى الرواية التي تقول :

« حدثني فلان عن فلان أن النبي (ص) لما حفرته ألوية أوصى أن
تقطع يد علي بن أبي طالب عليه السلام » . أن نقل تنكير في مثل هذه
الرواية الأخيرة يجعل المسلم المعادي لا يؤمن بها ، مهما كان سندها ، أو
كان الناقلون لها .

(١) جعفر الخليلي ، مقدمته لكتاب عنوانه (الامام علي نبيراس ومتراس) ، ص ١٧ - نقلا من : شرح النهج لابن أبي الحديد . (م . ١٠٠٠ - الامام والدمية)

ولو كان البحث الذى نخوض فيه تاريخيا صرنا لرفضنا مع
الرائضين كل هذه الروايات رفضا باتا ، ولم نستطع أن نبني عليها رأيا .
ولكن البحث الذى نخوض فيه موضوعه الدعاية لا التاريخ .

وهنا — أى فى هذا المجال الآخر وهو مجال الدعاية — يمكننا التعويل
على هذه الروايات . ومعنى ذلك أننا لا نستبعد أن نرى الحقد والحفيظة
والحرص على الخلافة يحمل بعض بنى أمية وأولهم معاوية بن أبى سفيان
— على التطبيق أو الوضع على هذا النحو . شأن الأمويين فى ذلك شأن
الدول الحديثة — وخالصة (اسرائيل) — حيث نجد هذه الدولة تجبر
الصحف العالمية إجبرا على نشر مقالات عدائية ضد العرب ، وتبذل لهذه
الصحف كثيرا من الأموال فى سبيل هذه الخلية .

ثم كان من الوسائل العجيبة التى استخدمها الأمويون كذلك وسيلة
(اختراع الشخصيات) . كما فعلوا بالأسطورة (عبد الله بن سبأ) التى
نسجها خيال رجل من تميم عاش فى عصر الرشيد . واسمه (سيف بن
شمر) . زعم هذا الرجل أن عبد الله بن سبأ يهودى أسلم فى خلافة عثمان
ابن عفان (رض) ، وأنه المصدر الذى صدر عنه كل ما دخل على الإسلام
من (الاسرائيليات) ، وهى روايات مختلفة من شذائنها زعزعة الثقة
بالإسلام . وبقيت هذه الأسطورة المنسوبة الى عبد الله بن سبأ مستورة
الى عهد الطبري ثم نقلها هذا المؤرخ الكبير دون أن يجهد نفسه ومثله فى
تحقيقها مع أنها نسجت لفلية واحدة فقط هى التشهير بعلى بن أبى
طالب (رض) (١) .

ونجد (الترغيب) بالمال والجاه والمنصب — على حد قول الأستاذ
جعفر الخليلي — وننظر الى (الترهيب) بالسيف والعزل والسحق
والمصادرات ونحو ذلك فتجد لهذه الدعاية الأموية صفحة سوداء ملطخة
بالدم لا ينتظر اليها المؤرخون الا وشعروا نحوها بشيء كثير من الألم والنفور.
وإذا أراد المؤرخ أن يتخفف من هذا الشعور فلا سبيل الى شيء من ذلك

(١) راجع السيد مرتضى العسكري فى كتابه (عبد الله بن سبأ) . ولطلة
خير من خالف هذه القضية التاريخية الى اليوم .

الآ الشك في جميع الروايات من أولها الى آخرها . ولكن من أين له هذا الشك وكتب التاريخ تؤيد هذه الروايات وتزيد عليها ، وتحفل بها وتبها لها .

ومثل هذه الصفحة السوداء للحمية الأموية وربما احك منها كانت الخليفة المنصور من خلفاء الدولة العباسية . فقد روى لنا التاريخ من بطش هذا الأخير بولاد على وبالموالي ممن يدينون بمذهب الشيعة وحب آل البيت ما تقشعر له الأبدان ويندى له جبين الأخلاق وتنبو الانسانية خجلا من تلك الروايات التي لا سند لها ، بل هي مختلفة ومنسوبة الى شخص واحد فقط هو المنصور ؟ .

ولكن لماذا لجأ الخلفاء الأمويون الى كل هذه الضرورة والوحشية في معاملة الطوائف ؟ لقد فعلوا ذلك لشعورهم بالنزلة الكبيرة التي للطوائف في تلويب الشعب الاسلامي ، ولأحساسهم بالفرق الكبير بينهم وبين الطوائف من هذه الناحية . وسنرى بعد قليل كيف أن هذا الشعور كان يخالج العباسيين أنفسهم أيضا برغم أنهم ينتسبون الى العباس عم النبي (ص) .

هنا نسأل أنفسنا هذا السؤال :

ما هو الأثر الذي تركه هذا التوحش من قبل الخلفاء الأمويين في نفوس الشعب ؟ الحق — لقد كان هذا الأثر عظيما ورهيبا وعبرنا في وقت معا . فمن ذا الذي يجرو بعد أن يرى ويسمع بمثل هذه الوحشية أن يقول شيئا أو يكتب شيئا أو يسلك سلوكا يثير الريب في نفس الطيفة أو الوالي أو الأمير ؟ .

وما دمنا نذكر (الترهيب) باعتباره وسيلة من وسائل الدعاية الأموية فلا ينبغي أن ننسى كلا من (زياد بن أبيه والحجاج) ، وما فعله كل منهما بأهل العراق حتى أخفهم وأرهبهم وملأوا قلوبهم بغضا وحذرا من كيد الخلافة الأموية . وقد روينا لك أيها القارئ طرعا من هذه الأعمال التي نسبت الى زياد والحجاج على مسيلب الدعاية للدولة الأموية وهي الدعاية التي كان يمارسها الغرب في العصر الوسيط .

ووصل بنا الحديث عن هؤلاء الولاة العتاة من قبل الدولة الأموية إلى الحديث عن ذلك الوالي الذي صعد المنبر وخطب أهل العراق قائلا لهم :

بلغنى أنكم كنتم تظنون ولأنكم بالقلب تعرفونهم بها وان لى لقبنا ستعرفوننى به دائما . فلانا الجزار ؟؟ ثم قزل .

غير أن هذه الدعاية الأموية التى نجحت نجاحا باهرا فى الشام - مقر الخلافة - كان لها رد فعل فى الأقطار الإسلامية الأخرى . ومنها العراق وإيران . وهذا هو السبب الذى من أجله ظهر (الغلاة) من الشيعة . وهم الذين للهوا على بن أبى طالب - أعنى خلقوا عليه صفات الألوهية - وأضافوا إليه « كل معجزة لم يستسغ العقل نسبتها إلى الأنبياء ، فكيف نسبتها إلى الخلفاء » (١) .

الدعاية السرية وحادث قتل الدولة العباسية

هذا مثال آخر من أمثلة الدعاية الإسلامية التى قامت بها الخلافة الأموية . واليك مثلا آخر من أمثلة الدعاية الإسلامية نجده بوضوح فى قيام الدولة العباسية بعد سقوط الدولة الأموية .

« ونحن نعرف أن الدولة الأموية كانت تميل إلى العرب وتكره الموالى من الفرس . كما نعرف أن الموالى اغضبهم ذلك واسروا فى أنفسهم سرا للعرب ، وتواصلوا فيما بينهم على قلب الدولة الأموية العربية النزعة . وكان أكثر هؤلاء الموالى لذلك من الشيعة الذين عرفوا بحب آل البيت فقتلوا فيما بينهم : نطالب بالخلافة للموليين . وحججهم فى ذلك أن الموليين أحق الناس بالخلافة وأحقهم بوراثة من النبى .

وبدأوا دموتهم سرا - لم يكن يعلم بهم أحد فى أول الأمر . ولكن نفرا من العباسيين علموا ذلك السر .، ولحبوا أن يلعبوا هذا الدور السيلسى : فاختلوا يتلفون للموالى من الفرس . واستطاعوا أن يقتلوا زعماءهم ،

(١) جعفر الخليلي : المقدمة لكتاب الإلهام على نيراسي ومقراسي ، ص ١٠ .

وان يشتركوا معهم في مؤامرتهم . وخذعهم يومئذ عن انفسهم بهذه الحيلة .
وهي انهم قالوا للموالى . . اتنا ندعو مظكم لآل البيت ؟
ولكن من هم آل البيت ؟

أما الفرس فيحنون بآل البيت أبناء على . وأما العباسيون فيحنون
بآل البيت أبناء العباس عم النبي . ويبقى كل فريق يضرر في نفسه ما يعنيه .
وسارت الدعوة في طريقها السرى البحث حتى تجلوزته الى طريق العان
البحث وهنا فقط أظهر العباسيون انهم يقصدون انفسهم بآل البيت .
ورأى زعيم الموالى اذ ذاك (أبو سلمة الخلال) أن الدعوة صائرة
— على ما يكره — الى بنى العباس وليست الى لولاد على . فابطأ أول الأمر
في اعلان الخلافة . وتلكا في مبلعة السفاح . بل انه حبس السفاح عذا
في بيته شهرين كاملين . وحظر على الناس مقابلته وطلق في اثناء ذلك
يراسل بعض العلويين ويطلب اليهم أن يسرعوا في قبول الخلافة (١) .

وعبثا حاول هذا الزعيم أن يسلم الخلافة لرجل من العلويين .
بل ان احدهم — وهو عبيد الله بن محمد — أخذ الرسالة التي وصلته
من سلمة بن الخلال وأحرقها بالنار وأئشدد قول الكهيت :
يا موقدا نارا لنمرك ضرؤها

ويا حطيطا في غير حباك تعطب !

وهكذا نرى أن الدعاية السرية بوجه خاص لعبت دورها في هذه
الحادثة التاريخية الكبيرة التي هي سقوط دولة الأمويين وقيام دولة
بنى العباس .

ومن يتتبع تاريخ الطبرى وابن الأثير يستطيع أن يقف على تفاصيل
هذه الدعاية السرية ، وأن يرى فيها مثلا من امثلة الدعاية العباسية
التي نجحت في بلوغ غايتها كما نجحت للدعاية الأموية سواء بسواء .

(١) عبد اللطيف حمزة : ابن المقفع ، الطبعة الثالثة ص ٤٤ — ٤٥ .

ولكن أين كان بنو أمية في أثناء هذه الحركة الضخمة التي دبرت في الخفاء؟ يظهر أنهم لم يحسوا بهذه الحركة إلا في وقت متأخر . تدلنا على ذلك أبيات لأحد شعرائهم يقول فيها :

أرى خلل الرسلاد وميض نار
ويوشك أن يكون نهبهم ضرام
فلن التبار بالمعويين تنكي
ولن الحرب أولهما كلام
وان لم يطلها عقلاء قوم
يكون وقودها جثث وهام
أقول من التعجب ليت شعري
اليتلظ أبية لم نعلم ؟
فلن كثروا حينئذ نيلها
فقل : قوموا فقد هلن القيم

الحق أننا بحاجة ماسة الى أن نميد النظر في تاريخ الدول الإسلامية من زاوية اعلامية . واذا ذلك فقط نستطيع أن نصل الى كثير من الحقائق عن الاعلام العربي الإسلامي وعن الدعاية العربية الإسلامية .

الفصل الثالث

الدعاية الصهيونية

ولعل أول تفكير في إنشاء وطن قومي لليهود كلن متب طرد الرومان لهم وقتل عدد منهم لا يقل عن ٦٠٠ ألف يهودى وذلك في سنة ١٥٣ لليلاد .

ومن الثابت انه في سنة ١٨٨٢ ميلادية اعلن اقطب اليهود تلميس الحركة الصهيونية وذلك على اثر مذبحة أخرى لليهود حدثت في روسيا .

ومنذ ذلك التاريخ بدأت الدعاية الصهيونية بتشويق اليهود الى العودة الى (ارض الميعاد) . وشاعت بينهم شعارات فعالة مثل قولهم « من سار اربعة أميال في ارض فلسطين خصه الله بمكان في الجنة » ومثل قولهم « أولى بك ان تعيش في صحراء فلسطين من ان تسكن تصرا عظيما في بلاد بعيدة عنها » . وربما كان أول مؤتمر عقد للنظر في عودة اليهود لو في تقرير العودة الى فلسطين هو مؤتمر (بازل) الذي تم في عام ١٨٩٧ .

ومنذ ذلك التاريخ واليهود يحولون كسب الدول الكبيرة الى جانبهم . فعلموا ذلك مع ألمانيا وروسيا وانجلترا . وكثرت انجلترا هي الدولة الوحيدة التي مدت اليهم يد المساعدة وفيها صدر وعد بلفور المشهور في سنة ١٩١٧ وذلك بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين . فاعتبر اليهود ذلك نصرا كبيرا لهذه القضية . وتأسست أول جامعة عبرية في فلسطين في شهر يولية (تموز) سنة ١٩١٨ . وبقيت انجلترا الى اليوم وراء فكرة الوطن القومي لليهود . ثم تحولت الصهيونية بعد ذلك من انجلترا الى الولايات المتحدة . وكسبت الصهيونية هذه الدولة الكبيرة الى جانبها . واعتمد الصهيونيون في دمايتهم التي قالوا بنشرها في الولايات المتحدة على قتل هتار للكثيرين منهم . وكذلك استغلت الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة اصوات اليهود في الانتخابات الامريكية .

وفي نوفمبر (تشرين الثاني) سنة ١٩٤٧ وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على قرار تقسيم فلسطين . وفي ١٤ مايو (ايار) سنة ١٩٤٨

اعلن عن قيام دولة اسرائيل واعترفت بها الولايات المتحدة قبل غيرها من الدول .

اهداف الحركة الصهيونية :

لا شك ان الهدف الاول للحركة الصهيونية هو السيطرة على العالم كله ، ويعتبر ذلك ان مطامع الصهيونية لا تقف عند فلسطين (او اسرائيل) ولا تقف عند الحدود بين الفرات والنيل ، ولا تقف عند البلاد الآسيوية الأفريقية . ولكنها تمتد الى العالم كله . وتمتد الصهيونية في ذلك الى (اليهود) — وهو لفظ معناه التعاليم الصهيونية كما تستند الصهيونية كذلك الى مرجع آخر هو (بروتوكول حكماء صهيون) . وتستند أيضا على المؤتمرات السرية التي تعقدها الصهيونية العالمية .

وفي (اليهود) « انه يجب على كل اسرائيلي ان يبذل كل جهده في ان يبقى السلطة للاسرائيليين اينما حلوا وفي أية جهة استقروا من جهات الأرض » .

وتلخص الخطة الصهيونية — كما يؤخذ ذلك من الاجتماع السري لـ «الحاخامات» أوربا الذي عقد في بودابست عام ١٩٥٤ — في النقاط التالية :

- ١ — اشغال ناز حرب عالمية ثلاثة تؤدي الى سيطرة الصهيونية على العالم لجمع .
- ٢ — اتساع حوة الخلاف بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي .
- ٣ — اعتبار زعماء الدولتين مجرمي حرب .
- ٤ — القضاء على جميع الأجفلس الأخرى غير اليهود (١) .

والنرق كبير في الحقيقة بين اليهود والصهيونية . فاليهودية تقول من نفسها انها دين فقط . ولما الصهيونية فتقول من نفسها انها دين وتومية في وقت معا . ومن هنا يأتي الخطر من هذه الأخيرة . ومن هنا كذلك

(١) محاضرات الدكتور عبد القادر حاتم لطلبة كلية الآداب بجامعة القاهرة .

وجنت مراكز لهذه الحركة الخطرة في كل من : امريكا ، وبريطانيا ، وفرنسا ، وجنوب افريقيا .

وكل هذه المراكز الرئيسية تقوم بعمل واحد هو توجيه النفوذ الصهيوني في جميع دول العالم تقريبا ، وذلك عن طريق السيطرة التالية — قدر المستطاع — على جميع وسائل الاعلام في كل دولة .

وللادعالية الصهيونية وسائلها في المجال الخارجى ووسائلها كذلك في المجال الداخلى . وسنتحدث عن كل من المجالين على حدة :

وسائل الادعالية الصهيونية

في العالم الخارجى

اولا — المجلس الصهيونى الأمريكى :

ويتألف من ست لجان هى :

١ — لجنة الصحافة . ومهمتها جمع المواد الصحفية من شتى اتجاه العالم ، ويتصل بهذه اللجنة مكتب للبحوث من عمله اعداد المواد التى تكتب للرد على أى هجوم يقصد به الصهيونية . ومن عمل هذا المكتب ايضا انه يعطى رايه في الكتب الجديدة ، وينبه على ما فيها من اخطاء من وجهة نظر الصهيونية . ولهذا المكتب — فوق ذلك — أن يتدخل في اعداد بعض المواد الخاصة بالكتب المدرسية في موضوع اسرائيل .

٢ — لجنة التلفزيون . وعملها اعداد المواد الهامة للتلفزيون ، والاتصال بقيادة الكبار وتنظيم الاحاديث والمقابلات ، والرد على الدعالية المضادة . وليس عجيبا أن ترى التلفزيون الأمريكى بذلك يخصص برنامجا اسبوعيا لكبار الكتاب الأمريكين للتعليم بدعالية سفارة لاسرائيل .

٣ — لجنة للاذاعة تقوم بمثل هذه الاعمال الخاصة بالتلفزيون .

٤ — لجنة للشئون الدينية .

٥ — لجنة للشئون الاجتماعية .

٦ — لجنة للعلاقات العمالية .

تحدث الدكتور عبد القادر حاتم الى طلبة قسم الصحافة في جامعة القاهرة قال :

« اتى الى القاهرة صفى أمريكى كان مراسلا لجريدة النيويورك تايمز . واسمه مستر (كفت) . وحاول أن يأخذ حديثا من الرئيس جمال عبد الناصر سنة ١٩٥٥ . والح في طلب هذا الحديث حتى حصل عليه وبعث به الى الجريدة . واخذنا ننظر أن يظهر الحديث في جريدة النيويورك تايمز فلم يظهر بها . فسلطنا المراسل الصفى عن ذلك - وكان صحفيا جريئا حرا - فطلعننا على نفس البرقية التى أرسلها لصحيفه (النيويورك تايمز) متضمنة حديث السيد الرئيس من اوله الى آخره . وبعد ذلك أرسل الصفى الى الجريدة مهندا اياها بانها اذا لم تنشر هذا الحديث في بحر اسبوع فلابد أن يكتب استقالته في نهاية هذه المدة . وعر الاسبوع ولم تنشر الحديث ، فأرسل استقالته الى الجريدة . ثم تال الدكتور حاتم .. بقى ان تعرفوا أن رئيس تحرير الجريدة المخكور رجل اسمه (سالز برجر) وهو رئيس المجلس الصهيونى الأمريكى فى نيويورك » . (انتهى حديث الدكتور حاتم) .

وأغرب من هذا وذلك أن الأستاذة الذين يحرصون التاريخ الاسلامى فى جامعت امريكا كلهم من اليهود . وكذلك الشان فى الجامعات الانجليزية ذاتها .

وهذا الذى يقال عن الصحافة من وسائل الاعلام يقال مثله تقريبا من الصينيا .

والسينما فى الواقع من اقوى اسلحة الدعاية الصهيونية فى الوقت الحاضر . وهى لذلك تعرض الافلام التى تؤيد قضية الصهيونية ومن مثل هذه الافلام رواية عنوانها (الخروج) وهى رواية او كتيب فى غاية القوة . ولا تكتفى الصهيونية بذلك بل انها تعبت بالقصص والمسرحيات القديمة مثل مسرحية (تلجر البنديقية) للفاخر الاتجليزى شكسبير . وفيها شخصية (شيلوك) اليهودى . وقد أظهره شكسبير بظهر الرجل الشره الى المال والخالى فى الوقت نفسه من اى معنى من معانى الرحمة . فما زالت الصهيونية بهذه المسرحية حتى عرضت شخصية (شيلوك) بالصورة التى تدعو الى الإعجاب به لا الى القنأى منه . فلذا اخفنا الى ذلك كله

إن للصهيونية العالمية حتى الآن ما لا يقل عن (٨٩٥) صحيفة في جميع أنحاء العالم . عرفنا الى اى حد بلغت الدعاية الصهيونية من القوة ومن الخطورة .

ثانيا - الهستروتد :

والهستروتد أو الاتحاد العلم للعمال جهاز خطر يسيطر على الحركة العمالية في العالم كله بصفة عامة ، وفي امريكا بصفة خاصة . وقد بنى سياسته على مبادئ منها :

- ١ - الاشتراك في الاتحادات العمالية الدولية العلية .
 - ٢ - تمثيل الهستروتد تمثيلا حقيقيا في الاتحادات العمالية وفي اجزائها الرئيسية .
 - ٣ - ايجاد صلات مع اكبر عدد ممكن من الاتحادات العمالية في العالم كله .
 - ٤ - التركيز على الحركة العمالية في الدول النامية (المتخلفة) وخاصة ما كان منها في القارة الامريكية .
- وأما وسائل الدعاية التي يقوم بها الهستروتد فلا تكاد تفرج مما يلي :

- ١ - انشاء مراكز عمالية كبيرة تحمل أسماء زعماء أمريكيين مشهورين أو رؤساء لاتحادات عمالية في امريكا .
- ٢ - منح جائزة باسم الهستروتد يقال لها جائزة (الانسقية) لأحد رؤساء الجمهورية الأمريكية أو لشخصية لها مثل هذه المنزلة .
- ٣ - انشاء المعهد الأمريقي الاسوي للدراسات التعاونية العالمية . ويدير هذا المعهد في اسرائيل ذاتها هو المنفى الأمريقي في لندن . ومهمة هذا المعهد تدريب القادة الثقبين في كل من آسيا وأفريقيا . ويترك الهستروتد جهوده في هذا السبيل على الدون الاسلامية بدموى أن النزاع قائم بين الصهيونية والدول العربية وليس قائما بين اليهود والديانة الاسلامية . وبهذه الطريقة يحول الهستروتد بين الجمهورية العربية المتحدة وبين الدول النامية في افريقيا فلا تصل اليها الجمهورية العربية المتحدة بثقافتها ودعائاتها ونتائجها الا بشق الأنفس .

وتضاف الى الوسائل المتقدمة كلها وسائل أخرى لم نرد أن نذكرها لشهرتها كالصحف والراديو والسينما والتلفزيون ونحو ذلك .

ثالثا - المؤتمرات الاشتراكية الدولية :

اجتهدت الصهيونية في أن تصل بينها وبين الدول الاشتراكية واصبح (بن جوريون) نفسه عضوا في هذه الاشتراكية الدولية منذ سنة ١٩٢٩ . ولهذا السبب تعطف الاشتراكية الدولية كثيرا على الصهيونية . وقد اشتركت اسرائيل في المؤتمرات الاشتراكية الآتية :

- ١ - مؤتمر حيفا في السليح والمشرين من ايريل (نيسان) سنة ١٩٦٠ . وفيه اظهر كل من (هيو جيتسكل) زعيم حزب العمال البريطاني و (جى دى موليه) رئيس الوزارة الفرنسية تليدهما الكهل لاسرائيل .
- ٢ - مؤتمر لستردام في التاسع من سبتمبر (ايلول) سنة ١٩٦٣ ، وهو المؤتمر الذي دعا الى نزع السلاح في منطقة الشرق الاوسط .

وهكذا استطاعت اسرائيل أن تنفع الدول الاشتراكية كلها بانها المجتمع الاشتراكي الوحيد في وسط دول ديكتاتورية مربية . وانها همزة الوصل بين الاشتراكية الاوربية والاشتراكية في كل من آسيا وافريقيا . وهكذا اتخذت الصهيونية من الاشتراكية وسيلة للتدخل في آسيا وافريقيا .

رابعا - معسكرات الشبيل :

وتسميها الصهيونية (الناحل والحتناع) . وكلمة (نالحل) معناها الشبيل الطائفي المحارب . وكلمة (الحتناع) معناها (الاعداد) بكسر الهمزة .

والغرض من هذه المعسكرات اعداد الشبيل من الجنسين معا قبل سن التجنيد للتعود على الحياة العسكرية قبل الانضمام الى الجيش . وتقيم الصهيونية هذه المعسكرات لا في داخل اسرائيل فقط بل في كثير من البلاد في خارجها .



يضاف الى هذه الوسائل المتقدمة كلها وسائل أخرى تبارسها الصهيونية أيضا في المجال الخلجي . ومنها على سبيل المثال - المساعدات

الفنية والمنهج الدراسية التي تمنحها اسرائيل لبعض الدول النيلية في القارة
الافريقية ، بحجة التشابه في الاحوال الاجتماعية بينها وبين هذه الدول
النيلية او المتخلفة ، وبحجة ان هذه الدول في حاجة الى التجربة التي مرت
بها اسرائيل حتى وصلت الى ما هي عليه . ولذلك وجدنا اسرائيل تمد هذه
الدول النيلية بما لا يقل عن مئة وخمسين خبيرا في المدة بين سنتي
١٩٥٨ - ١٩٦٣ وينحسو ٤٥٠ خبيرا في النصف الاول من عام ١٩٦٤ .
وقد بلغ عدد المبعوثين الى اسرائيل بين عامي ١٩٥٨/١٩٦٤ اكثر من ٧٥٠٠
طلبا وطلبة من اكثر من ٨٠ دولة .

ومن وسائل الصهيونية في المجال الخارجى كذلك تنظيم الزيارات
التي يقوم بها كثير من الشخصيات الكبيرة او المرموقة في كل من افريقيا
وآسيا الى اسرائيل ، حتى لقد قال رئيس وزراء نيجيريا الشرقية يوما
« اننى اعد نفسى اسرائيليا » .

ثم من هذه الوسائل التي تمارسها اسرائيل في المجال الخارجى كذلك
الدعاية السباحية . وقد بلغ عدد المكاتب السباحية الاسرائيلية في شهر
تموز (يولية) سنة ١٩٦٥ التى عشر مكتبا في كل من اوربا والامريكتين .

ومن ذلك ايضا تنظيم رحلات كثيرة للطلبة الاسرائيليين الى الخارج
وللطلبة الاجانب الى اسرائيل ... ويتفق مع هذه السياسة السباحية
الاكثار من بناء الفنادق في اسرائيل حتى بلغت الى الآن ٩٦٣ فندقا .

ومن الوسائل التي تمارسها اسرائيل في المجال الخارجى كذلك
الاعتناء الكبير بالمعارض . والعنلية في هذه المعارض بالنشرات واللوحات
البيانية والاحصائية والاعلام . وقد حدث مرة - كما سبق ان ذكرنا ذلك -
ان نشر الجناح الاردنى في معرض نيويورك ابيانا شعيرة تقص قصة
اللاجئين باللغة الانجليزية . فما زالت الدعاية الصهيونية بهذا المعرض
تدولى الكبير حتى نزعمت هذه اللوحة الاردنية من المعرض .

وبالرغم من كل هذه الاكثيفات التى للدعاية الصهيونية في شتى
انحاء العالم فثمة لا تستحق من استخدام طريقة الاستجداء واظهار الضعف
لملم الدول الكبرى ليكسب عطف هذه الدول عليها . ومن ذلك انها تستخدم

كثيرا من الشعارات الغربية في جميع التبرعات من الجمهور الأمريكي ومنها على سبيل المثال :

« ادفع ديناراً تقتل عربياً »

وذلك كله فضلاً عن اتهام الثورة المصرية في الجمهورية العربية المتحدة بأنها « نازية ناصرية » . وإن العرب يريدون الحرب دائماً ، أما اسرائيل فتبها تريد للمسلم .

وسائل الدعاية للصهيونية في المجال الداخلي :

تعتد الدعاية الصهيونية في داخل اسرائيل على وسائل كثيرة وكلها معروفة منها :

أولاً - وسيلة الصحف :

وهي صحف حزبية عديدة . والسبب في ذلك تعدد عناصر الاسرائيليين . وتصدر الصحف هناك باثنتي عشرة لغة ويبلغ عدد الصحف الاسرائيلية الى الآن ثلاثاً وعشرين صحيفة صباحية وصحيفتين مساءيتين . وهناك رقلة مفروضة على الصحف . وفي شهر مارس (آذار) سنة ١٩٦٢ صدر قانون للسيطرة على الاعلام الاسرائيلي وهو قانون استبدادي يهدف الى تكيم الصحافة . ومن اهم الجرائد هناك : جريدة اليوم ، وجريدة الاتحاد ، وجريدة المرصاد ، والآخره صحيفة شيوعية قومية شبيهة بالصحف الشيوعية التي تعبر عن آراء تيتو . ومن الصحف الاسرائيلية ما ينادى بتصمية للصهيونية وتكليف كتلة من اسرائيل والبلاد العربية ، لا تكون قاعدة من قواعد الاستعمار كما هو الحال في تل أبيب . وهناك صحيفتان (محاربي) و (دافعات) وهما لوسع الصحف من حيث الانتشار .

ثانياً - الاذاعة :

وهي تتبع مجلس الوزراء مباشرة وتعتبر لسان حزب الماباي ، وإن كتلت الأحزاب الأخرى تضيق بذلك . وتتوزع برامج الاذاعة فمنها البرامج الموجهة ، ومنها البرنامج العربي . ومنها برنامج الجيش وهكذا .

ثالثا - السينما والمسرح :

وهما خاضعتان كذلك لمجلس الوزراء .

ويعتبر مسرح (الهاليبيا) اقدم المسارح هناك . انشئ سنة ١٩٢٦ . وتقوم السينما والمسرح على طمس الثقافة العربية والتاريخ العربي وانقضاء على النزعة العربية ومحاربة الفنون العربية في الرقعة العربية من اسرائيل . وتعتبر الطائفة العربية الاسلامية في تل ابيب وغيرها من المدن طابورا خامسا . وتستهدف السياسة هناك تهجير العرب المتقنين بـ اسرائيل وانحلال الاقلية العربية .

لها المهاجرون الجدد من الصهيونية الى تل ابيب فان لهم دعاية موجهة تقوم بها الاذاعة . وللفرض منها تحبيب هؤلاء المهاجرين في الوطن الجديد وتيسير حياتهم فيه . وكذلك تفعل البرامج الخاصة بالجيش فتعنى بترقية حال الجنود ، كما تعنى بتوعيتهم وتوجيههم .

وتسيطر اسرائيل على كثير من محطات الاذاعة وعلى ما يذاع فيها من اثناء تأتي من القاهرة ولبنان وبعض البلاد العربية الاخرى . ولذلك نجد ان بعض الموظفين في اذاعات الدول الاستعمارية اما من اليهود واما من الموظفين الذين اشترتهم اسرائيل بالمال . وبذلك تلقى الأخبار من اسرائيل مشجعة للمواطنين في تل ابيب وغيرها من المدن الاسرائيلية .

ومن الوسائل التي تمارسها اسرائيل في المجال الداخلي كذلك العنصرية النابتة بالفنودى التي تقسم العدد الكبير من الصهيونيين وتلقى فيها المحاضرات التي تعتبر جزءا من الدعاية الصهيونية .

ومن هذه الوسائل كذلك العنصرية بلعب الأطفال والحرص على ان يكتب على كل لعبة منها عبارات قوية الايحاء مثل قولهم « الى القاء في اورشليم » وقولهم « من النيل الى الفرات » ونحو ذلك .



وبالرغم من تنوع الاساليب التي تتبعها الدعاية الصهيونية ، وبالرغم من تعدد الوسائل التي تستعين بها للوصول الى الغاية فان اسرائيل لا تنسى

كل هذه الجهود « دعائية » . ولكن تسميها « اعلاما » . وهي تدرك ادراكا تاما هذا الفرق الكبير بين اللفظين . وكما يقول (صوبيك هالبرن) (١) :

« ليس هناك جماعة واحدة تعترف بانها تبارس نشاطا دعائيا . ونتيجة للدلالات غير المستحبة التي ينطوى عليها لفظ الدعائية في اللغة الدارجة فان استخدام الدعائية لا يلصق دائما بالخصوم » .

ولا يخرج الصهيونيون عن هذه القاعدة العامة . فهم يقومون بشروب واسمة النطاق من النشاط في مجال الدعائية . ولكنهم لا يتحدثون عنها على انها دعائية .

مشروع اعلام عربي موحد لمكافحة الصهيونية :

مما لا شك فيه ان الدعائية الصهيونية لا يطلها غير الاعلام العربي ، ويتم هذا الاعلام العربي على نشر الحقائق وحفض الكاذب .

وتكون الجهود العربية في هذا السبيل من نوع الاعلام وليس من نوع الدعائية .

ومما لا شك فيه ايضا ان الهدف من حركة الاعلام العربي هو التأثير على الرأي العام العالمي وتصوير اسرائيل دائما بصورة المعتدى على حقوق العرب اللاجئين في العودة الى وطنهم ، وإثارة الشعور الانساني في الجاهل من هذه الناحية .

ومما يكن من شيء فلابد لهذه الحركة الاعلامية العربية من اهداف في داخل الوطن العربي واهداف في خارج هذا الوطن او بمعنى آخر ... هناك طرق لمكافحة الدعائية الصهيونية لابد ان تسلكها حركة الاعلام العربية . وحسبنا هنا ان نثير لولا الى الاسس التي يبنى عليها الاعلام العربي في مكافحة الصهيونية :

اولا - الدراسة الحقيقية للمثلية الصهيونية والمثلية الاربوية والمثلية الامريكية ما هنا - نحن العرب - نهدف الى اقناع هؤلاء جميعا بوجهة

(١) في كتابه : The Political Words of American Zionist P. 254.

نظرنا وعدالة قضيتنا . ويتبع ذلك بطبيعة الحال دراسة دقيقة لأساليب الدعاية الصهيونية ووسائل هذه الدعاية .

ثانياً - الارتفاع بمستوى المجهود العربي في مكافحة الدعاية الصهيونية الى مستوى الاعلام الصهيوني - ولا نقول الدعاية الصهيونية - ونحن نعرف الفرق بين الاعلام والدعاية . فالدعاية هي محاولة التثبيح في عقول الجماهير وسلوكهم عن طريق الاستهواء التعمى . اما الاعلام فهو - كما قلنا - تزويد الجماهير بالمعلومات الصحيحة والحقائق الثابتة بقصد اقتناعهم باتجاه معين أو بفكرة معينة . ومن هنا اصبح الاعلام هو الطريق السليم والوحيد لمكافحة الدعاية . وذلك ما تصدنا اليه من القول بأننا نريد ان نرتفع بمجهودنا العربي الى مستوى الاعلام الصهيوني . ولا نريد ان ننحدر بهذا المجهود الى مستوى الدعاية الصهيونية - تلك الدعاية التي لم تستع يوما ما من التزييف والخداع الى حد أنها استخدمت أغلفة المجلات المصرية - كمجلة روز اليوسف - في اصدار مجلات صهيونية مكتوبة باللغة العربية لمحاربة القضية العربية !!

ثالثاً - مرونة الخطة الاعلامية العربية بحيث يمكن تغييرها من وقت لآخر حسب الحاجة . ويكون ذلك بأشراف جامعة الدول العربية .

رابعاً - الحرص كل الحرص على نجاح الوحدة العربية ما دامت هي العامل المهدد للكيان الاسرائيلي والطريق الى ازلتها من المنطقة العربية .

خامساً - العمل على ايجاد وحدة اعلامية بين الدول العربية . والحق ان هذه الوحدة الاعلامية لا تقتل شئنا عن الوحدة العسكرية أو الوحدة الثقافية أو الوحدة الاقتصادية . تلك هي الاسس الخمسة لمشروع الاعلام العربي الموحد . وينبثق عن هذه الاسس جميع الجهود الاعلامية بعد ذلك . وهي كثيرة ومتجددة نورد امثلة منها على النحو التالي :

١ - السيطرة التامة على اجهزة الاعلام في الدول العربية ووضع سياسة اعلامية موحدة لهذه الاجهزة .

٢ - انشاء شركة موحدة كذلك لانتاج الاعلام السينمائية لصالح القضية العربية .

(م ١١ - الاعلام والتغطية)

٣ - تشجيع الأبناء والكتاب على تأليف القصص الهادئة على نحو ما فعلت إسرائيل في مثل قصة « الخروج » . وتشجيع اسعراء كذلك على تأليف الأناشيد الحماسية ليتوم المعنون بأدائها كما حدث ذلك في أيام العنوان الثلاثي على مصر .

٤ - الاكثار من المؤتمرات الصحفية لتفنيد مزاعم إسرائيل . وهى المزاعم التى سنشير الى بعضها فى نهاية هذا الفصل .

٥ - الاعتماد على الخطب فى لمكن للتجميع العام كالمسجد والكنيسة والنسائى والمدرسة .

٦ - إبراز مشكلة الأقليات وإظهار إسرائيل بظهور المعتدى على العرب وعلى ممتلكاتهم . ويصل بذلك :

(أ) إبراز مشكلة اللاجئين العرب وانهالها للعالم العربى .

(ب) إبراز الاختلاف الظاهر بين معاملة إسرائيل لليهود الشرقيين المهجرين اليها من كل من آسيا وإفريقيا ومعاملة إسرائيل لليهود الغربيين .

(ج) فضح مواقف إسرائيل العدوانية وخرقها عشرات المرات للهدنة .

(د) شرح موضوع تمويل نهر الأردن ومخالفة ذلك للعانون الدولى .

(هـ) كشف العلاقات التى تربط إسرائيل بالاستعمار والتكيد على هذه الحقيقة .

٧ - الاستعانة بجميع الجاليات العربية وإنشاء جمعيات صداقة لفائدة القضية .

٨ - الانتفاع بالطلبة العرب فى الخارج . ومن أجل ذلك دعت الجمهورية العربية المتحدة فى صيف سنة ١٩٦٦ جميع أولئك الطلاب لحضور مؤتمر للتقوا فيه بزملاء الثورة فى القاهرة . وكان لهذا المؤتمر آثاره الطيبة .

٩ - تشجيع المنح الدراسية لإنشاء للدول الأجنبية نيدسوا فى البنىاد العربية .

- ١- تشجيع الصحفيين والمسورين والادباء والكتاب ورجال الفن على زيارة البلاد العربية وتكوين فكرة صحيحة عنها .
- ١١- تشجيع المعارض العربية واغلبتها في الدول الأجنبية عن طريق المعارض الدولية ونحو ذلك .
- ١٢- دعم العلاقات الشخصية بالبرزين من الرجال في عالم الفكر والأدب والسياسة والفنون وتشجيعهم بالحوافز الثمينة .
- ١٣- اجراء مسابقات ادبية في موضوع القضية العربية واعطاء هذه الجوائز للكتاب الغربيين الذين يؤثرون قصصا ممتازة او كتباً ممتازة في هذا الموضوع .
- ١٤- اقامة معاهد لتعليم اللغة العربية في البلاد الأجنبية وتشجيع البعثات اليها وانشاء كلية عربية في عدد كبير من البلاد الأجنبية كلها امكن ذلك .
- ١٥- تركيز الجهد الاعلامي على الدول التي تتف موقفا سلبيا عند التصويت في قضية فلسطين في هيئة الأمم المتحدة ، وعلى الدول التي تتف موقفا عدائيا منها كذلك .
- ١٦- الكشف عن النشاط الصهيوني الإرهابي المدمر في اكثر بلاد العالم في الوقت الحاضر .
- ١٧- الاهتمام بالكتيب الاعلامية العربية في جميع الدول الغربية . على أن يكون كل مكتب من هذه المكاتب مثلاً للدول العربية كلها وليس مثلاً لدولة عربية واحدة فقط . ففي اتباع هذه الخطة ما يشعر الشعوب والحكومات الغربية بتضامن العرب وتكاتفهم في مكافحة الصهيونية .
- ١٨- العناية كذلك بالكتيب السيلاحية العربية في كل بلد عربي من جهة وعن طريق الاتحاد السيلاحي الدولي من جهة ثانية ما دامت السيلحة صناعة القرن العشرين - كما يقولون - فيجب أن ينظر العرب اليها على انها وسيلة اعلامية بكل ما فيها من هذه الكيفية من معنى . وعليها

ينبغي أن يعتمد العرب في نشر الدعاية للقضية العربية وفي شرح الجوانب السيئة للدعاية الصهيونية .

١٩- حرص العرب على حضور جميع المؤتمرات البرلمانية والمالية والتعلية ، وعدم ترك إسرائيل تقف وحدها بذلك .

٢٠- مهاجمة نقط الضعف في الكيان الإسرائيلي ، وأعداد الردود على المزاعم الإسرائيلية . وتصوير إسرائيل على الدوام بصورة المعتدى على حقوق العرب واغتصاب بلادهم وإيقاظ الضمير الإنساني من هذه الناحية .

وأخيرا نلت النظر الى هذه المقترحات الأربعة الباقية وهي :

٢١- العمل على إصدار صحف عربية تكتب باللغة الإنجليزية ، وذلك في كل من أمريكا وإنجلترا ، والاعتماد في ذلك على اصدقاء العرب من الإنجليز والأمريكيين . وليس هؤلاء الأصدقاء بقليلين في تلك البلاد . ولما تويل هذه الصحف ناهي يقع على البلاد العربية كلها ، ومن بينها السعودية والكويت وغيرها من الأطر المنتجة للنفط .

٢٢- ومثل هذا يقال كذلك بالنسبة للإذاعة . فانه يمكن الاتفاق على محطات عربية في أمريكا وإنجلترا ، والاستعانة فيها بأصدقاء الحرية والانسانية في كل من هذين البلدين بنوع خاص .

٢٣- إيجاد الصلوات التام بين السفارات العربية في البلاد الغربية . ولا بأس أن يكون في كل بلد من البلاد الغربية مكتب عربي يقوم بتنسيق الجهود الاعلامية بين السفارات المذكورة في سبيل توحيد الخطا بينها لمثل هذه القضية .

٢٤- الاعتماد على منظمة (الأمم المتحدة) في الترويج للقضية العربية بما دامت هذه المنظمة تعتبر في الواقع مثبرا علما يستمع اليه الرأي العام العالمي ويعرف به وجهت نظر الشعوب ؛ وخاصة في اوقات الأزمات والحروب . أما القول بتقاطعة هذه المنظمة فانه يحرم الأمة العربية حرجا ثلها من هذه الفرصة .

مزاحم إسرائيل والرد عليها :

الحق ان هذه المزاحم كثيرة ومن أهمها ثلاثة :

الأول - زعم إسرائيل أنها أصبحت لمرأ وانقعا . والرد على ذلك ان إسرائيل تتجاهل في ذلك الزعم جميع القوانين الدولية التي لا ترضى عن السرقة والنهب . وغير ذلك من الأعمال التي قامت بها الصهيونية حتى سلمت لها إسرائيل بهذه الطريقة غير المشروعة . ومما لا شك فيه ان القوانين الدولية تعطي العرب حق الدفاع عن أنفسهم واسترجاع أرضهم . وكما يقول الدكتور حاتم : هناك المستندات العديدة التي تدل على أعمال النهب والسرقة التي ارتكبتها الصهيونية وهي مستندات يعرفها الجميع .

الثاني - زعم إسرائيل أنها هي الداعية الى السلام وأن العرب دائما هم الداعون الى الحرب . وليس لبلغ في الرد على هذا الزعم من هذا الحديث الذي لقيه الدكتور عبد القادر حاتم في محاضرة له في كلية الآداب بجامعة القاهرة حيث قال : « حدث في المؤتمر الدولي عام ١٩٥٧ - أن وقف مندوب إسرائيل وقال : يا أعضاء المؤتمر : لاشك انكم جميعا تحبون السلام . وقد انتهت الحادثة الذي وقع سنة ١٩٥٦ (يريد حادث العدوان الثلاثي على مصر) وطويت صفحة من صفحات الكراهية . ونحن اليوم نمد أيدينا للمندوب بمصر لنصالحه ونبدأ صفحة جديدة . وما على المندوب المصري الا أن يعلن انه يريد السلام . وبذلك يسدل الستار على هذه القضية .

وهنا وجه الدكتور حاتم كلامه الى الطلبة قائلا لهم : هذا كلام يصدره الناس كثيرا ، ويدخل في باب الدعاية الاستعمارية التي درجت عليها إسرائيل . فما كان مني في ذلك اليوم الا ان وقتت في المؤتمر وقت : اما أنا فاستأذن الآن في السفر الى بلادى على عجل . فقال مندوب إسرائيل : ولهذا تتسحب يا سيدى ؟ انك إذن لا تريد السلام . ثم التفت الى أعضاء المؤتمر وصاح قائلا : اسمعوا انظروا : ان مندوب مصر لا يريد السلام .

لم يكن أبلهى في هذه اللحظة الا ان أرفع صوتي في المؤتمر قائلا :

« اتنى انسحب من المؤتمر الآن وعلى عجل لاننى اعرف ان القوات الاسرائيلية لابد انها ستهاجم بلادى غدا . ذلك انكم ايها الصهيونيون فى كل مرة تتحدثون فيها عن السلام تكون الحرب فى اليوم الثانى مباشرة . وعندى سجل به لكثير من ملة تصريح بالسلام . وفى اليوم الثانى مباشرة يقع المدولن » .

الثالث - زعم اسرائيل ان هناك اسسا تاريخية لقيام دولتهم ، وان ارض الميعاد هى فلسطين ، وانهم لم ينفطوا اكثر من انهم رجعوا الى ارضهم التى وعدهم الله بها ..

وتجاهل الصهيونيون فى كل ذلك حقائق التاريخ الصحيح . واكثر من ذلك انهم قصروا اهتمامهم على فترة واحدة فقط من تاريخ فلسطين ، هى الفترة التى عاشوها بتلك الأرض . وأعجب من كل ذلك انهم يدرسونه هذه الفترة وحدها من تاريخ فلسطين ، وذلك فى جميع أنحاء العالم .

وهنا ندعو الدارسين والباحثين فى جميع أنحاء العالم . كذلك الى ان يدرسوا تاريخ فلسطين ليعطوا علم اليقين ان العرب حكموا فلسطين مدة تزيد عن ثلاثة عشر قرنا من الزمان . على حين ان اليهود حكموا فلسطين مدة لا تزيد على خمسة قرون على اكثر تقدير .

هل يستطيع التاريخ ان ينكر على فلسطين انها عربية منذ نفذ تحت على يد الخليفة الثانى عمر بن الخطاب عام ١٥ للهجرة ؟ واذا كان لا يستطيع شيئا من ذلك فباى حق عهد الانجليز سنة ١٩٤٧ الى هذه الجريمة السياسية التى انتزعوا بها جزءا من الوطن العربى الكبير وقدموه هدية الى اليهود ؟ . ان البائع والمشتري فى هذه الصفقة ليس لهما حق قانونى فى ذلك .

ولكن اين من يسمح للعرب بحجتهم ؟ وهل يمكن ان يتخلص الغرب الأوربى والأمريكى يوما ما من تأثير الدعاية الصهيونية القسوية لى يدرك هذا الغرب ان للعرب حقوقهم المشروعة فى هذه القضية ؟ .

ان السلام فى الشرق الأوسط لا سبيل الى اقراره الا على اسس من العدل . ولا أمل فى تحقيقه الا عن طريق الإدراك السليم . وانهم المستقيم لهذه الحقيقة .

وفي اعتقادي أن هذا الإدراك السليم لا يكون إلا عن طريق البحث أو الدرس . ومعروف أن العلم لا يخضع للدعالية ، وإن الدعالية لا سلطان لها إلا على العواطف من جهة ، وعلى الأمور المادية من جهة ثانية . والعلماء في كل زمان ومكان لا يلتفتون إلى الدعالية بجميع أشكالها بقدر ما يلتفتون إلى الحقائق العلمية في ذاتها .

وفي اعتقادي أن كلا من أوروبا وأمريكا إذا سلكتا طريق العلم أو العقل وإخلصنا في ذلك فانهما تخدمان السلام العالمي الذي هو حلم البشرية والذي هو الدليل الوحيد على تقدم عقول البشر .

ما هو السبيل إلى تنفيذ المشروع ؟

إن مشروما للإعلام العربي الموحد كما يحتاج إلى تفكير عميق من الناحية النظرية كذلك يحتاج إلى تفكير عميق من الناحية التنفيذية . وقد أشرت إلى بعض الخطوط العامة للمشروع من الناحية النظرية . ويتبقى أن نشير إلى بعض الخطوط العامة للمشروع من الناحية العملية .

وهنا نقول إن قسم الصحافة بجامعة القاهرة شارك في التفكير في هذا الموضوع الخطير . وجاءت هذه المشاركة على شكل رسالة تقدم بها الأستاذ حامد محمود للحصول على المجستير . وعنوان الرسالة كما يلي :

« الدعالية الصهيونية — وسائلها وأساليبها وطرق مكافحتها » .

أشار الباحث في هذه الرسالة (١) إلى عدة وقائع منها :

١ - قررت هيئة خبراء الإعلام العربي في اجتماعها الذي عقد في شهر يناير سنة ١٩٥٩ - إنشاء جهاز للإعلام العربي يتألف من لجنة دائمة تضم رؤساء أجهزة الإعلام في الدول العربية ، ومكتباً دائماً للدعوى العربية . كما تتألف من المحققين الصحفيين للقول الأعضاء ، ومندوب مشترك للإعلام العربي ، وإدارة للاستعلام والنشر .

(١) تم طبع هذه الرسالة بنفس العنوان المشار إليه . (انظر الفصل الرابع ص ٣٥٥ - ٣٦٢) .

٢ - انعقد مؤتمر وزراء الاعلام العربى بالقاهرة عام ١٩٦٤ واتخذ عدة قرارات خطيرة فى السيلسة الاعلامية العربية . واضيف الى المنظمات التى تقرر انشاؤها فى عام ١٩٥٩ (مجلس لوزراء الاعلام) فى الدول الاعضاء يجتمع مرة فى السنة على الأقل .

وكذلك قرر المؤتمر ان يتم تمويل جهاز الاعلام العربى بالدرجة الاولى عن طريق مساهمات تقوم الدول الاعضاء بتقديمها . وذلك بدلا من الاكتفاء فى تمويل جهاز الاعلام العربى بجميع التبرعات فى (اسبوع الاعلام العربى) . وبالإضافة الى كل ما تقدم قرر مؤتمر وزراء الاعلام كذلك انشاء دار عربية للتأليف والترجمة والنشر ووكالة انباء عربية مع ان فى الدول العربية لجهاز من هذا القبيل لها خبرة ولها اختصاص .

ذكر الأستاذ حميد محمود هذه الوقائع وأوضح عيوب المشروعات السالطين . ثم قال : ولتلافى اوجه النقص فيها نقترح انشاء جهاز للاعلام العربى على النحو الآتى :

مشروع جهاز منظم

للالعلام العربى الموحد

اولا - مجلس وزراء الاعلام :

يتكلف من وزراء الاعلام فى الدول الاعضاء بالجامعة العربية . ويجتمع مرة كل ستة اشهر أو كلما دعت الضرورة الى ذلك ... ويقوم بالنظر فى السياسة الاعلامية التى تسير عليها الدول الاعضاء والجامعة العربية ... كما يقوم بدراسة ما يرفع اليه من تقارير عن اتجاهات العمليات المضادة ووسائل مكافحتها وتكون قرارات المجلس ملزمة للدول الاعضاء .

ثانيا - اللجنة الدائمة للاعلام العربى :

وتتكون من مندوبين من وزارات الخارجية والاقتصاد والاعلام والثقافة والارشاد والتربية والتعليم فى الدول العربية . ويشرف عليها الامين المساعد للجامعة العربية لشئون الاعلام . ومن الضروري ان يكون اعضاء هذه اللجنة متفرغين تملأ للمعمل الذى سيكلفون به .

وتقوم اللجنة الدائمة بوضع سياسة قصيرة الأجل وأخرى طويلة الأجل لمقاومة النشاط الصهيوني وتتولى اللجنة الفصل في جميع الأمور التي تتعلق بإسرائيل والتي لا تحتل التأخير .

وتتفرع عن هذه اللجنة الإدارات التالية :

(أ) إدارة المعلومات :

ويمكن أن تلحق بها أقسام كثيرة . منها قسم الاستماع للاذاعات الأجنبية وأهمها الاذاعة الإسرائيلية . وقسم المكتبة ويضم جميع المراجع والوثائق التي يمكن الاستفادة منها في أعداد الأبحاث المختلفة .

(ب) إدارة الأبحاث — وبها أربعة أقسام :

قسم للبحوث الاقتصادية مهمته دراسة النشاط الاقتصادي الإسرائيلي .
وقسم للبحوث السياسية مهمته دراسة النشاط السياسي الإسرائيلي .
وقسم للبحوث الدبلوماسية ومهمته دراسة الدبلوماسية الصهيونية والوقوف على وسائلها وأساليبها والتفكير في طرق مكافحتها .

وقسم للبحوث الثقافية ومهمته تتبع النشاط الثقافي الإسرائيلي في مختلف أنحاء العالم ودراسة شؤون المبعوثين العرب في الخارج ، ويبحث للوسائل الممكنة لزيادة النشاط الثقافي العربي في المناطق التي تعمل فيها إسرائيل والمناطق التي لم تصل إليها بعد . والتفكير في إمكان الاستفادة من مبعوثي الأزهر في البلاد المختلفة ، وإيجاد الأسانذة العرب للقاء محاضرات في الخارج .

(ج) إدارة التخطيط والتوجيه :

ومهمتها أعداد مواصفات المواد الصالحة للدعاية في العالم الخارجي وفي الوطن العربي . وتحديد التيارات الفكرية والثقافية في الدول المختلفة ، وتطليل القيم والمثل التي تتميز بها مختلف الشعوب لا يمكن التحثت إليها بلقبتها . ثم تطليل اتجاهات الرأي العام في الوطن وفي العالم الخارجي ، واختيار أنسب الأساليب الدعاية لاتباعها في مكافحة الصهيونية .

(د) ادارة الاتصال :

ومهمتها تنسيق العمل في الوزارات والهيئات المختلفة في الدول العربية للتعامل مع اللجنة الدائمة للاعلام العربى في مختلف المجالات ، وكذلك الاشراف على نشاط البيئات والمنظمات العربية ، وجميعيات الصداقة ومداومة الاتصال بها . وذلك لتزويدها بكافة المعلومات وابلاغها مخلف القرارات التى يتوصل اليها الجهاز .

(هـ) ادارة المطبوعة :

وعملها اعداد المواد الاعلانية المختلفة وضمان وصولها الى غايتها ومتابعة تنفيذ قرارات الادارات المختلفة وتوصياتها فيما يختص بمقاومة النشاط الصهيونى في المجالات الاتصالية والسياسية والدعائية وغيرها في مناطق العالم المختلفة ... وتتبع المشكلات التى تعترض التنفيذ والعمل على تذليلها ...

من اجل ذلك لابد لادارة المطبوعة من ان تتألف هي الأخرى من أقسام أربعة هي :

قسم النشر ، وقسم الاذاعة والتليفزيون ، وقسم السينما ، وقسم التصوير .

(و) ادارة العلاقات العامة :

ومهمتها اقامة اتصالات بين جهاز الاعلام في الجامعة العربية من جهة ، والصحف وبقية وسائل الاعلام من جهة أخرى . وذلك تعريفاً بالنشاط الذى يقوم به جهاز الاعلام العربى الموحد .

(ز) ادارة المعارض :

ومهمتها دراسة الدفوات الموجهة للاشتراك في المعارض الدولية ، ووضع خطة مشتركة بآرائها . وأعداد معارض متنقلة تصور الحضارة العربية والانتاج العربى الحديث .

(ح) ادارة السيلحة :

وتقوم بالدعاية السيلحية في جميع انحاء العالم باعتبارها عملية غير مباشرة للرد على الدعليات الصهيونية المعادية للعرب . ومهمتها كذلك انشاء مكتب اعلام سيلحية للدول العربية في مختلف عواصم العالم المهمة وتشجيع السيلحة الى الدول العربية .

(ط) ادارة المؤسسات الثقافية :

وتنظر في انشاء المعاهد والنصول الخاصة بتدريس اللغة العربية وادائها في الخارج ، وخلصه في امريكا وآسيا وبعض البلاد الامريكية اللاتينية حيث توجد جاليات عربية كبيرة . كما ينبغي ان تقوم هذه الادارة كذلك بتشجيع ترجمة جيدة للكتب التي تعتبر امهات الادب العربي والمحضرة العربية الى اللغات الاجنبية ، والاتفاق مع دور النشر في الخارج لنشر الكتب المترجمة .

(ي) صندوق الدعوة العربية :

ومهمته تمويل الجهاز المقترح عن طريق المساهمات التي تقدمها الدول الاعضاء ، وتخصيص ١٠ ٪ من عائدات البترول العربي لهذا الصندوق . ولا يلبس كذلك من تخصيص اسبوع من كل عام للدعوة العربية ، والقيام بحملة لجمع التبرعات من جميع البلاد العربية ، ومن جالياتها المقيمة في الخارج (١) .

(١) دفعت بهذا الكتاب الى المطبعة قبل ايام قليلة من قيام الحرب الاخيرة بين العرب واسرائيل ، وذلك في الخامس من شهر يونيو (حزيران) سنة ١٩٦٧ . والذي لا ريب فيه ان العرب تطهوا من هذه الحرب دروسا كثيرة ، وذلك من الناحية العسكرية والناحية الاعلامية ، ولا يعنينا من هذه الدروس في مثل هذا الكتاب الذي بين يدي القارئ غير الناحية الاعلامية . وهذه الناحية الاخيرة أصبحت بحاجة شديدة الى جهود كبيرة نرجو ان تكون الدراسة التي يقدمها هذا للكتاب تمهيدا لها وبداية للخطط العلمية التي تبني عليها .

= لقد بنى الاعلام العربى والدعاية العربية فى الفترة الأخيرة التى سبقت هذه الحرب على شئ من المبالغة وانشاء الأسرار العسكرية . فكان هذا الاعلام يكشف دائما عن الأسلحة الحربية التى تحصل عليها الجيوش العربية . وكانت اسرائيل تستغل هذه البيئات العسكرية وتستند اليها فى استجداء أمريكا لمعد كبير من الأسلحة الحربية لى تسبح قوتها متوازنة مع قوى العرب .

كما كلفت الدعاية العربية فى تلك الفترة تعتمد على السبيل والغش على حين انها لا يؤثران فى الشعوب الغربية-أمريكية وأوروبية قدر ما تؤثر فيها السخرية الهادئة اللاذعة .

(وبعد) فقد أيقنت الشعوب العربية عقب هذه الحرب بالحاجة الماسة الى أمور كثيرة أهمها ما يلى :

١ — الإيمان بضرورة الوحدة العربية ، بحيث تصبح هذه الوحدة مقيدة راسخة .

٢ — العناية بدراسة الخطط الاعلامية بنفس الدقة التى توضع بها الخطط العسكرية .

٣ — النظر الى العلم الحديث على أنه سلاح من أقوى الأسلحة فى الميدان العربى والإسلامى .

٤ — إعادة النظر فى الاقتصاد العربى على ضوء التجربة المبررة التى مرت بالعرب فى الحرب الأخيرة .

٥ — تعبئة الشعوب العربية كلها بحيث يصبح كل شعب عربى هو عبارة من كتلة عسكرية كما هو الشأن فى اسرائيل التى ثبت أنها تحولت منذ عام ١٩٤٨ الى كتلة عسكرية يشترك فيها الرجال والنساء والفلاحون والعمال . وقد حمل الجميع السلاح واستعدوا لاستخدامها كلها للمركبة ، ورغم كل مواطن من المواطنين موثمه منها .

الفصل الرابع

الدعاية النازية

كل من الطبيعي أن تقوم الدعاية النازية على الإنكار والمبايعة
التي اشتعل عليها كتاب هتلر : (كملحي) . وفيه يقول عن الدعاية :
« إنها التأثير في خيال الجماهير التي تسيطر عليها الفريزة . وعلى الدعاية
أن تتخذ لنفسها شكلا سيكولوجيا ملائما حتى تسلك الطريق الملائم لهذه
الجماهير . ومن رأى أنه يجب أن تخضع البرامج المدرسة والتوجيهية
لخدمة الدولة » (١) .

ويقول هتلر كذلك في خطاب له في مؤتمر نورنبرج سنة ١٩٢٦
في وصف الدعاية النازية :

« لقد أوصلتني الدعاية إلى الحكم . وبدعاية حافظنا على مراكزنا .
وبها سوف نستطيع أن نغزو العالم كله » .

وهكذا كانت الدعاية النازية من أقوى الأسلحة التي اعتمد عليها
النظام النازي . وكانت لها أيديولوجية سياسية هدف — كما يقول هتلر —
إلى غزو العالم كله .

ومن رأى (جوبلز) وزير الدعاية في عهد هتلر كذلك :

« إن الدعاية يجب أن تستخدم في حكم الشعب ، وأنه يجب أن تكون
مكثتها الأولى بين تلك الفنون . ولا يمكن الاستغناء عنها في بناء الدولة
الحديثة . وإن الهدف الأول للدعاية هو قيادة الناس إلى الإنكار التي ترغب
الدولة أن يعتنقها الجميع » (٢) .

(١) حسن الحصن : الاملاء والدولة ، ص ٣٥٧ ، بتصرف .

(٢) نفس المصدر السابق .

من أجل ذلك سخر هتزر كل أجهزة الاعلام في ألمانيا لهذه الغاية التي
أشهر إليها هو وزيره . ومن تلك الأجهزة بطبيعة الحال (جهاز الإذاعة) .

وقد كانت هذه الإذاعة أقرب إلى الدعاية منها إلى الاعلام بالمعنى
المفهوم لهذه الكلمة الأخيرة وآية ذلك أن الإذاعة كانت تؤكد دائماً بأن الأعمال
العدوانية التي قامت بها ألمانيا ضد بعض الدول ليست في حقيقتها إلا محاولة
لضمان العدالة وإصلاح الأخطاء الكثيرة التي وقعت فيها ، ولاكثر مدد
الذين يعطفون على ألمانيا في مختلف أنحاء العالم ، ولتقدير الدور الذي
تقوم به ألمانيا في سبيل حماية أوروبا من انتشار الشيوعية .

والحق لقد كثر النزاع حول الدعاية النازية . واختلف الباحثون
في مقدار ما فيها من الصواب ومقدار ما فيها من الخطأ .

ومهما يكن من شيء فلهذه الدعاية عيوب ولها مجلس . ومن واجبنا
أن ندرس الأمرين معاً .

كان هتزر يقول أن من مصلحة ألمانيا أن تتخذ لنفسها نظاماً خاصاً
في الاعلام والدعاية يتلاءم معها . ولذلك رأينا وزيره (جوبلز) يأخذ نفسه
بدراسة عميقة للدعاية كشفت عنها مذكراته ومحتفظاته . وهذه الدراسة
هي الجانب الحسن من الدعاية النازية كما سنوضح ذلك بعد . أما الجانب
السيئ من هذه الدعاية فيتشبع لنساً فيما يلي :

سبلات الدعاية النازية :

لأنك أن من أخطر عيوب هذه الدعاية عيبين واضحين هما :

أولاً - أن هذه الدعاية كانت السبب الأول والأخير في قيام الحرب
العالمية الثانية ، وفيما قلناه العالم كله بوجه عام وألمانيا بوجه خاص
من ويلات هذه الحرب .

ولا ينبغي أن ننسى بأن النظرية النازية في ذاتها كانت تقوم على جملة
من المبادئ تنكر حق الفرد وتنكر ما له من قيمة ذاتية . بل فرد في هذه
النظرية كائناتة في خلية النحل يجب عليه أن يلغى شخصيته للخلايا ،

وإن يفتنى في الجماعة فناء تلبا . لأن الفرد في هذه النظرية لا يفكر بل يدع مهمة التفكير للدولة فهي التي تفكر له ، وما هو غير آلة تنتد ما تفكر فيه الدولة .

ثقيفا — أما العيب الثاني من عيوب النظرية النازية فهو القول (بالعنصرية الآرية) . ومعناها النظر إلى كل فرد من أفراد الشعب الألماني على أنه عنصر ممتاز عن بقية العناصر التي منها سائر البشر . ولذلك فمن حق هذا العنصر الجرماني أن يسود على جميع أفراد البشر .

وتطبيقا لهذه النظرية العنصرية وجدنا هتلر يرتب الشعوب في درجات ويجعل لها أرقاما . فالشعب الألماني رقم (١) والشعب العلاتي رقم (٢) والشعب العلاتي رقم (٣) وهكذا . ولم يكن بذلك حتى وضع لكل شعب من هذه الشعوب النظام الذي يلائمه من حيث الاعلام والدعاية حتى اذا وصل هتلر في كلامه الى اليهود أكد ان سياسة الارهاب هي وحدها السياسة التي تصلح لهم دون غيرهم .

أساليب الدعاية النازية ونظمتها وأهدافها :

للدعاية النازية أساليب تميزها عن غيرها من الدعايات ولها نظام يختلف من أنظمة هذه الدعايات . ومن أهم هذه النظم والأساليب ما يلي :

أولا — وزارة الدعاية :

وقد كان وزير الدعاية في المعهد الهتلري هو (جوبلز) وكان يعتبر الرجل الثاني في الدولة بعد هتلر مباشرة . وتقوم هذه الوزارة على النظام المركزي بحيث يتصل الوزير مباشرة بمديرى الإدارات في وزارة الدعاية . ولا يكون اتصال الوزير بهؤلاء المديرين عن طريق وكلاء الوزارة حتى لا يحدث تغيير أو تبديل في توجيهات الوزير بسبب نظرها من الوكيل الى المدير .

ومن أجهزة هذه الوزارة كذلك جهاز يقال له (الجسستابو) أو المخابرات الألمانية . وكان من عمل هذا الجهاز الأخير مراقبة أفراد الشعب في كل شيء حتى في استماعهم للإذاعات الأجنبية التي حرما عليهم حظر تحريما تاما . وكان يهجد كل من استمع لإذاعة أجنبية بوشمه

في المعتقل . ومن أجل هذا عهد هنر الى انشاء مصانع كبيرة لأجهزة الراديو المحلية أو السلكية للاستغناء بها عن الأجهزة اللاسلكية التي تصل ألمانيا بجميع أنحاء العالم . ووضع هنر في كل منزل مكبرا للصوت لينقل الاذاعة التي تحملها الشبكة السلكية التي تسيطر عليها الحكومة سيطرة تامة لأنها المحطة الوحيدة للاذاعة في برلين .

ثانيا - تنظيم المظاهرات الشعبية في أثناء خطاب هنر أو جوبلز :

الحق ان أشد ما يجب له المؤرخ للمعهد الهنري هو عنايته البالغة بتنظيم المظاهرات على نحو يذهل العقل . فلذا تحدد موعد لاحدى الخطب التي يلتقيها هنر أو جوبلز ذهبت للجماهير الى مكان الاجتماع في نظام دقيق لتستمع الى الخطبة بأصغاء تام ، وتتشد الأنفاس بفتحهم معين ، وتلقى الهاتفات لهنر وتؤدي السلام الهنري (هيل هنر) بنظام معين . وكان هذه الجماهير في كل ما يصدر عنها من هذه الحركات آلات تدار باصبع اليد الواحدة .

وهكذا نجحت الدعاية النازية في تعبئة الشعب الألماني كله ولم يترك هنر ولا جوبلز شيئا للصدفة . بل وضعا نظما دقيقا لكل مظاهرة من المظاهرات التي يقوم بها الشعب الألماني .

ثم تحقق قول هنر في كتبه (كهلبي) :

« يجب أن نعمل لا في المجالات السرية ، بل عن طريق القوة الساحقة للجماهير . ولا يكون ذلك بواسطة الخنجر أو السم أو المسدس . وإنما عن طريق واحد فقط ، هو غزو رجل الشارع . ولذلك يجب ان تكون روح الدعاية في مستوى يتلاءم مع روح الجماهير وعقليتهم حتى يتجمع لنا منهم أكبر عدد ممكن » .

ثم ان تنظيم هذه المظاهرات كان يعتمد كذلك على الموسيقى وخاصة منها موسيقى (ماجنر) وهي الموسيقى التي غلب عليها الطابع الشمسي . وكانت النصة التي يخطب من فوقها هنر تضاء بطرق هندسية خاصة تذهب مشاعر الجماهير وتهيئهم تهيئة خاصة لسباع خطيبه .

ثالثاً - نظرية منطلد الاختصار :

وتفسر هذه النظرية أن الزعيم أو القائد إذا أراد أن يعرف رأى الشعب في موضوع من الموضوعات وأن يقف على مدى تجاوبه مع هذا الموضوع أو ذلك فإنه يعيد إلى نشر رأى عن هذا الموضوع في صحيفة من الصحف . ثم ينتظر مدة من الزمن ليرى بعدها مبلغ استجابة الشعب لهذا الموضوع في الأوساط الاجتماعية على اختلافها . فلو كان الرأى العام يميل إلى هذا الموضوع فإنه يعيد نشره في إحدى الصحف ، ويسمح بإذاعته في محلات الإذاعة ، وينسب هذه الفكرة لنفسه بعد أن كان يخفى هذه النسبة إلى نفسه .

ولما إذا وجد الرأى العام يلقى ضد هذا الموضوع فإنه سرعان ما ينتهز أول فرصة يلتقى فيها بكبر عدد من الشعب . وإذا كان يعنى أن ما ورد في الصحيفة الثالثة في موضوع كذا ليس له أسس من الحق أو الصحة ، وأنه لا يوافق عليه بحال من الأحوال لأنه إنما ينظر إلى المصلحة العامة لا الخاصة .

وينفس هذا الأسلوب كان يتعامل هتلر مع الشعب الألماني بين أوتة وأخرى . وإذا كان يبدو له أنه يظهر البطل الأوحى والزعيم الفرد ومصدر القوة الحقيقية للشعب ، وبين الملقى أن أراد أن لنفسها الجسد الحقيقى فلا طريق لها إلى مثل هذه الفاية إلا الانقياد التام للتأمر .

رابعاً - نظام التمسك بالسراة :

كان من أهداف العملية التآمرية أثناء الحرب في طوب الإمداء باستمرار ، وكان يعتمد في ذلك على التهويل والمبالغة وعلى المظاهر التى منها تليف فرق الشكائب قوى التمسك بالسراة . والمعجب أن إمداء المتأمر التآمرية اتخذوا في أول الأمر بهذه المبالغات . وسدوا أن المتأمر تلك كذا وكذا من الميحدات والتأمر العربية وضو ذلك ، ولهذا السبب كتبت أنجلترا وفرنسنا تمتعيتان بطلاب هتلر خوفاً من تلك الأسحة . وحتى الحال على ذلك حتى قامت الحرب العالمية الثانية . وإذا كان ذلك تمت للمسلم وتم لهم الإسلام والدولة .

ان سياسة الارهاب التي كان يتبعها هتلر لم تكن سياسة ناجحة .
لانها لم تعتمد على الصدق أو الواقع قدر ما اعتمدت على الكذب أو الوهم .
واستطاع الحلفاء في نهاية الامر أن يظفروا على هتلر . فزال عن الوجود
وزالت معه كل هذه الأساليب .

كان جويلز يقول . . اكذب ألف مرة ولو صحقتك إنك لن مرة واحدة
تثبت الصدق .

خامسا — الصليب المعقوف :

وقد كان على كل فرد في الحزب النازي أن يطبع الصليب المعقوف
على سترته وسيلورته وعلى بلب منزله وعلى آتية أكله وشربه متى أمكن
ذلك . والفرس من ذلك أن يكون هتلر والنظام النازي في ذاكرته دائما
ابتداء من يلقته في الصباح الى أن يذهب الى فراشه في الليل . وذلك تطبيقا
لأسلوب من أساليب الدعاية يقال له (من البلب للبلب) .

ويقال ان هذا الصليب المعقوف يرمز الى شيئين هما : الدين والقوة .
ويقال غير ذلك . ومهما يكن الأمر فقد اتخذته الحركة النازية رمزا لها
في ذلك الوقت ، ووفقت توفيقا عظيما في اختيار هذا الرمز .

وقريب من الصليب المعقوف في نظام الدعاية النازية التحية المعروفة
التي كان يقابل بها هتلر من الشعب الألماني بين لحظة وأخرى .
وهي قولهم (هيل هتلر) .

وهذه التحية من جانب والصليب المعقوف من جانب آخر لمران
خاصان بالشعب الألماني وحده . فإذا مارسها غير الألماني ماتته يعرض
نفسه للعقاب أو يلقى في معسكرات الاعتقال . ولذلك ام يكن يسمح لليهود
بحمل الصليب المعقوف حتى لا يتخدع بهم الشعب الألماني .

على ان هذا الصليب المعقوف لم يكن يحمله الألماني خارج بلاده
ذلك ان هتلر كان يتخذ من الألمان خارج ألمانيا ما يسمى «الطابور الخامس» .
ويقال للألماني الذي سلك نفسه في هذا الطابور : انك من عنصر جرئاتي
وستكون جاكما للبلاد التي تقيم فيها بعد ان تغزوها . وبهذا الأسلوب

كل من هتار يفتح البلاد بسهولة ويسر ميرت عنها جريدة التليس بقولها :
« ان هتار يفتح البلاد قبل ان يصل جيشه اليها . ذلك ان البلد
الذي يريد ان يدخله يكون مهيا له عن طريق الطابور الخلس الذي اعده
اعدادا صحيحا في ذلك البلد » .

هذه هي اهم الاساليب التي اعتدت عليها «دعالية» النازية .
يضاف الى كل ذلك ما يجب ان تعنى به الحكومات التي تاتى دائما عقب
الثورات والانتفاضات الكبرى . ومن ذلك العناية بالنضحية والاذامة وغيرهما
من وسائل الاعلام المعروفة ، والدقة في اختيار الأفراد القلائد على هذه
الأجهزة حتى يعملوا في انسجام تام مع الحكومة . ومن ذلك أيضا العناية
بنشر الثقافة التي تدمو اليها الحكومة الجديدة أو الثورة الجديدة .
وقد كان هتار يعمل على نشر للثقافة الألمانية بحيث ان كل ما هو جديد
في هذه الثقافة لابد ان يعرفه الناس جميعا في الخارج .

وأما بالنسبة للفكر النازي والفلسفة النازية ومهاجة الفلسفات
والنظريات الأخرى فكان يقوم به قسم يقال له « نقولمة دعالية الأعداء » .

يضاف الى كل ما تقدم تدخل الحكومة في أمر تربية النشء ، وهذا
ما عني به هتار عناية كبيرة وأنشأ من أجله ما يسمى (بالانظمة الهتارية
لتربية النشء) وقد عملت هذه المنظمة على تهيئة الشباب الألماني لتقبل
النظام النازي والايمن المطلق بهتار وقدرته على أن يجعل المغيا حاكمة
ومسيطرة على العالم أجمع . وهذا هو الهدف الاسمي للدعوة النازية .

الفصل الخامس

الدعالية السوفيتية

تبل الكلام عن الدعالية السوفيتية لأمر لنا من الكلام من الأيديولوجية الشيوعية . والمعروف أن الشيوعية تقوم على آراء ماركس . وفي رأى هذا الفيلسوف الشيوعي أن الهدف الرئيسى للفلسفة الشيوعية هو إقامة مجتمع تتحقق فيه العدالة التامة . وفي رأيه كذلك أن هذا الهدف لا يتحقق ما لم تسبقه مرحلة انتقالية تكون فيها السيطرة للتامة لطبقة (البروليتاريا) أو طبقة الكادحين من العمال والفلاحين . ويعد هذه المرحلة الانتقالية ثلثى مرحلة المجتمع الشيوعي الذى هو الغاية القصوى من قيام الحركة الشيوعية .

لذلك صدر أول دستور سوفيتى سنة ١٩١٨ وجاء فيه (أن المهمة الرئيسية للدستور خلال فترة الانتقال الخالية عن اقامة ديكتاتورية البروليتاريا في المدينة وديكتاتورية الفلاحين في القرية . والقصد من هذه الديكتاتورية في الحالتين هو القضاء على البرجوازية وعلى استقلال الانسان لآخيه الانسان . والقصد منها كذلك هو الوصول الى الحالة التى يصبح فيها المجتمع بغير حاجة الى حكومة . اذ الحكومة في ذاتها ظاهرة عارضة مصيرها الى الزوال والاختفاء التام) .

وفي سنة ١٩٣٦ صدر الدستور السوفيتى الثلثى وهو يحمل نفس هذا الطابع . ويقوم هذا الدستور على اساسين :

اولهما - إلغاء الملكية الخاصة لوسائل الانتاج ومنع استقلال الانسان اخاه الانسان .

وثانيهما - إقامة الديكتاتورية البروليتارية ووضوحها بوضع التنفيذ وسحق الطبقة الرأسمالية وذلك من طريق :

الحزب الشيوعي الواحد :

وهو المحتكر الوحيد للسلطة السياسية في الحكم السوفيتي ، والمحتكر الوحيد للشامل السياسي من جميع نواحيه .

واحتكر الحزب الشيوعي للسلطة على هذا النحو جعله يدمى النخبة لنفسه ، وادى به الى رفض كل معارضة له مهما كان مصدرها .

والحزب الشيوعي في نظر لينين اشبه بما يكون بهيئة اركان حرب الجيش . وهذا الحزب — او هذه القيادة — هي التي تدير الطبقة الحاكمة بالزحف الى الامام او بالهجوم . او بالترجيع والتعرج حسبما تقتضى بذلك الظروف . والحزب الشيوعي الواحد في نظر (لينين) كذلك ليس من عمله السير خلف الجماهير . وليس من عمله كذلك تسجيل الامم للطبقة العاللة والتمكركها — ان كان لديها اشكر — ولكن عمله في الواقع هو قيادة الطبقة العاللة او طبقة البروليتاريا .

وعلى هذا فان اول خطوة في الحركة الماركسية هي العمل على السيطرة التامة على اذهان الطبقة العاللة وكسبها الى جانب الماركسية . ومع هذا وذاك فان النظرية الشيوعية توجب على الحزب ان يمتنى لصوت الجماهير دون ان يعلم بذلك الجماهير ، وان يحكم على نفسه بى استمداد هذه الجماهير لتأييد النظرية الشيوعية التى يقوم عليها .

من اجل ذلك اوجب الحزب الشيوعي على نفسه السيطرة التامة على جميع وسائل الاعلام ، ومن أهمها — كما سنعرف ذلك بعد — ادارة تسمى ادارة الشيوعية والدعاية . ولذلك كان كل من (لينين) و (ستالين) يتحدث من الصحافة والاذاعة ووسائل الاعلام الاخرى على انها أدوات في يد الحزب . او — على حد تعبيرهما — لجام تشد به الجماهير الى الحزب . والحزب هو الذى يقرر برامج الاذاعة والمواد التى تنشرها الصحف والمواد التى تعرضها السينما . والدولة هي التى تقوم بتكاليف الصحافة والاذاعة والسينما وغيرها من اجهزة الاتصال بالجماهير . وهذه التكاليف لا تقل في ذاتها من تكاليف الاعلان في كبر الدول الرأسمالية كالولايات المتحدة وغيرها .

والخلاصة حتى الآن ان النظرية الشيوعية لا تهمل الراى العلمى ،
ولا تظل من أهميته . ولكنها تشعر بالحاجة المسبة الى التدخل العلمى
فى تشكيلة بالصورة التى تراها .

بقى ان نقول عن نظام الحزب الشيوعى ان اللجنة المركزية له تتكلف
من المكاتب الآتية :

- ١ — مكتب لتنظيم تكون له القيادة العامة فى التشكيل الشيوعى بكمله .
- ٢ — مكتب للإدارة يقوم بأعمال السكرتارية .
- ٣ — مكتب لمراقبة الحزب يشرف على تنفيذ قراراته ويتبع تنفيذ القرارات .
- ٤ — مكتب للمراجعات المالية .
- ٥ — مكتب للأعمال السياسية وحدها .

ويتكون هذا المكتب الآخر من أربعة عشر عضوا يعبرون عن الحزب .
وله القوة الحقيقية والسيطرة على الحزب كله . وله كذلك يخضع المؤتمر
العلم للحزب الشيوعى . والمكتب السياسى هو صاحب الحق فى دعوة
المؤتمر للانعقاد فى فترات متباعدة جداً — وأمنى كل ثلاث سنوات على الأقل .

نظام الدعاية الشيوعية او السوفيتية :

إذا كان ماركس هو واضع النظرية الشيوعية فإن (لينين) هو واضع
الأسلوب العلمى للدعاية الشيوعية . (ولينين) هو الذى وضع هذه
القاعدة التى تقول :

« ان العمل العلمى للدعاية دائماً هو الأثر والترويج (Agit action)
بين طبقات الشعب » .

ولينين كذلك هو الذى ابتدع نظاماً للدعاية يقوم على طوائف ثلاث
وهى : طبقة المتطوعين ، وطبقة الدعاة ، وطبقة مثيرى الفتن .

(فالنظام) يتولى تنظيم الاجتماعات والاحتفالات المحلية ويقوم بتنظيم
الدعاية فى هذه الحفلات والاجتماعات .

(**ومثير القلاقل**) — أو المحرض — هو الشخص الذي عنده فكرة واحدة ، أو عدد بسيط من الأفكار يريد لها أطم عدد قليل من الناس لكي يثيرهم شيئا فشيئا .

(**والداعم**) يتلقى الموضوع الذي تراد الدعاية له ويضيف اليه كثيرا من عنده وينسجه على أكبر عدد من الناس . وهو في ذلك يخالف المحرض — أو مثير القلاقل — في أن المحرض يأخذ فكرة معينة وينقلها الى شخص معين ، أو عدد قليل من الأشخاص بقصد الاثارة . كما يفعل مثلا خلاق القرية أو الحى ، أو بقال الشارع . أو الكواء . أو كما يحدث من طلاب واحد أو عدد قليل من الطلبة يهتفون يهتف معين يتصدون به اثاره الباقين من الطلاب .

ونستقل الدعاية السوفيتية :

وهي كثيرة منها :

١ — الصحافة :

ولا شك أن الصحف من أقوى الوسائل التي تعتمد عليها الدعاية السوفيتية . ولكل فئة في الاتحاد السوفيتي صحيفة تتحدث الى هذه الفئة بطريقة معينة . فللناجين صحف ، وللعمال صحف ، وللبنائين صحف وهكذا . ومعنى ذلك أن الصحافة السوفيتية صحافة موجهة من قبل الدولة بكل ما تحمل كلمة (التوجيه) من معنى . بل إن الصحافة في داخل روسيا السوفيتية تختلف عن الصحافة في غيرها من البلاد الشيوعية . أى إن الاتجاه في جميع الصحف الشيوعية واحد في العالم . ولكن الطريقة تختلف باختلاف الشعوب كما تختلف باختلاف الفئات . ويتضح لنا ذلك من هذا المثال :

« عندما يريد الشيوعيون أن يهلبوا دولة من الدول فاتهم يطلبون الى موسكو أن تلتزم الصمت والا تتدخل صحفها في هذا الموضوع ، وأن تهدى الحكومة شعور المودة والتقدير لهذه الدولة . ثم يطلبون في نفس الوقت الى بعض الصحف الشيوعية في بلد من البلاد مثل (لبنان) أن تناجم هذه الدولة . وهكذا توقع موسكو الصحف الشيوعية اللبنانية في الحرج ،

وتتصل هي من هذا الهجوم يدعى أن هذا العمل لم يصدر منها ولكن
صدر من غيرها ولا تذب لها في شيء من ذلك .

٢ - التوجيه الثقافي والعلمي :

يقضى النظام السوفيتي بأن غرور الثقافة المختلفة من أدب وفنون
وعلوم ونحو ذلك لابد أن تكون كلها في خدمة الدولة . ولابد أن تهدف
إلى شيء واحد فقط هو تكوين العقل السوفيتي الجديد . وقد نجح الحزب
الشيوعي في هذه الغاية نجاحا لا نظير له . ومن أجل ذلك أقام الحزب
الشيوعي سفارا حديدا حول الاتحاد السوفيتي حتى لا يستطيع أية ثقافة
من الثقافات الأجنبية أن تفزو للعقل السوفيتي الجديد بأية صورة
من الصور . وهذا ما يعبر عنه بسياسة (النواذ المظلة) . ومن أجل ذلك
منع الحزب الشيوعي نظام الإذاعة السليكية وفعل ما نطه هتار من قبل
من أنه شجع على قيلم نظم الإذاعة اللاسلكية . وعن طريق هذا النظام
يستطيع راديو موسكو أن ينح ما يريده للشعب . ولا يستطيع هذا الشعب
أن يستمع إلى إذاعة أجنبية في نفس الوقت .

ومثل ذلك يحدث في الأدب الشيوعي فانه أدب موجه أكثر منه
أدبا هادفا . ولذلك لا يؤمن السوفييت بالنظرية العقلية (الأدب للأدب)
أو (الفن للفن) . ولهذا السبب كذلك لا يشجع الحزب إلا على الأدب
الذي يؤمن بالنظرية الماركسية ويدعو لها . وكذلك يفعل الحزب الشيوعي
بالأفلام فلا يسمح منها لفيلم الموجه أو الفيلم الذي يمجّد المذهب
الشيوعي ويعظم من شأن الماركسية . وينظر إلى (الماتيسكو) الشيوعي
نظرة المسيحي إلى الانجيل نفسه .

(ولينين) في كل ذلك يشبه بهتار من حيث الاعتماد على الديمقراطية
باعتبارها قوة سياسية لا نظير لها في الدولة .

٣ - تقييد حرية الصحافة :

لم يكن مسموحا لأي ستاح سوفييتي بالخروج من بلاده إلى بلاد
أخرى خوفا من أن يطلق في هذه البلاد الجديدة على نماذج جديدة

من الفكر والثقافة والحضارة ونوع المعيشة ، وبقيت هذه الطريقة متمسكة في الاتحاد السوفيتي الى أن استقرت قواعد التنظيم الجديد ، وأصبحت للنظم البلشفية مقيدة للشعب الروسي كله . واذ ذاك فقط بدأ الحزب يتساهل قليلا في تقييد حرية السليحة . وهو واثق ان المسلح السوفيتي لن يفتن أبدا بالشيوعية الماركسية عن طريق السليحة .

٤ — ادعاء الإجماع :

ويمثل هذه الوسيلة من وسائل الدعاية ما قيل من أنه حدث في إنجلترا أن أرسلت منشور للملكة من قبل ثلاثة فقط من الخيطلين في لندن . ولم يحدد المنشور العدد الذي اشترك في كتابته وأرساله . بل صدر بفعلارة الغالية : نحن شبيب بريطاني — والقراريء لمثل هذا المنشور بجهل بطبيعة الحال أن ثلاثة فقط هم الذين أرسلوه الى الملكة — ولكن عندما أجرى تحقيق دقيق اتضح أن ثلاثة فقط من الخيطلين الشيوعيين تلساطخين على شيء معين هم الذين أرسلوه الى الملكة . وأنهم استخدموا في كتابة المنشور هذه الطريقة التي تسمى (ادعاء الإجماع) (١) .

وهذه هي نفس الطريقة المتبعة في كثير من المنشورات الشيوعية في البلاد المؤمنة بهذا النظام .

ونفس هذه الطريقة متبعة كذلك في الصحف السوفيتية حين تتظاهر بالإجماع على خبر معين لفاية سياسية معينة . وقد لا يكون هناك أساس من الصحة لهذا الخبر . وفي هذه الحالة تبلغ الصحافة السوفيتية آخر درجات التضليل . وهي تعتمد في كل ذلك على القاعدة التي تتناول « الفاية تبرر الوسيلة » .

٥ — الفاية بتربية النشر تربية ماركسية بحقة :

من الكلمات المأثورة من ستالين قوله :

« ألتنا نريد عقولا متشابهة . نحتاج أن نصل الى هذه العقول بخلق

(١) الدكتور محمد عبد القادر حاتم : محاضرات في كلية الآداب ، مخطوطة

شراز جديد من النشء ، وطراز جديد ايضا من الراى العالم : وذلك عن طريق نشر المبادئ الشيوعية لغاية واحدة هى جعل عقول الناس متشابهة الى اكبر حد ممكن . ونحن الراحون من وراء ذلك ، ويتكوين العقول المتشابهة يصبح امر الدعاية سهلا علينا للغاية ، او بعبارة اخرى يكفى ان نقتنع عقلا واحدا ببادئنا لكي نقتنع كل العقول الاخرى بنفس المبادئ » .

من اجل ذلك وجدنا الحزب الشيوعى يتحكم تحكما تاما فى نوع الثقافة التى يقدمها للشعب الروسى ونوع الأدب الموجه الذى يستمتع به الشعب الروسى ، ونوع الأفلام السينمائية التى يتسلى بها وهكذا . وبهذه الطريقة وحدها يأخذ الحزب الشيوعى فى تعبئة الشباب الروسى والمجتمع الروسى للدفاع من المبادئ الشيوعية والايامن المطلق بها .

ومن اجل ذلك ايضا يؤمن الشيوعيون بنصيحة لينين التى يقول فيها انه يجب تشويه الثقافات الأجنبية باستقرار وتشويه البورجوازية بلا انقطاع ، وتبجيد الثقافة السوفيتية على الدوام .



توجد الى جانب الوسائل الخمس المتقدمة خطط اخرى ليست لها اهمية الخطط السابقة . ومن هذه الخطط الاخرى :

(ا) خطة التباهى بناحية معينة يحاول الروس اظهارها للعالم كله على سبيل الاستعلاء والمفاخرة والقاء الرعب فى نفوس الاعداء . ومن ذلك تركيز الروس على موضوع (غزو الفضاء) وحديث الصحف كلها عن هذا الاختراع .

نعم ، ان الاتحاد السوفيتى سبق امريكا الى هذا الكشف العلمى . ولكن ليس معنى ذلك ان تتخذ روسيا من هذا السبق ثريعة الى السيطرة المعنوية او العقلية على اجزاء العالم كله . والحلم فى ذاته لا وطن له . وكل أمة من الأمم المتقدمة لها حصتها فى هذا التقدم .

(ب) التسمير بجوانب الضعف فى الأمم المتقدمة .

وهذا نوع من الدعاية المفرضة المكشوفة فى وقت معا . والشاعر العربى يقول :

ومعين الرضا عن كل عيب كليله

ولكن عين المسخط تبدي السلوبا

غير أن الأعداء الحقيقيين ينطون أكثر من ذلك . نأثم إذا رأوا عملا
سيئا من أعدائهم إشاعوه وشمطوا به ونضحوا أعداءهم على الملأ ،
وذلك بطريق الإذاعة والمصحف . وأما إذا رأوا منهم عملا من الأعمال
الحسنة فأنهم يسكتون عنه ولا يتحدثون عنه ولو بكلمة عبثية .

(ج) استخدام الاتهام والسخرية :

وهو من الأسلحة القديمة في تاريخ الأدب قبل تاريخ الصحافة .
ولا غنى عنه مطلقا في التعبير عن المسخط على أمر معين أو الشيء بأمر
معين . سواء صدر هذا للمسخط عن فرد أو شعب أو حكومة أو جماعة
من الناس ضد جماعة أخرى .

ساقى الدكتور عبد القادر حاتم إلينا هذا المثال :

كان في بلجيكا مرشح للانتخابات اسمه ميشيل : فتصدى له رجل
شيوعي لينافسه . فعمد الشيوعيون في دعاتهم إلى أسلوب السخرية
فكانوا يعمارون وكتبوا على ظهره العبارة التالية :
« انى أنتخب ميشيل » .

وظاهروا بهذا الصلار فى أرجاء المدينة .



تلك نماذج من دعاتمار مارستها الصهيونية والنازية والشيوعية .
وكانت الغاية الحقيقية لكل واحدة منها هى الرغبة فى السيطرة على جميع
أجزاء العالم . وكانت الطريقة المتبعة فى كل منها هى لبس الحق بالباطل .

ومع أن الناس فى كل زمان ومكان يسيئون الظن بلفظ (الدعاية)
فأنهم لا يستطيعون أن يبرأوا من الخضوع لها والتأثر بها والعمل على تحقيق
الهدف الذى تسمى إليه . ومن أجل ذلك قالوا عن الدعاية أنها قوة سفسية
جسيده ، ونظروا إلى الدعاية على أنها أكبر أنواع الضغط الاجتماعى
فى القرن العشرين — قرن الدعاية كما يقولون .

عبد القليلف هجرة

بمقداد

المختاتمة

حرية الاعلام

ليس خيرا من ان نضم هذا الكتاب بكلمة نعرض فيها لأكبر قضية تشغل بال الناس في هذا العصر الذي نعيش فيه . وهي القضية الخاصة بحرية الاعلام .

ان قول نبيلة وقع عليها نظر القاريء لهذا الكتاب هي العبارة التي نقول : « ان الرأي العام والاعلام وجهان لعملة واحدة . وهذه العملة هي الحرية » . ونريد ان نعود الى تفسير هذه العبارة وذلك في معرض الكلام عن هذه القضية الهامة .

سبق لنا ان ارتضينا تعريفا للاملام ، هو التعريف الذي يقول : « ان الاملام تعبير موضوعي لعقلية الجماهير وميولهم واتجاهاتهم » . فیر ان اتجاهات الجماهير وميولها الدالة على عقولها تأثت في اول أمرها بمبارة من اتجاهات فردية ، وسلوكا شخسيا .

ثم انضمت هذه الاتجاهات الفردية بعضها الى بعض وامتزج بعضها في بعض ، وتآلف من هذا المزج ما يسمى (بالرأى العام) او (الاتجاه العام) ثم جاء الاعلام في نهاية الشوط فوجد نفسه مسؤولا عن التعبير عن الرأى العام والاتجاه العام بوسائله المعروفة التي منها الصحافة والاذاعة والكتب والخطب وغير ذلك .

ان معنى ذلك انه اذا اعطيت الحرية للأفراد في التعبير عن آرائهم الذاتية ومناقشتهم العامة حول مشكلة من المشكلات او حلقة من الحلقات أدى ذلك بطبيعة الحال الى انتقال هذه الحرية في التعبير من الأفراد الى الجماعات . واذا أتى دور الاعلام للتعبير عن هذه الآراء الفردية التي تحولت الى آراء جماعية فإن هذا الاملام لابد ان يكون موجهما هو الآخر بمسمة الحرية .

والخلاصة أن المنقشة الحرة هي الشرط الأول في الوصول إلى حرية الإعلام . وهذا هو المعنى المقصود من العبارة التي تقول « أن الحرية في ذاتها تشبه العملة التي يتداولها الناس في الأسواق . ولعملة الحرية وجهان : أولها الرأي العام . وثانيها الإعلام » .

اتفقت دستائر العالم على أن لكل فرد من أفراد المجتمع مطلق الحق في أن يعبر من رايه ما دام قادرا على ذلك من طريق الصحف أو الكتب أو الإذاعة أو الخطابة أو الاتصالات الشخصية وغير ذلك من وسائل الإعلام المختلفة .

ومن هنا قيل في معنى حرية الصحافة أنها حرية الطبع والنشر بدون أية عارضة سابقة من الحكومة من شأنها أن تكون ذلك في حدود القانون . وذلك ما نصت عليه المادة الحادية عشرة من حقوق الإنسان . وقد جاء فيها :

إن التداول الحر للأفكار والآراء حق من حقوق الإنسان . لكل مواطن الحق في أن يتكلم ويكتب ويطبّع بصورة حرة . وهو مسؤول عن سوء استعمال هذه الحرية في المجالات التي يحددها القانون .

معنى جديد لحرية الصحافة :

غير أنه بظهور (الاشتراكية) نظر الناس نظرة جديدة إلى حرية الصحافة . وبناء هذه النظرة الجديدة على أساس اقتصادي إلى جانب الأساس القديم . وهو الأساس السياسي .

ومعنى ذلك أن « حرية الصحافة لم تعد محصورة في المعنى السياسي كما كانت من قبل ولكنها تعمت ذلك إلى المعنى الاقتصادي . فأصبحت تهدف إلى التحرر من الخضوع لرأس المال » (١) وبعبارة أخرى : تهدف إلى التحرر من الأفراد البقلاء الذين مكثهم ظروفهم الاقتصادية من جميع

(١) عبد اللطيف حيزة : أزمة الصحفيين الصحفيين ، فصل بعنوان : معنى جديد لحرية الصحافة من ٤٠ - ٥٠ .

رؤوس الأموال التي أصدروا بها الصحف . ولهذا السبب أصبح هؤلاء هم وحدهم أصحاب الحق الأول في وضع سياسة الصحيفة ؛ وأصبح الحق الأول في تحريرها وإخراجها بالشكل الذي يرضى نوازعهم ، ويحقق مصالحهم . أما مصلحة للشعب فتأتي في الدرجة الثانية بعد ذلك .

هل هناك حرية صحافة :

نعم ، تفهم مفهوم الحرية الصحفية من جيل إلى جيل ، ومن نظرية إلى نظرية .

ولكن ، هل صحيح أن لحرية الصحافة والاعلام بوجه علم وجود ما في عالم الأمس وعالم اليوم ؟ .

لقد أجبتنا عن هذا السؤال في تضاميف هذا الكتاب بلقنى التلم . ونريد الآن أن نوضح بعض الأسباب التي يبنينا عليها هذه الاجابة .

وسنعرف من استعراضنا لهذه الأسباب أن حرية الاعلام — وإن كانت مفقودة بوجه علم — فإن فقدانها ليس معناه أن الاعلام لا يؤدي وظيفة في نقل الأخبار وتبادل الأفكار وتقدم البشرية وتبوير الراى العلم ونحو ذلك . كلا ، فإن الاعلام يقوم بكل هذه الوظائف .

ولكن لو حظى هذا الاعلام بحرية أوسع وسلطة أكبر لتقدمت الانسانية أشواطاً أبعد من هذا الشوط ، ولاتترب انسانس من السلام ومن المثل العليا بكثرة من هذا الصدد .

ومع هذا وذلك فنحن لا نياس من بلوغ اليوم الذي يحظى فيه الاعلام بحرية كاملة . ونحن نستبد في ذلك الى تقدم العقل البشرى في العلم وفي الفن وفي علم الأخلاق والمثل .

الأسباب التي تعوق حرية الاعلام :

ونعود الى بيان الأسباب التي تعوق من حرية الاعلام وتقف حجر عثرة في سبيله وهي كثيرة بطبيعة الحال نكتفى منها بالأسباب التالية :

أولاً — وجود اختلاف بين النظريات الاعلامية الأربع من حيث هي ، وقد اشرنا الى هذه النظريات بإيجاز في هذا الكتاب . وشرحناها بلسان

في كتاب آخر بعنوان (الاعلام له تاريخه ومذاهبه) . وهذه النظريات الأربع هي :

نظرية السلطة ، ونظرية الحرية ، ونظرية المسؤولية الاجتماعية ، والنظرية السوفيتية .

وبالرغم من وجود الاختلاف بين هذه النظريات ، فان ثلاثا منها على الأقل لم تسمح بوجود الحرية الصحفية . وهذه النظريات الثلاث هي : نظرية السلطة ، والنظرية السوفيتية ، ثم نظرية المسؤولية الاجتماعية . وواحدة فقط من هذه النظريات الاعلانية . وهي نظرية الحرية تسمح بوجود هذه الحرية . ولكن هذه النظرية لم تصبح صالحة لكثير من شعوب العالم في الوقت الحاضر . بل ان هذه الشعوب تنظر الى هذه الحرية على انها نوع من القوضى التي لا تساعد على بناء المجتمعات الناجية بوجه خالص .

لقد كانت - وما زالت - حجة الثقالين بالنظريات الثلاث التي لم توافق على حرية الصحافة هي ضرورة المحافظة على النظام القائم . ويكفي ذلك لكي نجسد المسؤولين عن المحافظة على هذا النظام يعمدون الى تهديد الصحافة ، ويضعون في عنقها الأغلال والسلاسل .

نقيا - تتمثل هذه الأغلال والسلاسل في شكل قوانين منظمة للصحافة وفي شكل رقابة تفرض على الصحف من الناحية السياسية والإيديولوجية . وهو أمر معروف في تاريخ الصحافة في جميع أنحاء العالم . ولا يحتاج منا الى مزيد من الشرح .

نقيا - تحول الصحافة في العصر الحديث الى صحافة تحتاج الى استخدام الآلات الكثيرة في اصدار الصحيفة . وهي آلات معقدة ومرتفعة الثمن بحيث لم يصبح يستعصى على الأفراد القيام بإصدار الصحف . ومن ثم قامت بهذا العمل شركات رأسمالية في الدول التي تتبع النظام الحر . كما قامت بهذا العمل حكومات بنواتها في الدول التي تتبع النظام الشيوعي . وأما الدول التي تتبع النظام الاشتراكي المعتدل فتتبع عهدت التعليم بهذا العمل الى ما يسمى « بالاتحاد الإشتراكي » في هذه الدول »

ومعنى ذلك أنه بسبب تحكم الرأسمالية في صناعة النصف والأداة
والسينما لجأ المذهب الشيوعي إلى (تأميم الصحافة) . ولجأ المذهب
الاشتراكي المعتدل إلى (تنظيم الصحافة) (١) .

ومع أن هذا هو الحل السليم لمشكلة الخضوع لرأس المال من جانب
الصحافة فإننا نجد حرية الصحافة انتقلت بهذا الحل من أيدي الرأسمالية
إلى يد « الحزب الواحد » في الاتحاد السوفيتي ، ويد « الاتحاد الاشتراكي »
في الدول الاشتراكية المعاصرة . وما زال الكثيرون جدا من المواطنين
القادرين على التعبير عن آرائهم في جميع هذه الدول التي أشرنا إليها
محرومين من هذا التعبير .

وإذا كان هذا صحيحا بالقياس إلى الدول الشيوعية والدول
الاشتراكية ، فانه أصبح بالقياس إلى الدول الرأسمالية التي حصرت حرية
الصحافة في أيدي أصحاب الصحف ، أو أصحاب رؤوس الأموال التي
اعتبرت عليها هذه الصحف .

ولقدان الحرية الصحفية بكل صورة من الصور المتعددة يعود على
المجتمعات نفسها بضرر كبير في الحقيقة . ذلك أن الصحافة الحرة تعتبر
نوعا من الاستفتاء النزيه للأمة . ذلك أن الصحف تستطيع دائما أن تعبر
عن رغبات الجماهير واتجاهات الشعوب . ومن لتوال الانجليز المشهورة
في ذلك ؛

خير لنا أن نكون بدون برلمان ، من أن نكون بدون حرية صحافة .
والأفضل أن نحرّم من المسؤولية الوزارية ومن الحرية الشخصية ومن حق
التصويت على أن نحرّم من حرية الصحافة . ذلك أنه يمكن لهذه الحرية
وحدها — أن عاجلا أو آجلا — أن تعيد جميع الحريات الأخرى .

رابعا — وجود مسوغات كثيرة أمام حرية الصحافة تخالف

(١) لمن أراد الاستزادة في هذا الموضوع أن يرجع إلى كتاب (أزمة
الضمير الصحفي) للبولف .

في طبيعتها الصعوبات التي تحدثنا عنها . وتكمن هذه الصعوبات الجديدة وراء القابعين على وسائل الاعلام على اختلافها .

ملاغراض شخصية ، واخرى سياسية نجد أن كل وسيلة من وسائل الاعلام المعروفة لا تحاول أن تتوخى الحقيقة . ولكن تجمع في نشراتها الاختيارية بين الحقائق والاكاذيب وتخلط في ذلك بين الانحراف والنزاهة وتضلل القارئ أو السامع بهذه الطريقة ولا يكاد يبرأ من ذلك أى ضرب من ضروب الاعلام في أية جهة من جهات العالم الذي نعيش فيه .

على أن هذه الموانع التي تمنع من حرية الاعلام أو الصحافة ، الى اذاعات مختلطة أو قراءة الصحف المتباينة . وهو يعتمد في ذلك على الفكرة التي تقول : ان الحقيقة دائما تقع في مكان وسط بين طرفين .

على أن هذه الموانع التي تمنع من حرية الاعلام أو الصحافة ، وتضعف من وجودها قد تكمن كذلك في نفس السامع أو القارئ . فقد لا يكون عند أحدهما الاستعداد النفسي لفهم الأخبار كما ترد اليه من الصحافة أو الإذاعة . وقد لا يكون عندهما الاستعداد الذهني لفهم الكلمة التي تنقل بوساطتها الأخبار والأفكار . ومن ثم يهتم علماء الاعلام — كما سبق شرح ذلك في غضون هذا الكتاب — بمطالئ الكلمات وحلولوات الالفاظ وقدرتها على الإيحاء . ولا ينجح الاعلام بأى شكل من أشكاله المعروفة ما لم يبدل في سبيله المنية للتلبة بهذه القضايا . ومنها قضية الالتباس الذي توصف به بعض الكلمات . وكما يقع الالتباس في الكلمة يقع في الجملة ويقع في الموضوع العام . وهنا يصبح القارئ أو السامع معنورا في عدم قدرته على المتابعة .

وهنا يلقد الاعلام قصده ويضل طريقه ، وتتعهد الحرية الاعلامية ذاتها وتغرم من تالية وظيفتها .

خلاصا — من الأخطاء المحقة بحرية الاعلام — ولعله أخطرها — عدم انتشار التعليم وخصه في الدول المتخلفة أو النامية . ذلك أن الجهل يعوق عن فهم الأخبار وتبادل الأفكار . وبذلك تمتنع على الجاهل أن ينتفع بها أو يخلق عليها أو يؤلف لتفنده رأيا فيها .

وتكون النتيجة إنتشار (الأمية الاعلامية) في جميع الدول المتخلفة .
والأمية الاعلامية مرض من أمراض هذه الدول المتخلفة ينبغي لها التكثير
في علاجه بطرق كثيرة . منها نشر التعليم والأخذ بأساليب الثقافة وتثوير
الجاهل . وبدون ذلك لا تتمتع هذه الدول بالاعلام ولا بحرية الاعلام
ولا تشترك في القضايا العلمية التي تهم هذه الدول .

سلكنا - غلبة الدعاية على الاعلام الى الحد الذي يمنع الاعلام
من ثأية وظيفته فضلا عن أنها تحرمه حرمانا ثلما من ممارسة حريته .

إن الدعاية تبدو في كل زمان ومكان على وجه الأرض وكلها أقوى
من الاعلام ، وأنها أكثر استهواء للناس ، وأعمق تأثيرا في عواطفهم .
والناس في كل زمان ومكان يخضعون لحكومة العواطف أكثر من خضوعهم
لحكومة المنطق والعقل . وهذا هو أحد الأسباب التي جعلت الغلبة
للدعاية على الاعلام .

إن الدعاية الصهيونية تقف الآن حجر عثرة أمام الاعلام العربي ،
وتمنعه من ممارسة حريته في مكافحة الدعاية الصهيونية القوية في كل
من امريكا وأوربا . ولولا هذه الدعاية لاستطاع الاعلام العربي أن يقف
الأمريكيين والأوروبيين على كثير من الحقائق التاريخية والسياسية التي
يجهلون عنها قضية العرب .

إن صوت الاعلام العربي غير مسموع بتلنا في بلاد كالولايات المتحدة
الأمريكية وذلك باستثناء الجمعية العامة للأمم المتحدة ومع هذا وذلك
من في وجود هذه المنظمة العالمية في نيويورك ما يسمح للدعاية الصهيونية
بالتأثير في كل من القارة الأمريكية والقارة الآسيوية وذلك بما قد حدث
بالفعل في الرابع من شهر يولية (تموز) سنة ١٩٦٧ على مشروع الدول
غير المنحطرة الذي يقضى بإسحاب الجيوش الاسرائيلية بدون قيد أو شرط
وذلك من جميع المناطق العربية التي احتلتها نتيجة الحرب الخاطفة
التي وقعت بين العرب واسرائيل بين الخليلس من يونيسه (حزيران)
والحدادى عشر من هذا الشهر سنة ١٩٦٧ .

سابعاً - ليست الدعاية فقط هي التي تمنع الاعلام من ممارسة حريته والقيام بوظيفته . ولكن هناك عابلاً آخر يعتبر مساعداً للدعاية في ذلك وهو (الاعلان) .

غالباً ما نرى الاعلانات تهدف الى خداع الراى العام وتشويه الحقائق .

ان الاعلان يستطيع ان يعرقل سير الاعلام ويحرم حريته بمثل هذه الطرق :

(ا) شغل مساحات كبيرة من الجريدة كل ينبغي ان تكون للاعلام ولكن الجريدة في هذه الحالة تقدم مصلحة المعلنين على مصلحة القراء .
وبذلك تعتمد هذه الجريدة عن معنى النزاهة والاستقامة ، وتعرض نفسها للخطر في النهاية .

(ب) محاربة الآراء النقدية والافكار التقدمية عن طريق حرمان الجرائد التي تنشر هذه الآراء والافكار من الاعلانات ، وإيثار الجرائد الأخرى بهذه الاعلانات . وبذلك تفسر الجرائد الحرة الى الافلاس .
وتظل الجرائد غير المستقيمة لتحول دون تقديم الآراء السليمة والافكار الصالحة للمجتمع .

ان مثل هذا السلوك من جانب اصحاب رؤوس الاموال من شأنه ان يعوق سير الحرية الاعلامية ويعتبر في الوقت نفسه اعتداء على حرية الراى .

ثانياً - وهذا الذي تصنعه للدعاية من جهة ، ويصنعه الاعلان من جهة ثانية هو يعينه ما يحدث من طريق ما يسمى في العالم الغربي باسم « التكتلات الصحفية » . وهي عبارة عن مجموعات الصحف التي تنظم حلقاتها في سلسلة واحدة . وتشمل الواحدة منها عشرات من الجرائد والمجلات يملكها رجل واحد او شركة واحدة . وفي استطاعة هذه التكتلات هي الأخرى ان تعوق حرية التعبير في البلاد التي تصدر فيها بحيث لا تدع مجالاً للأفراد والجماعات والهيئات لكي تتصنع عن رأياها في مشكلة او قضية .

ان اصحاب هذه الكتل او السلاسل الصحفية يضعون للمصحف
التي يملكونها خطة صحفية لا بد من تطبيقها في كل صحيفة من صحف الكتلة .
وبذلك يستنون بالباب في وجه الملايين من المواطنين حتى لا يفكر احدهم
في ابداء رأى او عرض اقتراح او ترويج فكرة من الأفكار مهما كانت مفيدة
للمجتمع .

وهكذا يبدو الخطر على حرية الصحافة من عدوها الاول والاخير .
ونعنى به تحكم الرأسمالية في جميع مرافق الحياة في الدولة التي يشيع فيها
نظام الاحتكارات الاعلامية على هذا النحو وهكذا نرى الصحافة في أكثر
أرجاء العالم مهددة بالخطر ثلاثة وهي :

(أ) الضغط عليها من جانب الحكومت .

(ب) التحكم فيها من جانب رأس المال .

(ج) الاتراعات الخطيرة من جانب المحررين . وهؤلاء المحررون ظما يبراون
من التحيز اما للحكم بغير حق ، واما لأصحاب رؤوس الأموال طمعا
في الابقاء عليهم . ولكلهم بهذا وذاك كثيرا ما يضحون بمصلحة الشعب .

(وبعد) فان الأسئلة التي تقفز في أذهاننا دثما عندما نخوض
في موضوع حرية الاعلام هي كما يلي :

هل الصحافة عمل مستقل عن الحكومة ؟ وهل في استطاعة الصحف
أن تستغنى عن الأموال الضخمة اللازمة لإصدارها في عصر أصبحت فيه
الصحافة صناعة من أعتمد المصانع ؟ .

وهل نجحت النظم الاشتراكية في إيجاد حل لمشكل هذه المشكلات
التي نجمت من كون الصحافة أصبحت صناعة ؟ .

وهل ظفرت الصحافة نفسها برجال على جتبق كبير من متانة الأخلاق
يسمح لهم بالتضحية بمصالحهم الخاصة في سبيل المنفعة العامة ؟ .

وهل هناك أمل في أن تتخلص الصحافة يوما ما من جميع هذه الآفات
المهلكة ؟ .

وهل استطاعت الاتفاقيات الدولية وأكاديب مهنة الصحافة أن تجد حلا
لجميع هذه المشكلات وعلاجا لهذه الآفات ؟ .

هل استطاعت ان تحارب الاتحرافات الخلقية ، وأن تحارب
الرشوة المصطنعة ؟ .

وهل استطاعت الحكومات أن تفرض الرقابة الدقيقة على الدخول
الصحفية حتى تطعن إلى أن الصحف لا تبديها إلى بعض الدول الأجنبية .
لست أنكر أن الدول والشعوب أجهدها التفكير في جميع هذه
المشكلات ، وهذا التفكير إلى بعض الحلول المفيدة .

ولكن بقيت بعد ذلك مسألة في غاية الأهمية وهي أن النظام أو الدستور
الصحفي شيء ، وتطبيق هذا النظام أو الدستور شيء آخر .

من أجل ذلك نقول — ونصر على ما نقول — أن الصحافة لا ينبغي
أن تترك لرجل جاهل قليل الحظ من العلم والثقافة . فإن الجاهل من الناس
علجز دائما من إعطاء الآراء السليمة .

وحرية الصحافة لا ينبغي أن تعطى لأصحاب الأخلاق الفاسدة
والنوايا السيئة والاتحرافات الضلوة . لأن هؤلاء إذا أعطوا هذه الحرية
أساءوا استعمالها وتوسلوا بها إلى العبث بأعراض الناس ومصالحهم
الحيوية ، وإلى تهديد الناس في معتقداتهم ومكسبهم وأرواحهم في النهاية .
من أجل ذلك نجد أن لكل أمة من الأمم صحافتها التي تستحقها .
كما نجد أن الحرية الصحفية الحقيقية لا يمارسها إلا كتاب ومحررون
ينتمون إلى أمة شريفة وقوية .

عبد الكريم هزرة

بِالْحَقِّ الْبَحْثُ

المبحث الأول

مقدمة

عن النشاط الصهيوني في أفريقيا
نقلت عن ادارة الاعلام بالامانة العامة
لجامعة الدول العربية

التسلط الصهيوني في افريقيا

(أولا) عرض علم

بدأت اسرائيل خططها للتسلل الى شتى اقطار افريقيا عقب مقررات مؤتمر بلتدونج عام ١٩٥٥ الذي اعتبرته بمثابة ضربة سيلسية من جانب العرب بعزلها عن الدول الامرو آسيوية ، فشرعت منذ ذلك الحين تؤيدها وتدفعها الصهيونية العالمية متحالفة مع الاستعمار الراسمالي الغربى في الزحف الى القارة الافريقية ملتفة حول الحصار العربى كوسيلة انتقالية تكسر بها حدة هذا الحصار ، وكانت خطة اسرائيل من الدهاء والاحكام بحيث شملت كافة مجالات الحياة وساعد في الاعداد لها وتنفيذها بنجاح التتاء اهداف بعض الدول الاستعمارية مع اهداف اسرائيل في محاولة السيطرة على بلدان افريقيا الحديثة العهد بالاستقلال .

وقد وضعت الدول الاستعمارية بالاشتراك مع الصهيونية العالمية مخططا يسهل من مهمة اسرائيل في التسلل الى الدول النامية وهو على الوجه التالى :

- ١ - تمويل الدول الغربية المخطط الاستعمارى الصهيونى ليكون تحت تصرف اسرائيل رأس المال اللازم والسماح لأصحاب رؤوس الأموال وغيرهم بالاشتراك في هذا التمويل .
- ٢ - اصدار الاوامر الى البنوك الاوربية والأمريكية لضمان القروض والمساعدات التى تقدمها اسرائيل الى دول آسيا وافريقيا .
- ٣ - تقديم البنوك الاوربية والأمريكية الأموال اللازمة لتمويل المشاريع الاقتصادية والشركات التى تقوم اسرائيل بإنشائها في الدول الآسيوية والأمريكية .
- ٤ - مدد اسرائيل بالخبراء والفنيين لارسالهم مع الخبراء والفنيين الاسرائيليين الى اقطار آسيا وافريقيا .
- ٥ - انشاء مشاريع انتاجية للبضائع اللازمة لدول آسيا وافريقيا باتمام هذه المشاريع في اسرائيل وفي البلاد الآسيوية والأمريكية ووضعها تحت اشراف اسرائيل .

٦ - سعى الدول الاستعمارية التي خلق علاقة بين زعماء الدول الآسيوية والافريقية وبين اسرائيل .

وتتبع اسرائيل في تسلسلها الى آسيا واثريقيا مخططا يشمل المراحل التالية :

أولاً - مرحلة التراسنة :

١ - العمل في الميادين التي تملك اسرائيل فيها الامكانيات والخبرة الفنية .

٢ - القيام بتسليمات جندوية وعلاقة اثنى مشروع تتقدم به الى الدول التي تريد التسال اليها .

٣ - التضيق والميطرة في انتقاء خبرائها الوافدين الى هذه الدول .

٤ - زيادة التشدد واظهار حسن النية وتشترط اسرائيل حضور ممثلين عن الدول المراد التسال اليها لزيارتها ومشاهدة ما يلائمهم والتعرف على ما تتطلبه بلادهم .

ثانياً - مرحلة الدعاية :

١ - ايضاح ان التصلون مع دول آسيا واثريقيا خلل من اى مطمع استعماري .

٢ - ابراز رحلة ملكة سبأ الى بيت المقدس وتكريم الملك سليمان لها .

٣ - التكلم باستمرار من الالام التي تأساها-السود بسبب لون بشرتهم واليهود بسبب دينهم .

٤ - اظهار ان اسرائيل دولة صغيرة فقيرة في مواردها ولكنها حديثة في شأئها .

٥ - اظهار العرب بمظهر المعتبدي على اليهود كما اعتدوا في الماضي على السود ليلام تجارة الرقيق .

٦ - محاولة الاقناع بين الس . ج . ع . م وبين الدول الصديقة لها في آسيا واثريقيا .

ثالثا — مرحلة التنفيذ العملى :

- ١ — المبادرة بالاعتراف باستقلال الدول المستقلة حديثا .
- ٢ — تأسيس علاقات دبلوماسية متينة معها كلفها ذلك من نفقات معتدلة على مساعدات الدول المستعمرة لهذه البلاد .
- ٣ — وضع المعونات الفنية والمالية ورؤوس الاموال تحت تصرف تلك الدول .
- ٤ — عقد الاتفاقيات الاقتصادية والثقافية مع تلك الدول .

وهناك عوامل اخرى تستخدمها اسرائيل لتسهيل مهمتها بشأن التسلل في الدول الافريقية وذلك عن طريق :

- ١ — المنسكين والطبقة المتعلمة ومداخل اسرائيل اليهم الاشتراكية والديمقراطية المزعومة في اسرائيل ، وإبراز صورة لهذا المخطط عقد مؤتمر الاشتراكية الدولية في حيفا في يونية عام ١٩٦٠ ، دعيت اليه دول من آسيا وافريقيا .
- ٢ — العمال : ومداخلها اليهم الهستدروت والمزارع الجماعية . وقد قامت الهستدروت باتصالات حديثة بالعمال والحركات العمالية والثقافية في افريقيا كما قامت في تل ابيب معهدا دائما للدراسات العمالية « النقابية والتعاونية » للطلاب من دول آسيا وافريقيا .
- ويقوم أعضاء الهستدروت بالسفر الى الدول الافريقية المستقلة حديثا ويعرضون عليهم النظام المتبعة في الهستدروت وكيف نجحت في تطوير اسرائيل وقد عينت الهستدروت في عام ١٩٥٩ ممثلا دائما لها في غرب افريقيا ويدعى « زفي هاربر » .
- ٣ — أجهزة الحكم ومداخلها اليها التدريب المهنى والتنظيم الادارى .
- ٤ — الجيش ومداخلها اليه بعثات التدريب العسكرية .
- ٥ — التجارة وتركز اسرائيل على وسائل المواصلات والنقل مثل الخطوط البحرية والجوية

٦ - التهمة : وتركز اسرائيل على الاستثمارات التي تعود بالنفع على الصناعات الاسرائيلية ، ونخص بالذكر الاسمنت والكيوليت .

رابعا - عوامل اخرى مساعدة :

- ١ - العملاء المعتدون للصهيونية والاستعمار .
- ٢ - المجلات والصحف اليهودية او المؤيدة لاسرائيل .
- ٣ - رشوة الأحزاب المعارضة لها .
- ٤ - الجعيفات المسبوبة .
- ٥ - الجاليات والمنظمات اليهودية وما لها من جمعيات وهيئات .

المبشورات :

يبلغ عدد الصحف اليهودية التي تصدر في افريقيا باللغات المحلية المختلفة ٤٢ صحيفة ما بين يومية ولسبوعية ونصف شهرية .

الاذاعة الموجهة :

تخصص اسرائيل اذاعات موجهة الى دول افريقيا باللغات الحية المختلفة لتبث دعاتها السلبية .

ولكى تلقى ضوءا كافيا على نشاط اسرائيل في افريقيا يجدر بنا ان نقسم هذا النشاط على الوجه التالي :

(أ) نشاط دبلوماسي .

(ب) نشاط تجارى ومالى .

(ج) نشاط ثقافى وفتى .

(د) نشاط عسكري .

(أ) النشاط الدبلوماسي :

تسارع اسرائيل بإقامة علاقات دبلوماسية كاملة مع الدول الافريقية التي ثل استغلالها ، الأمر الذى يظهرها بمظهر الدولة المحبة لاستقلال تلك الدول المعطوفة على حركات تحررها ويعتبر ذلك عادة تقديم مساعدات شتى في صور متعددة . فلإسرائيل الآن ٢٦ سفارة وقنصلية في افريقيا

ويحرص المسؤولون في إسرائيل على القيام بجولات داخل الدول الإفريقية بصورة دورية كان آخرها هذه الزيارات تلك التي قام بها « موشى ديلن » وزير الزراعة الإسرائيلي السابق لدول غرب إفريقيا في نهاية عام ١٩٦٤ وزيارة جولدا مائير لدول شرق إفريقيا في نوفمبر من عام ١٩٦٤ ثم الزيارة الأخيرة التي قام بها لشكول رئيس وزراء إسرائيل في شهر يونيو مسلم ١٩٦٦ لسبع دول إفريقية هي :

أوغندا — ليبيا — سلط للعاج — مالاغاشي — السنغال —
الكونغو ليوبولدفيل — وكينيا .

وتحرص إسرائيل دائما على دموعة واستضافة رؤساء الدول الإفريقية وبصفة خاصة رؤساء المجموعة الفرنسية وزعماء الأحزاب السياسية وكبار المسؤولين في منظمات العمال واتحادات النقابات الأخرى ، وبصفة خاصة اتحادات الصحفيين وأفراد أجهزة الاعلام الإفريقية .

(ب) النشاط التجاري والمالي :

ويقتل هذا النشاط في مظاهر عديدة ومتشعبة نورد منها في :
— **نيجيريا** : تقوم شركة سوليل بونيه الإسرائيلية بشق طريق طوله ٧٥٠ ميلا في غرب نيجيريا كما تتولى مشروعا لتعميم مياه الشرب في مئات من المناطق للسكنية ، وفي شرق نيجيريا أتمت نفس الشركة ببناء جلمعة شرق نيجيريا كما أتمت ببناء فندق ومركز لتوزيع المياه .

— **سريالون** : أتمت الشركة السريالونية الإسرائيلية للتعمير ببناء القاعدة الرئيسية بمبنى المجلس النيابي كما أوقعت وزارة العمل الإسرائيلية أحد كبار المهندسين لاعداد دراسة تخطيطية تمهيدا لاعادة بناء وتخطيط العاصمة نريالون .

— **مالي** : تقوم إسرائيل حاليا ببناء عدد من المشروعات الصناعية ، كما أعد اخرا برنامجا للتعاون الاقتصادي بين البلدين .

— **السنغال** : تولى جيوام من إسرائيل وضع مشروع لاقلمة مزارع نموذجية على نبط قري الحدود الإسرائيلية (الكيوتسي) ويجري تنفيذ هذا المشروع حاليا .

— **سلح العاج** : تلقت شركة « ملز اخوان الاسرائيلية » ببناء فندق في أبيجدان بناء على اتفاقية قرض وتمعت لهذا الغرض .

— **الكونغو برازافيل** : تتولى شركة اسرائيلية تنفيذ مشروع ضخ لقطع اخشاب الغابات وتصنيعها بما يفي حاجة اسرائيل من الاخشاب ويبيع لها خامسا كبيرا تصدره الى الخارج .

— **كينيا** : تتولى شركة اسرائيلية بناء سلسلة من الوحدات التعاونية لصالح العمال والمزارعين وصيادي الأسماك وتمهنت حكومة اسرائيل بإدارة هذه الوحدات والاتفاق عليها لمدة عشرين عاما شول خلالها نصف اسهمها الى المواطنين الكينيين .

كما توصلت الحكومة الاسرائيلية الى اتفاق مع اتحاد تجار افريقيا الشرقية يقضى بمنحهم قروضا طويلة الأجل يتم تسديدها في عشرين عاما بمبادرة ٥٠ ٪ سنويا وأهم ما يسترعى الانتظار في هذه الاتفاقية انها تضمنت شروطا تحظر على تجار افريقيا الشرقية الداخلين في هذه الاتفاقية استيراد السلع من اية دولة اجنبية أخرى سوى اسرائيل وتتولى شركة التجارة الخارجية والتموين التابعة لمؤسسة راسكو الاسرائيلية تنفيذ هذا الاتفاق الذي أمكن بواسطته مضاعفة صادرات اسرائيل الى كينيا .

— **الحبيشة** : أسفرت زيارة موسى ديلان وزير الزراعة المسبق للحبيشة عام ١٩٦٠ عن اتفاقية مكنت للتدخل الاسرائيلي في ارتريا ، وكان من أهم بنودها استيلاء الشركات الاسرائيلية (اما عن طريق الشراء او الامتياز مدى الحياة) على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية في ارتريا الاسلامية .

وسمحت حكومة الحبيشة لاسرائيل بإرسال أسطول من قوارب الصيد الاسرائيلية يعمل حاليا على سواحل ارتريا والمحيط الهندي ويستعمل ميناء مصوع مجانا ودون دفع اية رسوم ومما يفكر أن معظم كمية الأسماك الوفيرة التي يستخرجها هذا الأسطول تذهب بانتظام الى اسرائيل عن طريق ميناء ايلات حيث تدخل في صفاعلت تعطيب الأسماك .

ومن مظاهر النفوذ الاسرائيلي الذي بدأ يطفئ على الحيساسة الاقتصادية في الحبشة تلك الاعداد الكبيرة من الجزائريين الاسرائيليين الذين اوجدتهم حكومة اسرائيل لذبح المشية ومقاومة للتقاليد الدينية اليهودية - وتبكت اسرائيل عن طريق استغلال الثروة الحيوانية الضخمة لارتريا والحبشة من ضمان تزويد المستلح الكبيرة التي لعلتها في ايلات وحيثا لغرض تصنيع اللحوم وتطعيمها واعادة تصديرها الى شتى اقطار افريقيا .

هذا وقد اشارت مجلة ويست افريكا البريطانية بتاريخ ١٥/٥/١٩٦٥ الى ان البضائع الاسرائيلية ترسل عادة الى الدول الافريقية عن طريق يواخر ديزنجوف التي توليها مؤسسة « زيم » للملاحة وقد اشرفت هذه الشركة على نقل المزيد من البضائع الاستهلاكية الاسرائيلية والاسمنت الى غرب افريقيا .

وعددت المجلة لوجه النشاط المختلفة لمجموعة شركات « ماير » الاسرائيلية في كل من ليبيا وساحل العاج بالاضافة الى ان شركة زيم للملاحة لا زالت تشرف اداريا على يواخر شركة النجمة السوداء الغانية وان لم تعد تشارك في التمويل - كما ان هناك ايضا اتفاقيات مشتركة بين معمل تكرير البترول في حيفا ومعمل تكرير فريتلون (عاصمة سيراليون) لتبادل الخبراء .

(ج) النشاط الثقافي والفني :

من الأمثلة العديدة لظاهر النشاط الثقافي والفني الاسرائيلي في افريقيا .

- ١ - ان حكومة اسرائيل تمكنت خلال فترة قصيرة ١٩٦١ - ١٩٦٤ من توقيع ٤٨ اتفاقية للصداقة والمعونة الفنية والتعاونية مع ١٨ دولة افريقية منها بورندي (يناير ١٩٦٣) جمهورية افريقيا الوسطى (ديسمبر ١٩٦٢) ، الكاميرون (ديسمبر ١٩٦٢) ، غانا (نوفمبر ١٩٦٢) ، ساحل العاج (ديسمبر ١٩٦٢) ، ليبيا (يناير ١٩٦٣) ،

روندا (ديسمبر ١٩٦٢) ، توجو (فبراير ١٩٦٢) ، تولنا العليا
(أغسطس ١٩٦١) .

هذا خلاف ما تم توقيعه بعد عام ١٩٦٤ مع دول افريقية أخرى
مثل أوغندا وسيراليون وتنزانيا وخلصه ما تم من اتفاقيات الصداقة
والتعاون في المجالات الخطفة أثناء زيارة ليفي أشكول للدول الانريقية
المسيح التي أشرفنا اليها .

٢ — قررت اسرائيل الاشتراك في معرض للفن الزوجي الذي سيقام في
ذاكر عام ١٩٦٦ (١) وحجزت مساحة كبيرة لهذا الغرض كما قررت
المساهمة في نفقات اقامة المعرض المذكور .

٣ — وقعت أخيراً اتفاقية بين مالى واسرائيل اثر الزيارة التي قام بها
وزير مالية مالى لاسرائيل في ١٧ سبتمبر عام ١٩٦٥ ، تمهت حكومة
اسرائيل بمقتضاها باعداد وتدريب مجموعة كبيرة من الشباب المالى
لادارة وشيخير المؤسسات والمشروعات الصناعية المختلفة .

ولتة زيارة أخرى لاسرائيل قام بها السفير هلميتس ياه الزعيم
الاسلامى ومدير ادارة العلاقات الثقافية في وزارة خارجية مالى حيث
تخللت زيارته عدة محاضرات عن الدين الاسلامى لاقاها في الجامعة
العبرية ثم لم ينه زيارته الا بعد أن وقع اتفاقاً مع حكومة تل ابيب
لايجاد مجموعة من المعلمين الاسرائيليين للتدريس في المعاهد الثانوية
في مالى .

٤ — الزيارة التي قامت بها بعثة من فتيات المنظمة الصهيونية العالمية
للتسام حيث قمن بقضاء عدة أيام في نيجيريا بدعوة من اتحادها
النسائى ثم اتبعنها بزيارة غانا وليبيريا وسسطل للهاج في ضيافة
حكومة هذه البلدان .

٥ — وقعت حكومة اسرائيل اتفاقاً مع رئيس جمهورية تنزانيا أثناء
الزيارة التي قام بها لعل ابيب في عام ١٩٦٤ تقضى بتزويد بلاده بـ

٥٠٠ طبيب اسرائيلي تدفع حكومة تنجانيقا ربع مرتباتهم بينما تتحمل حكومة اسرائيل ثلاثة ارباع هذه المرتبات .

٦ — ان حكومة اسرائيل يتبعهما في الوقت الحاضر ٣٠٠ خبير يعملون في مختلف اوجه النشاط الاقتصادي والثقافي والفني في الدول الافريقية بينهم ٢٣ خبيرا يتبعون اجهزة الامم المتحدة ووكالاتها بينما يعمل الباقون في نطاق الاتفاقيات بين اسرائيل والحكومات الافريقية.

هذا الى جانب اكثر من ٢٠٠٠ طالب افريقي يطلقون العلم الآن في المعاهد المختلفة يتركز اغلبهم في المعاهد الزراعية والتكنولوجية والمعهد الامروآسيوي الذي يشرف على نشاطه ويموله بعض المؤسسات الاسرائيلية التي لها مصالح خاصة في افريقيا وعلى رأسها مؤسسة سوليل بونيه .

ويجدر بالذكر ان النشاط الاسرائيلي بوجه عام يبلغ فروته بين دول المجموعة الفرنسية الامر الذي يكشف عن تواطؤ واضح بين اسرائيل وفرنسا سبق ان تجلت ملامحه في ملاحها للسفن وقوارب الصيد الاسرائيلية باستعمال مينائي جيوتي (الصومال الفرنسي) وداكار (السنغال) كقطنى انطلاق للنشاط الاقتصادي الاسرائيلي في شرق القارة وغربها (١) .

(د) النشاط العسكري :

شرعت اسرائيل في القيام بدور عسكري خطير في مناطق متفرقة من القارة الافريقية يمثل في الآتي :

١ — ارسلت وحدات عسكرية كاملة الى الكونغو ليوبولدفيل وانجولا سواء متخفين في ملابس الجند المرتقة أو تحت مستار كونهم خبراء ومدربين عسكريين للوطنيين الافريقيين .

(١) كان هذا قبل أن يتجه الرئيس ديغول بسياسة فرنسا اخيرا الى جانب العدل وتأييد العرب وشجب العدوان الاسرائيلي — المؤلف .

٢ - أنشأت إسرائيل ٢٧ مستعمرة في شرق إفريقيا (يتركز أغلبها في كينيا وتنجانيقا) على طراز مستعمرات الناحل الإسرائيلية لغرض تدريب الشباب الإثريقى على الزراعة والجنديّة في وقت واحد .

٣ - إقالت إسرائيل قاعدة عسكريّة في تشاد لتمارس منها الدور الذي تلعبه المستعمرات الإسرائيلية في شرق إفريقيا بالنسبة لمنطقتي غرب إفريقيا وشرقها .

٤ - يشمل النشاط العسكري تلك الدعوات التي توجهه لوزراء الدفاع الإثريقيين لزيارة المعاهد والمنشآت العسكريّة الإسرائيلية وكان من أهم هذه الزيارات تلك التي قام بها وفد من الخبراء العسكريين لجمهورية توجو لغرض وضع خطة تشكيل قوّة عسكريّة لتوجو على غرار منظمة الناحل الإسرائيلية وكان من أهم الزيارات أيضا تلك التي قام بها أحد كبار ضباط الجيش في مالي لدراسة نظم القرى المسلحة وحرس الحدود الإسرائيلي .

هذا وقد أوضح العقيد ناحمان كافني المسؤول عن إدارة المساعدات والملاقات الخارجيّة في وزارة الدفاع الإسرائيليّة المساعدات العسكريّة التي تقدمها إسرائيل بوجه عام حيث ذكر أن نشاط إسرائيل العسكريّ يمتد إلى ٢٥ دولة ومعظمها في إفريقيا والدول الأخرى في أمريكا الجنوبيّة وآسيا - وأن إسرائيل تعمل بصفة خاصّة في الدول الإثريقيّة التي تتحدث الفرنسية مثل ساحل العاج والسّنغال وداهومى ، وتوجو ، والكاميرون وتشاد . وأهم الطرق التي تستخدمها في تقديم المساعدات هي تطبيق نظم الناحل أو كما يسمى في الدول الإثريقيّة « الخدمة الوطنيّة » .

والواقع أن نشاط الناحل في الدول الإثريقيّة يمثل حسب احتياجات كل دولة وهدف إسرائيل كما يقول كافني أن يندمج رجل الناحل في المجتمع الإثريقى ويكون عنصرا قويا يستطيع تحمل المسؤوليّة بفتح الطرق ومد خطوط السكّة الحديد وإقامة المسجود .

(ج : الإعلام والدعاية)

ويضيف كادني ان الأساس الذي تقوم عليه الخدمة الوطنية في الدول الإفريقية هو التطوع ، ويقبل للخدمة الوطنية شباب تتراوح أعمارهم بين ١٦ — ٢٠ عاما ونحن نعمل ما في وسعنا لتجنب التصادم بين القبائل وزعمائهم . ويقول كادني ان الخدمة القومية استطاعت ان تزرع شعارا صهيونيا : ليس مهما لماذا تستطيع ان تأخذ من الدولة . ولكن المهم ماذا تستطيع ان تقدمه لهذه الدولة .

ويتابع كادني قوله الذي نشرته صحيفة معاريف : ومنذ ان نشرنا فكرة الخدمة الوطنية في إفريقيا فان تلك الجهود الدفاعية للدول الإفريقية تذهب الى مشروعات التنمية .

أما في إسرائيل فيقول كادني اننا نقوم بتدريب الإفريقيين في المجالات العسكرية المختلفة وبصفة خاصة تدريب المظليين من نيبال والكونغو .

وتحدث كادني من نشاط الضابطات الإسرائيليات في إفريقيا وقال انهن يشرفن على مشروعات في إفريقيا :

المشروع الأول : في ساحل العاج ضمن الخدمة الوطنية وبقيادة الضابطة رينا مارث ومعهما أربع ضابطات شابات اتمن مدرسة للمعاملات الاجتماعية في ساحل العاج لكن يعملن في القرى .

والمشروع الثاني : في النيجر وتقوم به ضابطة إسرائيلية واحدة هي الملازمة راحيل عربون ويبلغ سنها ٢١ عاما وهو الاشراف على نشاط البنات ضمن نطاق الخدمة الوطنية .

ويشير كادني في حديثه ان النشاط الذي تقوم به إسرائيل في إفريقيا يتركز أساسا في وزارة الدفاع والجيش ووزارة الخارجية وبفضل التعاون بين هذه الجهات الثلاث استطاعت إسرائيل ان تثبت وجودها في إفريقيا .

هذا وقد نشرت مجلة (بنحنيه) الإسرائيلية في عددها الممتاز الذي صدر في ١٩٦٤/٩/٦ تقريرا وضعه موشى ديلان وزير الزراعة الإسرائيلي الذي استقبل من منصبه اثر عودته من زيارته لبعض البلاد الإفريقية ، وقد

أوضح التقرير جانباً من المشاكل التي تواجهها إسرائيل في أفريقيا ثم الفصل الذي منيت به من تحقيق الفقدان المرجوة للأسباب التالية :

١ - قلة عدد رجال البعثات الدبلوماسية الإسرائيلية وعدم خبرتهم في معاملة الأمريقيين .

٢ - ظهور الخبزاء الاسرائيليين الذين يعملون في هذه الدول بمظهر الكبرياء الأمر الذي يبعد بينهم وبين السكان فضلاً على أن الخبر الاسرائيلي يرغب أن يكلل طمعاً المواطنين أو يجلس في مجالسهم أو يحترم عاداتهم .

٣ - لم يساعد فتح خليج العقبة على زيادة تذكر في التبادل التجاري بين إسرائيل وأفريقيا إذ لم يتعد حجم التبادل التجاري مع أفريقيا عام ١٩٦٣ ١٪ من حجم التبادل التجاري الاسرائيلي ان لم يكن اقل فقد قل ديال : صدرنا الى أفريقيا طول السنة بضائع بمبلغ ٧٢ مليون ليرة - وقد وقعت فضائح مخزية في المجال التجاري لا بأس من ذكرها - فقد أنشأنا شركة خاصة تابعة للحكومة لإنشاء محلات تجارية في افطار أفريقيا كما ان هناك شركة خاصة شبه رسمية هي شركة « ديزنجوف » تقوم بالأعمال التجارية - والشركة الحكومية تباع في محلات تجارية في مدن أفريقيا ، اما شركة ديزنجوف فتقوم بأعمال الاستيراد والتصدير وتبلغ خسائر الشركتين أكثر من ١٥ مليون دولار - ضاعت كلها في تجارب ومحاولات تدل على عدم الخبرة وعلى الاهمال ، فقد ملأت الشركة الحكومية (الدات) مستودعاتها ومتاجرها بالسلع والبضائع ثم ظهر أن هذه البضائع لا يشتريها أحد في أفريقيا فاضطرت الى اتلافها ، والغريب أن هذا يتكرر مرات كثيرة ، اما شركة ديزنجوف فكانت تضطر الى بيع البضائع التي تصدرها بأسعار أرخص كثيراً من سعرها في إسرائيل لأنها تريد التخلص من البضائع المصرية والأوربية - كما ان الموظفين في الشركتين كانوا يعتقدون صفتل لحسابهم الخاص وقد أحرز بعضهم بهذه الطرق أرباحاً كبيرة ورحلوا الى أوروبا ليقبوا هناك .

٤ — ويقول ديلان في تقريره ان التسلط المالى ليس له اى تأثير ، فنحن دولة فقيرة نسبيا ودول افريقيا في حاجة الى رؤوس اموال هائلة لاستثمارها ونحن نستعين برؤوس اموال يهودية من الخارج وهذا امر مكشوف فضلا عن ان نفوس المستثمرين اليهود من سويسرا وغيرها يفضلون العمل باسم الدول التى يقيمون فيها .

٥ — ان اسرائيل تبنى الفئائق الضخمة التى يقيم فيها الاجانب ولا تهتم بمساعدة الاهالى على بناء مساكن مريحة لهم او تحسين شبكة المواصلات وايجاد وسائل نقل سريعة لنقل الانتاج الزراعى .

٦ — ان المستعمرات التى لقايتها اسرائيل فى افريقيا لمقتررب الشباب الافريقى تقوم بتدريبهم على الزراعة والجنسية فى حين ان الافريقى مزارع وجندى بطبيعته .

٧ — ان الشباب الافريقى الذى يقضى فى اسرائيل ما بين ٣ و ٥ سنوات للتعليم والمقتررب لا يفيد بلاده بعد العودة وذلك لبعد تعلمه من الواقع الافريقى .

ولعل تقرير موثى ديلان رغم ما به من هجوم على التسلط الاسرائيلى يوضح ما تهدف اليه اسرائيل فعلا من التسلط على افريقيا ولهذا فانها تضع الخطط لتثبيت لقدامها فى هذه المنطقة الهامة .

بعد ذلك تحدثت المذكرة التى اعدها ادارة الاعلام بالامانة العامة لجامعة الدول العربية من تطور علاقات اسرائيل ببعض البلدان الافريقية وذلك فى عشرين صفحة (مولىسكاب) .

ولان العلاقات فى ذاتها اسلوب من اساليب الاعلام والدعاية فاننا مضطرون الى الاشارة العابرة اليها .

بدات اسرائيل خطتها للتسلل الى شتى اقطار افريقيا الحديثة الاستقلال عقب مقررات مؤتمر (يندونج) عام ١٩٥٥ الذى اعتبرته بمثابة ضربة سيلمنية من جانب العرب وعزلها عن الدول الافرو آسيوية . فشرعت اسرائيل منذ ذلك الحين بتأييد من الصهيونية العالمية متحالفة مع الرأسمالية

الاستعمارية في الزحف إلى الغارة الأفريقية ملتهمة في ذلك حول الحصار العربي ليكون هذا الالتفاف وسيلة انتقالية من جانب إسرائيل تكسر بها من حدة هذا الحصار العربي . وكلفت خطة إسرائيل في ذلك تمخفاً إلى السيطرة على بلدان أفريقيا الحديثة الاستقلال .

وبذلك بدأت جلافت إسرائيل بالدول الأفريقية الآتية :

مالاجاش ، وأوغندا ، وكنيا ، وليبيريا ، والكونغو لنيوبولنغيل ، والسنتغال ، وسلط العاج ، وجمهورية تشاد ، وسيراليون ، وغانا ، وداهومي .

وسلكت هذه العلاقات طرقاً شتى منها الزيارات الرسمية التي يعقدها في الجادة معاهدات صداقة تؤدي إلى عقد اتفاقيات من شأنها أن تعمل على دعم مركز إسرائيل بين هذه الدول الأفريقية النامية بوجه عام . وتتم هذه الزيارات بين الوزراء الإسرائيليين ووزراء الدول الأفريقية ورؤسائها ، كما تقوم إسرائيل بإرسال مندوبيها للاحتفالات القومية الرسمية لتلك الدول الحديثة الاستقلال . وهذا ما يظهر إسرائيل بمظهر الدولة المحبة للاستقلال والتقدم والمطوعة على الحركات التحررية .

ومن ذلك اشتراك (جولدا مائير) في الاحتفالات بعاميد استقلال كينيا . وقد تبع ذلك تطور في العلاقات الاقتصادية والممرانية والعسكرية بين البلدين .

كذلك كان من أهم هذه الزيارات زيارة (ليفي اشكول) رئيس وزراء إسرائيل لبعض البلدان الأفريقية في شهر يونية (حزيران) سنة ١٩٦٦ . وهي الزيارة التي كان من شأنها زيادة العلاقات الاقتصادية والثقافية والعسكرية بين إسرائيل وتلك البلدان .

ويعتبر تلك الزيارات في العادة تبادل التمثيل الدبلوماسي بين البلدين . كما يعقبه أيضاً تصريحات بالترغبة في الاستفادة مما حققته إسرائيل في مختلف ميادين الأعمال والاستفادة من خبرة الاختصاصيين الإسرائيليين .

ثم يأتي دور (المسترود) في دعم النشاط الاسرائيلي هناك بتقديم المنح والقروض والخبرة الفنية التي تمكنها من تطوير اقتصادياتها ورفع مستوياتها . فهناك تعاون اقتصادي وتجاري يتكوين شركات الملاحه ، واتفاقيات لتسهيل التجارة وانشاء الغرف التجارية . وبذلك استطاعت اسرائيل ان تفتح سوقا لمنتجاتها ، تحتكر تجارة اهم السلع هناك . كما تتولى اسرائيل القيام بالمشروعات الاقتصادية الكبرى مثل مشروعات إنجسور (الكبرى) وحفر الابار واقلمة الفنادق الكبرى والمباني الهامة واقلمة المزارع الجماعية ومعاهد الدراسة الزراعية .

واما من ناحية التعاون الثقافي فتقدم اسرائيل للدول الامريكية المنح الدراسية في الزراعة والصناعة والطب والمواصلات .

ويتدرب الطنلاب هناك على بناء الطرق والفنادق والمطارات . ولاسرائيل الآن ٧٠٠ خبير موزعين على ٣٠ دولة في افريقيا وآسيا . وهناك اكثر من ثلاثة آلاف طالب من أبناء هذه الدول يحصلون على تدريبهم الطبي والجملي في اسرائيل كل سنة .

أما في المجالات الطبية فتقيم اسرائيل المستشفيات لأمراض العيون والصل ، وتزودها بأحدث المعدات ، وذلك كله برئاسة اطباء اسرائيليين . كما تقوم باتفاقيات لانشاء مصانع الادوية في بعض البلدان .

واما من ناحية التعاون العسكري فتقوم اسرائيل بتدريب الجنود في تلك البلدان الامريكية واعدادهم ، وانشاء مدارس المظلات ، وارسل الخبراء العسكريين ، وانشاء المطارات العسكرية . هذا فضلا عن الاتفاقيات الخاصة بصقل الأسلحة من صنع اسرائيل ذاتها .

ويسبق هذا النشاط المتعدد الجوانب دعوية واسعة ذات اساليب متنوعة منها : توزيع الكتب والنشرات ، وعرض افلام سينمائية عن كناع اسرائيل وتقدمها الاقتصادي والاجتماعي ، والتوسع في العلاقات الثقافية بينها وبين تلك البلدان . وهذا كله فضلا عن الدعوية المعلنية التي تؤكد ان اسرائيل لم تأت لتحل محل القوى الاستعمارية القديمة في افريقيا .

بل جاءت لتكون المثال الحي لقوة الإرادة للقارة الأفريقية بأسرها .
وذلك لأن إسرائيل تواجه نفس المشكلات التي تعاني منها الدول الأفريقية
من اضطهاد وسلب الحقوق . وإن نجاح إسرائيل في أفريقيا يعود إلى نجاح
التجربة الإسرائيلية في إذاتها ، كما يعود إلى الكفاءة التي أظهرتها في شتى
المجالات .

ويمكن أن تلخص ما تقدم في أن النشاط الصهيوني في أفريقيا يعتمد
أساسا على المشاركة الإيجابية في مختلف أوجه النشاط السياسي والعسكري
والثقافي والاقتصادي لتلك البلدان . وهذه المشاركة تعتمد أساسا على
العنصر البشري الإسرائيلي ، بحيث إذا تخلف وجود هذا العنصر أصبحت
المعونة غير ذات موضوع . وهذه الخطة تشكل ضلعا لنجاح إسرائيل
في التأثير على سياسة تلك البلدان لتحقيق هدفها - وهو أن تفتح ثغرة
في الجدار العربي المحيط بها .

ومن وسائل نجاح إسرائيل في هذه الخطة وقوف كثير من الدول
الأفريقية بجانب إسرائيل في الأمم المتحدة - حتى تلك التي تتكون غالبية
سكانها من المسلمين .



والخطوط التمهيدية التي يجب أن تعتمد عليها الدعوة العربية
هي القيام بمسح شامل لظروف كل دولة من الدول الأفريقية واحتياجاتها
في المجالات المختلفة (اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية) وترتيب
أولويات لهذه الاحتياجات ؛ سواء في المجالات التي سبقت إليها إسرائيل
لمجابهتها فيها أو المجالات الجديدة التي هي أكثر قابلية للاستقلال من الناحية
الدمائية .

وإذا ما تم هذا المسح أمكن على ضوءه تحديد ما تستطيع الدول
العربية تقديمه من عون في صورة قروض أو استثمارات مشتركة أو غيرها .
وتخصيصه فيها يمكن أن يحقق أقصى فائدة ممكنة من أجل الدعوة العربية .

ومن المبادئ الأساسية التي تتلبدى بها اسرائيل ذاتها فى برنامجها للتعاون الدولى أن المعونة يجب أن تبنى على أساس التبادل . وهى تعنى بذلك امكانية تحقيق فائدة لصالحها لا تقل قيمة عن المعونة ذاتها .

وفى الوقت الذى قد تستغرقه هذه الدراسة يمكن وضع برنامج قصير الأجل لتبادل الزيارات والبعثات بين الدول الأمريكية والبلدان العربية على مختلف المستويات الشعبية والرسبية ، لتحقيق جد ادنى من التعريف المتبادل بين أبناء هذه الدول .

وتجدر الاشارة الى أن هذا التعريف المتبادل وخصوصا على المستوى الشعبى كليل بأن يخلق جوا من الثقة تفتقر اليه حاليا العلاقات العربية الأمريكية نتيجة للدعاية الصهيونية ولظروف كثيرة أخرى ، وإذا أمكن توفير هذه الثقة المتبادلة فأنها تكون الأساس لى عمل مشترك يتخذ منها بعد .

إلى

مكتبة

من النشاط الصهيوني في أمريكا اللاتينية

نقلت من إدارة الإعلام بالأمم المتحدة

لجامعة الدول العربية

التشاطر الصهيوني في أمريكا اللاتينية

اهتمت الصهيونية العالمية بدول أمريكا اللاتينية فدخلتها في مخططاتها الخاصة بالدول النامية التي ترمى إلى تزويد هذه الدول بالخبراء والفنيين في كافة الميادين الاجتماعية والاقتصادية والزراعية والتعلوية وامصلاح الاراضى والرئى . وينتشر الخبراء الاسرائيليون في مختلف اجزاء هذه انبلاد يزاولون في الظاهر مهمة التدريب بينما هم يقومون في الحقيقة بنشر الدعاية الصهيونية والاسرائيلية على نطاق واسع في الأوساط التي يعملون فيها بأسلوب دعائى مدروس يهدف الى كسب ثقة وعطف هذه الدول . وهم يقولون انهم لا يستطيعون تقديم مساعدات مادية نظرا لان بلادهم فقيرة يحيط بها الأعداء العرب من كل جهة يترصون بها الدوائر ، ولكفهم يقدمون ثمرة خبرتهم وتجربتهم : وإلى جانب الدور الخطير الذى يقوم به الخبراء والفنيون الاسرائيليون في الدعاية للصهيونية واسرائيل فان اسرائيل تفتح ابوابها للبعثات الدراسية والتدريبية من هذه الدول ، فتقوم بتقديم عدد كبير من المنح الدراسية في مختلف الفروع سنويا لأبناء هذه البلدان . وتنفذ اسرائيل — كما تقول جريدة دويتش تراتيونج الألمانية — نحو ٨٠ مليون مارك سنويا للمنح الدراسية والخبراء في الخارج لتحسين علاقاتها مع هذه الدول وتحطيم الحصار العربى القائم حولها . وهى تعمل جاهدة — من طريق هذه المنح — على جعل الطلبة الذين يدرسون فيها بعد عودتهم الى بلادهم طابورا خامسا يسبح بحمدها ويدافع عن مصالحها وينادى بالارتباط بها . وتشير الاحصائيات الى ان عدد الخبراء الذين أوفدتهم اسرائيل الى الخارج يبلغ ١٥٠٠ خبير ، كان نصيب أمريكا اللاتينية منهم ٧٢ خبيرا . كما بلغ عدد المجموعتين الى اسرائيل عن طريق المنح الدراسية من دول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية من عام ١٩٥٨ الى عام ١٩٦٤ أكثر من ٧٥٠٠ طالب وطالبة . وتقتر نصيب بلدان أمريكا اللاتينية من هذه المنح من ١٢ منحة عام ١٩٥٨ الى ٢٨٩ منحة عام ١٩٦٢ وهو امر يدل على اهتمام اسرائيل المتزايد بهذه المنطقة من العالم . وهناك مثال آخر يوضح اهتمام اسرائيل

والصهيونية العالمية بأمريكا اللاتينية يكمن في قيلم الصهيونية بمعد عدة مؤتمرات لها في هذه الفترة التي يسكن فيها ما يقرب من مليون يهودي يعتقد غالبيتهم الصهيونية . ويضع هؤلاء اليهود أيديهم على مفاتيح الحياة الرئيسية في أكثر هذه البلاد وهم يملسون نفوذهم من وراء الستار . وهم كشتاتهم في سنقر أنحاء العالم أكثية مكروهة ولكنها مرهوبة الجغب . ويسيطر اليهود على الصحافة وسنقر وسائل الإعلام في معظم بلدان أمريكا اللاتينية كما أن لهم من يمثلهم في الأحزاب السياسية الرئيسية يجعلون لهم نفوذا كبيرا في الحكم القائم إما كالحزب للفنر .

هذا وقد بدأ عتوب اليهود إلى هذه الدول بصورة ملحوظة منذ عام ١٩٣٨ حينما اشجعت خفاك النازية ضد يهود ألمانيا والنمسا ونجح عدد كبير من يهود أوروبا بعد ذلك في الهجرة إلى أمريكا اللاتينية متما نشلوا في الهجرة إلى الولايات المتحدة نتيجة للضغط الصهيوني الذي كان يرمى إلى استغلال مسألة عدم وجود ملجا ليهود أوروبا المضطهدين للدعوة لانشاء إسرائيل واحتلال فلسطين .

وقد نشرت مجلة « نيد ستريم » الصهيونية في عدد صيف عام ١٩٦٠ مقالة طويلة بقلم « برنو وايزر » عن الجهود الحثيثة التي بذلتها الصهيونية في سبيل انشاء راس جسر لها في أمريكا اللاتينية والنسرب إلى مراكز النفوذ والقوة فيها للضغط عليها والتحكم في سياستها في اللحظة المناسبة . ويحكى وايزر كيف هاجر إلى اكوادور هربا من النازية وكيف نجح بمعاونة قلة من اليهود كانوا يقيمون في اكوادور من قبل في التحكم في الرأي العام بين أهالي اكوادور وذلك بأن بدأ يحرر في أهم جريدة في المدينة التي كان يعيش فيها وتدرج في منصب التحرير والنفوذ حتى استطاع أن ينشر تعتيبه اليومى في أهم جرائد أمريكا اللاتينية واستقل هذا المنصب في اعداد الرأي العام اللاتيني للعطف على اليهود البؤساء المضطهدين ! .

وما إن وثقت الصهيونية من اشتداد سواعد عملاتها حتى عملت على انشاء Christian Pro. Palestine Committee التي كانت في الواقع

تابعة للوكالة اليهودية في فلسطين ولكنها تحت ستار التعاون بين المسيحيين واليهود بنت غروعا لها بالاسم الجديد في جميع دول أمريكا اللاتينية واستغلت في برنلجها الدعائى الضخم عطف وسذاجة اللاتينيين فجسمت لهم غطاعة النازية التى قتلت ٦ ملايين يهودى بين رجل وطفل وامراة وشردت مليون يهودى آخر لا يجدون مأوى وملجأ يضمهم سوى فلسطين واستغلت الصهيونية أيضا أفكار العهد القديم في الاتجيل وهورتها وأسبغت عليها تفسرات صهيونية خالصة حتى أصبح اللاتينيون يعتقدون ان انشاء اسرائيل في فلسطين واجب دينى وانستأى في وقت ولحد .

هذا وتقوم الدعاية الصهيونية بنشاط كبير في دول أمريكا اللاتينية يتمثل في الجهود التى بذلتها الجاليات اليهودية في هذا السبيل الامر الذى ادى الى توثيق العلاقات بين دول هذه القارة واسرائيل .

وتتركز الدعاية الصهيونية في هذه البلاد على ما يلى :

(ا) النشاط الدبلوماسى الذى تقوم به الهيئات التمثيلية لاسرائيل ويتمثل في المقابلات والاجتماعات السياسية والمؤتمرات الصحفية .

(ب) ارسال الوفود المختلفة من اسرائيل الى هذه الدول وكذلك قيام الشخصيات الاسرائيلية والصهيونية الهامة بزيارات لدول هذه القارة ومنها زيارة ناحوم جولدمان رئيس المنظمة الصهيونية العالمية وبنحاس سايير وجولدا مقير حيث كان يتم خلال هذه الزيارات الاتصال بالجاليات اليهودية وتسهيل السبل امامها للقيام بالدعاية اللازمة ، وكذلك بذل عروض التبادل والمعونة الاقتصادية وهو ما يلقى استجابة كاملة من هذه الدول نظرا لحاجتها الى المعونة .

(ج) استخدام الصحف والمجالات من طريق التأثير المادى والادبى على رجال الصحافة والفكر .

(د) عرض الافلام الدعائية بقوامها والانباء المصورة .

(هـ) نشاط المنظمات الصهيونية التى تقوم في الوقت الحاضر بتبريس اللغة العبرية في عدد من مؤسساتها .

(و) محتولة أبرزات تبية العوالم الروحية والمخاعر النفسية التى تربط دول أمريكا اللاتينية بإسرائيل .

(ز) ان جميع دول أمريكا اللاتينية دول هجرة واستكشاف مثل إسرائيل .

(ح) ان الشعوب اللاتينية لم تمتلك اراضيها الحالية خلال اجيال سابقة كما لم يتسع لها الوقت لتكوين وحدة عنصرية وثقافية خاصة وان ذلك كان سببا في تفهم تلك الدول لعملية استيعاب إسرائيل للمهاجرين فهذه الشعوب لا تتعجب من أن أغلبية رعايا إسرائيل لم يكونوا جزءا منها يوم اعلان استقلالها اذ ليس هذا بفريب عليها .

ومن ناحية أخرى تقوم المؤتمرات اليهودية التى تمتد في دول أمريكا اللاتينية على التوالى بالتوصية في قراراتها والتركيز في نفس الوقت على الآتى :

(ا) شرح قضية إسرائيل للرأى العام في أمريكا اللاتينية والحصول على تأييد وتمعبد حكومتها .

(ب) تجنيد الجاليات اليهودية ودعوتها للسفر لإسرائيل للقيام بواجبها الوطنى .

(ج) تنظيم وتنسيق الجاليات اليهودية وتشجيعها على التبرعات وتنظيم هجرة اليهود اليها .

(د) مقاومة الحركات والدعائم المعادية للصهيونية وإسرائيل .

أما عن نشاط إسرائيل بوجه خاص في أمريكا اللاتينية فيتلخص كما يلى :

(ا) النشاط الثقافي :

ويقوم على الاسس التالية :

- بـ إعطاء منح دراسية لحوالى ٣٠٠ طالب سنويا في مختلف بلاد أمريكا اللاتينية وذلك بالاشتراك مع منظمية الدول الأمريكية التى تتحمل مصرومات اليبسفر ،

- ارسال اساتذة متخصصين في الطب والهندسة والطبعية النووية والكيمياء لالتقاء المحاضرات في الجامعات المختلفة .
- دعوة بعض اساتذة الجامعات ورجال الفكر والادب لزيارة اسرائيل .
- نشر المؤلفات الاسرائيلية باللغة الاسبانية في امريكا اللاتينية .
- اقامة معارض فنية واخرى انتاجية لعرض نواحي التقدم الفنى والتطور الزراعى والصناعى في اسرائيل .
- نشر الثقافة واللغة العبرية وخاصة بين الجاليات اليهودية في امريكا اللاتينية .

ولتنفيذ هذه البرامج انشأت اسرائيل في فنزويلا المعهد الثقافى الفنزولى الاسرائيلى ويقوم بنشاط ثقافى ، والاتحاد الاسرائيلى « لكراكس » ويقوم بنشاط ديمقائى .

(ب) النشاط التجارى :

قامت اسرائيل بمساعدة الجاليات اليهودية في بلاد امريكا اللاتينية بدراسة امكانيات هذه الاسواق لزيادة حجم التجارة الخارجية بين اسرائيل وامريكا اللاتينية .

وقد يمكن لاسرائيل أن تتفق مع بعض بلاد امريكا اللاتينية على أن تشتري انتاجها من المواد الخام أو النصف مصنوعة لتقوم بتصنيعها في اسرائيل ثم تعيد تصديرها لجميع بلاد العالم وأظهر مثل لذلك تجارة المس بين فنزويلا واسرائيل .

ولقد ساعد اسرائيل على نشر تجارتها في بلاد امريكا اللاتينية سيطرة اليهود المحطين بدرجة كبيرة على عمليات الاستيراد والتوزيع في هذه البلاد .

وتبدي اسرائيل اهتمامها خاصا بسوق امريكا اللاتينية لان الاستثمار فيه يعطى ارباحا عالية بالنسبة لجميع اسواق العالم لذلك فان المستثمر الذى تجمعها اسرائيل والمنظمات الصهيونية يستفيدون من امريكا اللاتينية

لا ترسل مباشرة الى اسرائيل ولكنها تستثمر اولا في امريكا اللاتينية ثم تنقل بعد ذلك مع اربابها الى اسرائيل .

وعلى الرغم من ان هذه العملية في حقيقتها عملية امتصاص دماء الشعوب اللاتينية الا ان كثيرين من المسؤولين في امريكا اللاتينية يعتقدون ان هذه الاستثمارات تشارك في بناء اقتصاديات بلاد امريكا اللاتينية .

وتقدم اسرائيل عروضا مختلفة لإنشاء شركات ملاحية مشتركة تتمهد اسرائيل بدفع كل النفقات اللازمة لبناء المراكب على ان يدفع نصيب المستحق على الجانب اللاتيني من أجور نقل تجارته الخارجية على هذه المراكب ، وتحقيق هذه الفكرة يؤدي الى احتكار اسرائيل لجزء كبير من عمليات نقل التجارة الخارجية لهذه البلاد .

(ج) المعونات الفنية والاقتصادية :

تهتم اسرائيل بدراسة الاحتياجات الفنية لدول امريكا اللاتينية وتعرض مداها بالخبراء الاسرائيليين بدون مقابل ، وقد نجحت اسرائيل عن هذا الطريق في التغلغل في الأجهزة الفنية في امريكا اللاتينية .

ويوجب هذه السياسة فقد ذكرت صحيفة يديعوت أحرزوت الاسرائيلية بتاريخ ١١/١١ سنة ١٩٦٥ بأنه تم توقيع اتفاق معونة فنية بين اسرائيل وبين دول امريكا اللاتينية من أجل التنمية الزراعية وقد وقع الاتفاق من الجانب الاسرائيلي سفير اسرائيل في واشنطن وعن دول امريكا اللاتينية السكرتير العام لمنظمة الدول الأمريكية وثالث الصحيفة ان هذا الاتفاق ينص على ان توفر اسرائيل عشرة من خبرائها الزراعيين الاسرائيليين الى امريكا الجنوبية لمساعدة انشطرتها في تحسين الزراعة القروية التعاونية هذا واشارت الصحيفة في نفس الوقت الى ان الخبراء الاسرائيليين الذين تم ارسالهم الى هذه الدول سوف ينقسمون الى ثلاثة اقسام ، قسم يكون مركزه شيلي ويعمل في الأرجنتين والثاني يبرو ويعمل في اكوادور والثالث يتجول في جميع انحاء امريكا اللاتينية . هذا وقد خصص الاتحاد الأمريكي في ذلك الوقت ٢٠ ألف دولار للتفسيق على المرحلة الاولى ومدها مئة .

ومن جلقب آخر يوجد في فنزويلا خبراء من اسرائيل في زراعة القطن والرى والكيمياء وتهتم الجالية الاسرائيلية بالمشاركة في بناء الصناعات الجديدة وعن طريق الحماية الجمركية المقررة لهذه الصناعات تتمكن هذه الصناعات من احتكار السوق المحلية وفرض الاسعار التي تمكنها من تحقيق ارباح عالية .

(د) الصحافة الصهيونية في دول أمريكا اللاتينية :

يبلغ عدد الصحف اليهودية التي تصدر في أمريكا اللاتينية الوسطى ١٢٢ صحيفة كما أن الصحف اليهودية التي تصدر بالاسبانية والبرتغالية ، وهما اللغتان السائدتان في دول أمريكا اللاتينية ٥٥ صحيفة . هذا وتقف الصحف الكبرى في معظم دول أمريكا اللاتينية بوجه عام مؤثما مفرضا من كلفة القضايا العربية ، مدفوعة بالدعاية المضلة التي تروجها الصهيونية ، والتي يستلذها فيها بعض الحكام الرجعيين في هذه البلدان الذين يشعرون بالاستياء من مناصرة العرب لكافة الحركات التقدمية ومساندتهم لمبارك النضال والتحرير ضد النفوذ الاستعماري .

وأوردت المذكرة قوائم بأعداد الصحف اليومية والاسبوعية والشهرية الكثيرة التي تسبح بحمد اسرائيل : في كل من الأرجنتين وبوليفيا والبرازيل وتشيلي وكولومبيا وكوبا وغيانا الهولندية ومكسيكو وبيرو وأوروغواي وفنزويلا .

ولعل الغرض من تركيز اسرائيل نشاطها على دول أمريكا اللاتينية انها تستهدف :

١ - غزو هذه القارة البكر الجديدة التي لم يكن لهم فيها نشاط مرموق قبل ذلك .

٢ - مقايمة أو إسكات الجاليات العربية التي يزداد نشاطها وتغلغلها في الحياة العامة في هذه الدول بحيث لو تم تشكيلهم وتنظيمهم لأصبحوا خطرا على النفوذ الصهيوني .

البرازيل :

يبلغ تعداد الجالية اليهودية في البرازيل نحو ١٥٠ ألف شخص يتمتعون بمعطف الدوائر الرسمية ولهم نفوذ واسع على وسائل الاعلام نظرا لسيطرتهم على النواحي الاقتصادية وتحكمهم في عمليات الاستيراد والتوزيع . وتبذل المنظمات الصهيونية جهودا لربط اليهود القتين في البرازيل بإسرائيل ومساعدتها ماليا ومعنويا على أساس اعتبارها المركز الروحي لليهودية في العالم . كما يوجد في البرازيل عدد من المقاهد التي تدرس فيها العبرية وآدابها وتعاليم الديانة اليهودية . وهناك عدة اتفاقيات للتعاون التجاري والثقافي والفني بين البرازيل وإسرائيل .

وكانت الدعاية الصهيونية في البرازيل تتبع الأسلوب المباشر ، وهو أسلوب الهجوم المباشر على البلاد العربية منفردة ومجموعة في محاولة لاثارها بمظهر البؤس والتلخر والنوضى . وقد منيت بفشل ذريع في هذا المضمر بفضل الموقف الموحد الذي وقفته السفارات العربية في مواجهتها بالتعاون مع مكتب الجامعة هناك . فانتقلت بعد ذلك الى الأسلوب غير المباشر بإبراز منجزات إسرائيل ونضالها والفائدة التي تعود على الذين يتعاونون معها وبالعامل على التقرب أكثر فكثر من البرازيل وسافر دول أمريكا اللاتينية عن طريق تقديم المساعدات الفنية وتبادل الزيارات الرسمية والشمسية معها .

واستطاعت الصهيونية التغلغل في الأحزاب السياسية والبرازيلية ، فكان أن بحث مرشح حزب العمال لانتخابات الرئاسة الأخيرة نيجوا أودي ليبيبا الذي كان يحظى كذلك بتأييد الحزب الاجتماعي البرازيلي برسالة تهينة حارة الى اليهود بمناسبة العام اليهودي الجديد . كما قلم شيخصيا بزيارة الحاخام اليهودي للتحية والتهنئة بطريقة يشتم منها محاولة شراء أصواتهم . كذلك قبل رئيس الجمهورية المارشال كاستيلو برانكور الدعوة التي وجهتها إسرائيل اليه لزيارتها .

وكان من أهم مظاهر اعتبارها بالبرازيل التي تشغل زخدها تصف (م ١٥٠ : الاعلام والدعاية) .

مساحة قارة أمريكا اللاتينية أن عقدت في عاصمتها سان باولو مؤتمرا كبيرا للجاليات اليهودية في أمريكا اللاتينية في أكتوبر عام ١٩٦٢ اشترك فيه ١٧٢ مندوبا عن الهيئات الصهيونية التي تمثل عشرة بلدان برئاسة رئيس المنظمة الصهيونية العالمية ناحوم جوليمان ، وقد وجه رئيس الجمهورية البرازيلية حينذاك رسالة تهنئة إلى المؤتمر أثنى فيها على الجهود التي تقوم بها للطوائف اليهودية لتحقيق التقدم في البرازيل وتمنى للمؤتمر النجاح . وكان الهدف الظاهر لهذا المؤتمر هو بحث حالة اليهود في العالم عامة وفي القارة الأمريكية خاصة ودراسة المشاكل الناشئة عن عودة ظهور حركة العداة للسلبية .

وقد أصدر المؤتمر عدة مبادئ وتوصيات أهمها الإيمان بالمثل والنظم الديمقراطية التي تعبر عن أعمق ما في الروح اليهودية والإعراب عن القلق من عودة ظهور حركة العداة للسلبية واستعداد اليهود للعمل ضد هذه الحركات والإعلان عن حق اليهود في المحافظة ضمن الدول التي يقيمون بها على خصائصهم الجنسية وحقوقهم في مقاومة الضغط الذي يبذل لصورهم في المجتمعات التي يقيمون بها ومناشدة جميع شعوب العالم للتعاون للقضاء على التفرقة العنصرية والدينية .

والذي يستلقت النظر هو التوصية الأخيرة الخاصة بالقضاء على التفرقة العنصرية والدينية لأن هذه التفرقة هي الأساس الذي قامت عليه دولة إسرائيل حيث يمارس التمييز العنصري ليس فقط بين اليهود وأتباع الديانات الأخرى وإنما كذلك بين اليهود الشرقيين واليهود الغربيين إلى حد تحريم زواج اليهود الهنود باليهوديات الغربيات .

الأرجنتين :

يرجع وجود اليهود في الأرجنتين إلى عام ١٩٥٢ منذ بدأت هجرتهم إليها من دول أوروبا الغربية وشمال أفريقيا . يبلغ عددهم الآن نحو نصف مليون شخص تتركز غالبيتهم في العاصمة بيونس آيرس حيث يصل تعداد الجالية اليهودية فيها إلى ما يقرب من ٣٠٠ ألف شخص . وقد قام اليهود منذ ذلك الحين بتنظيم صفوفهم على هيئة خلايا طبقا للتنظيم الهرمي تحت

أشراف المنظمة الصهيونية العالمية ونزعها بالارجنتين . وقد ازداد نشاط اسرائيل بصورة واضحة في الارجنتين منذ الاعتداء الثلاثي على مصر ويدات تقوم بحملة واسعة لجمع التبرعات .

ومن الجدير بالذكر أن يهود الارجنتين لا يخضعون خضوعاً تاماً للصهيونية ولذلك فانهم لا يميلون الى الهجرة الى اسرائيل ولا يقدمون اليها مساعدات شخصية . ومفضلاً عن ذلك فإن الشعب الارجنتيني ككلوليكي متعصب ، ومن ثم فليس من الممكن لليهود السيطرة على الحكومة الارجنتينية أو المراكز السياسية الهامة فيها . لهذا فإن تطفل الصهيونية في الارجنتين يقتصر الى حد كبير على السيطرة على اقتصاديات البلاد . ومع هذا فإنه يوجد بالارجنتين حوالي ١٢٠ هيئة يهودية تعمل تحت أشراف المنظمة الاسرائيلية (الدايا) ويعتبر السفير الاسرائيلي هناك الرئيس الفعلي لهذه المنظمة .

ومن أبرز هذه الهيئات جمعية (مس بيرث) ومنظمة (بلاجن دفا غيد آدم) ومنظمة الشبيلب التابعة لهما ومعهد التبادل الثقافي الارجنتيني الاسرائيلي ومعهد النساء اليهوديات الارجنتينيات والجمعية الخيرية الاسرائيلية الارجنتينية والجمعية العبرية الارجنتينية ومعهد التبادل الاعلامي الارجنتيني الاسرائيلي والاتحاد الصهيوني الارجنتيني . الجين والمجلس الفردي المركزي بالارجنتين ومنظمة مكلي العبرية الارجنتينية .

وتعتمد الدعاية الصهيونية في الارجنتين اسباسباً على تلالل الزيارات وتعليم اللغة العبرية وأدائها واستغلال وسائل الاعلام المختلفة ، فتقوم شخصيات اسرائيلية كبيرة بين وقت وآخر بزيارة الارجنتين لتوضيح وجهة النظر الصهيونية ، وخاصة تجاه مشكلة مرور السفن الاسرائيلية في قناة السويس وللعمل على عقد اتفاقيات ثقافية واقتصادية مع تلك الدولة من نتائجها تخصيص المنح الدراسية السنوية . وتوجيه الدعوات الى الصحف واعضاء الحكومة لزيارة اسرائيل . ويقوم ممثلو اسرائيل بجهد دعائي واضح عن طريق الخطبة والمؤتمرات الصحفية ، بالإضافة الى جهود الجالية اليهودية في تلك البلاد . وقد ساعد على ذلك سيطرتهم على وسائل

الأعلام ، وتحظى شركات الاحتكار الأمريكية عن طريق رؤساء مجالس الإدارة اليهود في فرض القوانين التي تستفيد منها إسرائيل ، وسيطرة يهود الأرجنتين على المصارف والمناصب الكبرى بالوزارات والمرافق العامة مما دعا إذاعة الأرجنتين إلى أن توجه برنامجا خلاصا إلى إسرائيل . كما أن السفارة الإسرائيلية في الأرجنتين تستأجر ساعة زمنية في القناة رقم ٧ في التلفزيون تعرض خلالها بعض الأفلام عن إسرائيل ، وتبث من آن لآخر بالفرق اللغوية والموسيقية لعرض فنونها على هذه القناة وتعتمد السفارة أن تظهر صورة إسرائيل خلال هذه البرامج .

وتتركز الدعاية الصهيونية في الأرجنتين على النقاط التالية :

- اظهار إسرائيل في صورة الدولة المحبة للسلام المستعدة للتفاوض مع العرب (وهو نفس المخطط الذي تسير عليه مع دول آسيا وأفريقيا) .
- مهاجمة الجمهورية العربية المتحدة وتصويرها بالدولة المتحدية التي تهحف إلى السيطرة على جيرانها من الدول العربية .
- استهانة المسيحيين من العرب المفترين في الأرجنتين عن طريق اظهار إسرائيل بمظهر الدولة التي لا تفرق بين الأديان والتي تشجع على بناء الكنائس .
- اتهام الجمهورية العربية المتحدة بالتمصّب للسلام وعدم تجاوبها مع الأديان الأخرى .
- بيان تقدم إسرائيل في الميدان الاقتصادي والعلمي والصناعي ودعموة الأرجنتين إلى الاستفادة من خبرة إسرائيل في النواحي الزراعية حيث أن سكان إسرائيل قد وصلوا إلى مرتبة عالية في هذه النواحي .
- ابداء الاستعداد لحل مشكلة اللاجئين واتهام العرب باتخاذ هذه المشكلة سلاحا ضد إسرائيل .
- الربط بين المشكل الماليّة في إسرائيل وميلاتها في دول أمريكا اللاتينية .

كذلك فالتنا نجد أن المكاتب الأرجنتينية مليئة بالمكاتب المخفية
عن إسرائيل وتعرض دور العرض في الأرجنتين الكثير من الاهتمام
الإسرائيلي .

ومن أمثلة النشاط الصهيوني في الأرجنتين ما يلي بهقه :

— سفير وفد يتكون من ٤٨ عضوا من اتحاد نوادي المدارس العبرية
إلى إسرائيل لحضور الدورة الثقافية التي يقيمها معهد (بيت يرى)
في إسرائيل ويشرف عليها قسم الثقافة والتعليم بالوكالة الدولية .

— عقد اجتماع بالمنظمة الصهيونية الأرجنتينية للوفد الذي حضر الدورة
السابقة للجنة العمل الصهيوني التي عقدت بإسرائيل وقد حضر
الاجتماع جاكوب بركوفيش عضو منظمة أمريكا اللاتينية بإسرائيل
والذي زار الأرجنتين وقد صرح رئيس المنظمة حليم نيكستين
بأن الهجرة إلى إسرائيل والانتماء بجمعتها من صميم أعمال لجنة
العمل الصهيوني واقترح تكوين مجلس استشاري للجنة خاصة
بشؤون أمريكا اللاتينية على غرار مجلس المؤتمر اليهودي الأمريكي .

— عقدت مؤخرا الدورة الثالثة للمشرفين على منظمات الشباب اليهودي
وقد اشترك فيها قسم الشباب بمنظمة الجالية اليهودية واتحاد الشباب
اليهودي الأرجنتيني ومدارس التعليم الفني . وبلغ عدد المشتركين
في هذه الدورة ٨٠ ممثلا للمنظمات المختلفة للشباب وفي ختام الدورة
لقى المحقق الثقافي الإسرائيلي كلمة أشار فيها إلى أهمية القيم
اليهودية للشباب .

— انشأت الجالية اليهودية بالأرجنتين مكاتب للزواج بين اليهود كالحدي
المحاولات التي تقوم بها المنظمات الصهيونية لحاربة الزواج المختلط
والمحافظة على الكيان اليهودي وعندئذ الانتماء في المجتمعات
التي يعيشون بها ، وقد بذلت الصحافة الأرجنتينية اليهودية في نشر
الاعانات لهذه المكاتب بصفة مستمرة .

— في احد اجتماعات المجلس التنفيذي للوكالة اليهودية الدولية تم التوصل الى شبه اتفاق على انشاء فرعين للوكالة اليهودية الدولية ، احدهما بلوريا ويكون مقره جنيف او باريس والثاني بأمريكا اللاتينية ويكون مقره بيونس آيرس .

— اقامت الجمعية العبرية الأرجنتينية حفلة تذكارية للناسر اليهودي ماتويل جليزر الذي توفي اخيرا ، حضرها عدد كبير من الكتاب والادباء الأرجنتينيين الذين القوا كلمات بهذه المناسبة . واثابت حفلة أخرى تكريما لذكرى الكاتب اليهودي شوليم مالوخيم عرضت فيها مقتطفات من مسرحية « عالم شوليم مالوخيم » .

— اقامت منظمة مكلى العبرية الأرجنتينية الرياضية في ١٩٦٦/٧/٧ احتفالا بولكوريا لارجنتينيا اسراييليا بمناسبة الاحتفال بالذكرى المئة والخمسين لاعلان استقلال الأرجنتين . واحتفلت بهذه المناسبة ايضا أندية ووقد المنظمات الاسرائيلية الأرجنتينية وأهدت عشر مدارس ريفية للحكومة الأرجنتينية .

— وتقوم المنظمات التعاونية النقدية ، التي تنتمي الى الحزب الشيوعي والمنظمات الصهيونية ، بتهريب الاموال الى الخارج ، وخاصة الى اسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية . وقد امتلكت السلطات الأرجنتينية في بيونس آيرس وروساريو بعض المسؤولين عن معهد استثمار رؤوس اموال المنظمات التعاونية بتهمة تهريب الاموال . ولجا البعض الى استغلال وجود يهود بين المعتقلين بانهام السلطات القابعة بالنازية والاسلامية ويشن الحملات عليها في الداخل والخارج .
— يصدر فرع الأرجنتين لمعهد وايزمان مجلة باسم « العلوم في اسرائيل » .

المكسيك :

يوجد في المكسيك مجتمع يهودى قوى يتكون من يهود لوريا الشرقية واليهود الألمان الذين يحصلون على مساعدة من اليهود في الولايات المتحدة الأمريكية .

ويبلغ تعداد الجالية اليهودية بالمكسيك حوالى ٢٠ ألف يهودى كما يوجد بالمكسيك جمعية جبل سيناء وهى جمعية يهودية تتفرع منها عدة جمعيات ومؤسسات اجتماعية خيرية وثقافية .

ويمثل الجالية اليهودية بالمكسيك لجنة تسمى اللجنة الاسرائيلية المركزية ، وتعرف الحكومة بهذه اللجنة التى تتفرع منها لجان لمرعية هى لجنة الشباب ولجنة الثقافة ولجنة صندوق كسك الذى يختص بمنح الجوائز لأولئى الكتب المتعلقة بمواضيع يهودية .

ويتركز النشاط الصهيونى فى المكسيك حول دعوة الكثير من رجال الصحافة والاذاعة والتلفزيون فى المكسيك لزيارة اسرائيل بانتظام .

ويوجد تمثيل دبلوماسى بين اسرائيل والمكسيك وتبادل الوفود الاسرائيلية والمكسيكية الزيارات فقد قام ابا ايان بزيارة المكسيك فى شهر اكتوبر سنة ١٩٦٤ واشاد بتقديم المكسيك تكنولوجيا اذا فورنت بدول أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا .

وصرح المستشار التجارى الاسرائيلى فى المكسيك ان اسرائيل والمكسيك متقومان باحتياج مشترك فى مجال للصناعات الكهربائية وقطع غيار السيارات وقال ان هذا الانتاج المشترك يرجع الى التشابه الكبير فى البرامج الصناعية فى كلا البلدين .

ويتركز النشاط اليهودى فى أجهزة الاعلام فى المكسيك حول توطيد علاقات الصداقة واغداق المال والهدايا والدعوات لزيارة اسرائيل موجة الى الصحفيين وخاصة صحيفة اكلامسيور ومجلة التيبو ولتد اثرة ايضا الى الممثلين بمحطات الراديو والتلفزيون .

وبالإضافة إلى ذلك تصدر الجالية اليهودية في المكسيك عدة صحف أهمها صحيفة الطريق وصحيفة الصوت وجريدة لابرنسا اسرائيليتا .

شيلي :

يقع في شيلي حوالي ٧٥٠٠ يهودي المقيمي بالإضافة إلى عدد من يهود روسيا وبولندا . ورغم ذلك فإن نفوذهم محدود إذ يقيم فيها عدد كبير من الألمان الذين يجدون الإمبراطورية الألمانية وينظرون إلى اليهود على أنهم السبب في تدهور ألمانيا وكذلك يقيم بها عرب كثيرون ولذلك فإن اليهود في شيلي يواجهون العرب والألمان الذين يسبون لهم كثيرا من المقاصب .

وتتركز الدعاية الصهيونية في شيلي في النقاط الآتية :

١ - الوفود الاسرائيلية التي تصل إلى سانتياجو بنسبة كبيرة وكان آخرها زيارة وزير الزراعة الاسرائيلي لشيلي الذي قام بمشاهدة محطة التجارب الزراعية ، وكذلك محطة ميكور للقوى النيتروجينية وبعض المشاريع الاصلاحية ومشاريع الري .

٢ - الوفود الشيلية التي تدعى لزيارة اسرائيل .

٣ - العلاقات الثقافية ، إذ توجد بين البلدين اتفاقية ثقافية ، كما ان المنظمات الصهيونية تقوم بتدريس اللغة العبرية في عدد من مؤسساتها ونشر الكتب والمجلات التي تقوم بالدعاية لاسرائيل .

٤ - الدعاية السينمائية التي تستغلها اسرائيل عن طريقها الثلاث : الفيلم الدرامي القصير ، والفيلم التجاري ، والانباء المصورة .

٥ - الجاليات اليهودية التي تقوم بالدعاية لاسرائيل وجباية الأموال إليها في كل مناسبة .

٦ - الصحف والإذاعات التي تستغلها اسرائيل عن طريق البرامج الإذاعية التي تنظمها أو عن طريق استغلال الصحفيين والإذاعيين وكثيرا ما تدعو اسرائيل الصحفيين لزيارتها كما تقدم .

بسمو :

ببرو دولة غنية مسألة خاضعة لتفوذ الولايات المتحدة . يوجد بها مجتمع يهودى قوى يتكلف من يهود اوربا الشرقية لديهم مركة عسكرية صهيونية مدربة تدريباً كاملاً .

فنزويلا :

أنشأت المنظمة الصهيونية العالمية فرعاً لها في فنزويلا يسمى الاتحاد الصهيونى الفنزويلي ويقوم هذا الاتحاد ببذل جهود مستمرة لنشر الأخبار الخاصة بإسرائيل في الصحف الفنزويلية ويصدر مجلة باللغتين العبرية والأسبانية ، كما يهتم بدعوة الزعماء السياسيين لزيارة إسرائيل . ويسهل مهمة الاتحاد الصهيونى بما تتمتع به الجالية اليهودية من نفوذ داخل الصحافة وسائر أجهزة الاعلام نتيجة لسيطرتها على المؤسسات الاقتصادية التى تتحكم في الإعلانات التى تنشر في هذه الأجهزة .

أورجواى :

تعتبر جمهورية أورجواى من أوائل الدول التى اعترفت بإسرائيل عند قيامها . ويبلغ تعداد الجالية اليهودية في أورجواى نحو ٨٠ ألف شخص يسيطرون على معظم المؤسسات الاقتصادية والمالية . وتعتبر الجالية اليهودية هناك محور الدعاية الانتخابية حيث تتنافس الأحزاب السياسية في الحصول على تأييدها ومن الأمثلة التى نل على تظفل الصهيونية في أورجواى قيام الحكومة هناك بإصدار طابع تفكرى بمناسبة زيارة الرئيس الاسرائيلى للبلاد .

وتحدثت المذكورة من أهمية هذه الزيارة وزيارة لشكول لأمريسيا بالنسبة لإسرائيل .

المسح الساتل

مذكورة

عن النشاط الصهيوني في آسيا

نقلت عن ادارة الامم بالامانة العامة

لجامعة الدول العربية

النشاط الصهيوني في آسيا

أدركت الصهيونية منذ وقت بعيد أهمية القيام بنشاط دعائي واسع النطاق في القارة الآسيوية باعتبارها أكبر تارات العالم مسلحة وعددا ، وعلى الأخص لامكانية جذب المهجرين اليهود منها الى فلسطين نظرا لان مستواهم المعاشي اقل منه في أوربا وأمريكا ، فهم لذلك اقل تمسكا بالبقاء في بلادهم الأصلية .

ومنذ قيام اسرائيل سنة ١٩٤٨ ظلت هذه الأجهزة تواصل نشاطها في هذه المناطق بغية جذب أكبر عدد ممكن من لبنائها الى اسرائيل عن طريق مراكز الوكالة اليهودية المنتشرة في بلاد آسيوية كثيرة .

ونبينا يلي بعض الأمثلة المهمة لهذا النشاط الصهيوني التي وردت في تقارير مكاتب الجليعة في الخارج في الفترة الماضية :

الهند :

من المعروف أن الهند تقف موقفا وديا للغاية من الدول العربية في قضية فلسطين . وتجلى ذلك بوضوح في الموقف الذي اتخذته الحكومة أخيرا من رئيس اسرائيل عند مروره بالهند في طريقه الى نيپال . ومع ذلك فإن الدعاية الصهيونية تنتهز كل فرصة لبث دعاتها ، من ذلك ما يلي :

بعض المثالات التي تظهر في الصحف من حين لآخر ، كالمثال الذي نشرته الـ « تايمز أوف انديا » في فبراير ١٩٦٥ الذي تناول بفتحليل القضية الفلسطينية عالية ، وقد انتهى كاتب المقال الى أن سياسة الهند الحالية هي خير سياسة في هذا الصدد . الا أنه يصد ذلك بأسبوع واحد ظهر في نفس الجريدة مقال دعائي لاسرائيل بدأ بعرض الطريقة التي حلت بها اسرائيل مشكلة التغذية تغطية لمقصده السيلسية . وتنتشر الجريدة من حين لآخر أخبارا عن نشاط اسرائيل في المجالات المختلفة .

ومن جهة أخرى فقد ذكرت صحيفة « جروسالميم بوست » الاسرائيلية

أن عددا من كبار الشخصيات الهندية يرون أن هذا الموقف اتخذ استنسا
بناء على تقدير خاطيء من رئيس الوزراء السابق نهرو .

ما زالت بعض الصحف الهندية تحاول الضغط على الحكومة الهندية
من أجل الاعتراف بإسرائيل وتبادل التمثيل الدبلوماسي معها . فقد كتبت
صحيفة « سنداى ستاندارد » التى تصدر فى بومباى مقالا اشارت فيه
الى أن بغض أعضاء حزب المؤتمر الهندى يقومون بحملة شديدة لاحتواء
هذه القضية .

نقلت الصحيفة عن مؤيدى هذه السياسة قولهم ان الهند عندما تقيم
علاقات أفضل مع إسرائيل لن تكون قد آثرت اليهود على العرب .

ويقول هؤلاء ان حياد الهند سيكون له معنى أعمق اذا تعرفوا على
وجهة نظر إسرائيل لأنهم فى الوقت الحاضر يعرفون وجهة نظر الجانب
العربى من القضية فقط .

كما يعتقد هؤلاء ان سياسة الهند يساء فهمها فى الخارج فبينما تتظاهر
الهند بالحياد بين العرب والإسرائيليين فثمة فى الواقع ليست كذلك .

وادعت الصحيفة ان الغرب يخطبون ود نبيل التى تربطها علاقات
طيبة جدا مع إسرائيل وحاولت التذليل بذلك على ان العرب سوف يزداد
احترامهم للهند فى حالة قيام علاقات دبلوماسية بينها وبين إسرائيل .

وربطت الصحيفة بين ذلك وما أسسته بازدياد ضيق الغرب بسياسة
الهند مشيرة الى ما سبق أن نشرته صحيفة « الأهرام » بمسألة من امكان
استمرار الهند فى سياسة عدم الانحياز نظرا للمساعدات الاقتصادية الأمريكية
للصّخبة التى تلّجها الهند .

وفى نفس الوقت فقد اشارت إحدى الصحف الهندية الى انه بينما
تجاهل الهند العرب فى تصنيفهم مع إسرائيل فان العرب يتخذون موقفا محليدا
من الصين وباكستان فى نزاعهما مع الهند .

وقد أكتفت الهند مؤتمرها من إسرائيل وصداقتها للدول العربية
بل وفشت عومها إسرائيليا بتزويدها بالأسلحة وذلك لاستيفائها سياسية .

وقد أعلن سوبرا ماينام وزير الأغذية والزراعة الهندى أمام البرلمان ان العرض الاسرائيلى كان تلقها وانه كان على الحكومة الهندية ان تفسح في اعتبارها ردود الفعل الأخرى وكان في تقدير الحكومة الهندية انه لا حاجة بها الى قبوله وقد سئل سوبرا ماينام في البرلمان عما اذا كانت اسرائيل قد عرضت على الهند مساعدات واسعة النطاق في برنامجها الزراعى ، فاجاب بأنه لا يذكر ان اسرائيل تقدمت بأى عرض على أى نطاق واسع بمساعدة الهند في سد احتياجاتها الطارئة من المواد الغذائية .

كذلك تباشر الوكالة اليهودية نشاطا واسعا وفيما يلى بعض امثلة له :

١ — اتيت في وادى كشمير بالهند حلقة دراسية نظمها قسم تعليم التوراة بالوكالة اليهودية في بومباى وذلك في معسكر اطلق عليه « مخيم السلام » حضره بعض الفتىان والفتيات واشتغلت الحلقة على دراسات ومناقشات عن تاريخ اليهود وخلقيتهم وكذلك نشاط الوكالات اليهودية في داخل وخارج اسرائيل وتاريخ اليهود العريق في الهند . وقد حضر هذه الحلقة كضيف شرف مستر هـ. سينويز نائب رئيس المنظمة الصهيونية في بومباى الذى قابل السيدة انديرا غاندى رئيسة وزراء الهند واعررب لها عن اطياب لمتنيات اليهود في الهند .

٢ — من المعروف ان المبتسر هـ. سينويز من أخطر عملاء اسرائيل في الهند نظرا لعلاقاته بمصدر كبير من الشخصيات الهندية والاسرائيلية في بومباى والتي تساعد في تقديم التسهيلات والمساعدات للمنظمة الصهيونية في بومباى .

اجريت في بومباى انتخابات اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية في بومباى من عام ١٩٦٧/٦٦ . وقد أسفرت الانتخابات عن فوز مستر هـ. سينويز بنبابة الرئيس .

ويلاحظ ان هذه ليست المرة الأولى التي ينتخب فيها مستر هـ. سينويز نائبا لرئيس اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية نظرا لنشاطه ومجهوداته التي يبذلها في سبيل الدعاية لإسرائيل والصهيونية في الهند .

٣ — للمنظمة الصهيونية في بومباي نشاط ملحوظ في الدعاية لاسرائيل في منطقة جنوب الهند . وتتلقى معونات مستمرة من حكومة اسرائيل . وكذلك من قنصل اسرائيل في بومباي — سواء كلفت هذه المعونات مادية او ادبية . ولذلك فان انتخاباتها السنوية لها اثر كبير في تغيير او استقرار شكل او برنامج الدعاية لاسرائيل .

تقوم المنظمة الصهيونية في بومباي بالدعاية لاسرائيل سواء بعرض اعلام دعائية عنها او دموة كبار الشخصيات الهندية او الاجنبية لالغاء المحاضرات عن اسرائيل والدعاية لها . كذلك تقوم بنشر مقالات في مختلف الصحف الهندية للدعاية لاسرائيل وتقوم المنظمة باصدار نشرة شهرية « اندو — اسرائيل ريفيو » تعرض فيها نشاط المنظمة والدعاية لاسرائيل .

٤ — جاء في عدد يونية من نشرة « اندو — اسرائيل ريفيو » ان وفدا هنديا يمثل الوكالة اليهودية في بومباي سوف يحضر المؤتمر اليهودي العالمي الذي سيقام في بروكسل في المدة من ٣١ يولية الى ١٠ افسطس عام ١٩٦٦ (١) ويتكون الوفد من اربعة اعضاء من بينهم المستر ه. سينوير نائب رئيس المنظمة الصهيونية في بومباي الذي قابل مسز انديرا غاندي وتحدث معها عن المؤتمر اليهودي العالمي وعن المشاكل التي يتعرض لها اليهود في الهند .

٥ — جاء في عدد نشرة « اخبرسار من اسرائيل » الصادر في ١٥ يونية سنة ١٩٦٦ ان مايسترو هندي يدعى زوبين مهتا — وهو من المشهور الموسيقيين الهنود — قام بقيادة الاوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلي . وذلك في عدة حفلات موسيقية اقيمت ضمن جولة المايسترو الهندي في داخل اسرائيل في كل من القدس وتل ابيب وحيفا ولقد احرزت هذه الحفلات نجاحا كبيرا واشاد عدد من الصحف الاسرائيلية بمهارة المايسترو الهندي .

وزوبين مهتا من مواليد بومباي التي توجد بها جالية يهودية كبيرة علاوة على التطفل الصهيوني المحوط في بومباي والذي ينتشر منها الى منطقة جنوب الهند

هذا وكانت الأوركسترا الفيلهارمونيك الاسرائيلية قد قامت بعدة جولات في مختلف انحاء العالم ، عزنت فيها الكثير من الاعمال الموسيقية الكلاسيكية وعلى سبيل المثال قامت الفرقة في عام ١٩٦٠ بجولة لمختلف بلاد الشام ومنها فرنسا والولايات المتحدة وكندا والمكسيك واليابان والهند وقد اقامت حفلا موسيقيا في بومباي خلال هذه الجولة في ديسمبر عام ١٩٦٠ .

٦- في آخر مارس ١٩٦٥ زار رئيس قسم آسيا في وزارة الخارجية الاسرائيلية الهند وقام بالاتصال برجال الخارجية الهندية الا ان طلبه مقابلة رئيس الوزراء ووزير الخارجية قد رفض . وقد غرض اثناء وجوده هناك علي وزير السليحة الهندي مشروع تنظيم زيارة ١٠٠٠٠ سائح اسرائيلي للهند ستويا . وقد صاحب هذه الزيارة الاتصال بعدد من المنظمات التي تؤيد اسرائيل ومن بينها حزب جنر سانج اليميني الذي تداب صحيفته علي نشر المقالات المؤيدة لاسرائيل .

بورما :

في سنة ١٩٦١ وردت من مكتب الجامعة في نيودلهي معلومات تدعي ان اسرائيل جعلت من بورما منطلقا لمخططاتها السياسية والتجارية في المنطقة ، حيث تم - في المجال العسكري - تدريب بعض الضباط البورميين في اسرائيل ومن جهة أخرى اوفدت اسرائيل عددا من العسكريين الي بورما .

وقد اورد مكتب نيودلهي بعض البيانات الهامة فيما يتعلق بالتكوين السياسي في بورما في سنة ١٩٦١ ومدى ارتباط المنظمات الاسرائيلية ، مع ما يستتبع ذلك من بيان امكانيات نجاح دعايتها هناك . فاقسمار

الى انقسام الحزب الحاكم في ذلك الوقت الى فئتين رئيسيتين الاولى التي يتزعمها رئيس الوزراء الاسبق لونو ، وذكر انها مرتبطة — مصلحيا — مع اسرائيل حيث كانت تتعاون مع اسرائيل على نطاق واسع وفي كل المجالات ، والثانية وهي التي تنتمي الى المنظمة الاسيوية الاشتراكية التي ينتمي اليها حزب الملباي الاسرائيلي وهي ترتبط — عقليا — مع اسرائيل . وقد اقترح المكتب في ذلك الوقت السعى من خلال مؤتمر عدم الانحياز لابراز خطورة هذه الحقائق لرئيس وزراء بورما المشترك في المؤتمر ، وأن يسمح بفتح مكتب فرعى له في رانجون للحد من النشاط الاسرائيلي . وقام مكتب نيونلهي بالاتصال ببعض الشخصيات في ذلك الوقت لايضاح وجهات النظر العربية .

ومن المعروف أن الأوضاع السياسية قد تطورت في بورما الى حد كبير منذ قيام مكتب حلبي بهذه الدراسة المبدئية التي لم تعقبها خطوات تنفيذية ملموسة ، مما يقتضى اعادة الدراسة على ضوء الظروف الحاضرة وتحديد الوسائل التي يبدأ بها العمل الاعلامي العربي هناك ، على ضوء النشاط المتزايد الذي تبذله اسرائيل في المجالات المخفية ومنها المجال الاقتصادي وهو الاشتراك في ادارة البنوك والوظائف الخفية ، والقيام بالتجارب في منطقة نام سلتج بولاية شسان لتنفيذ برنامج الاستيطان (التوطين) الذي يضطلع به الجيش ، وكذلك في ميدان اصلاح الزراعي واستئزاع مناطق الغابات . ولهذه الغاية ذهب حوالى مائة من جنود جيش بورما السابقين مع عائلاتهم الى اسرائيل للتدريب في التعاونيات الاسرائيلية وعادوا بعد عام للقامة في نام سلتج واستمعوا بالخبراء الاسرائيليين لادخال انواع جديدة من الزراعات .

كما ان اعمال الفتلانق ايضا موضع تعاون بين اسرائيل وبورما .
(م ٦٦ ب الاعلام والدمعالية)

اليابان :

وردت في عام ١٩٦٥ بعض المعلومات عن التفلسف الاسرائيلي في اليابان . فقد أخذت محطات الاذاعة والتلفزيون تقدم المزيد من برامج الدعاية الاسرائيلية المعدة في الولايات المتحدة . كذلك تقوم جمعية الصداقة اليابانية الاسرائيلية بنشاط واسع اكثره خفى . والظاهر من هذا النشاط يتصل بالنواحي الثقافية والفنية . فقد نظمت سلسلة من الحفلات الثقافية برعاية السفارة الاسرائيلية تضمنت تبادل الكلمات بين السفير الاسرائيلي ورئيس هذه الجمعية ومحاضرة علمية ومعارفات موسيقية لبعض المؤلفين الاسرائيليين اعلن فيها عن مسابقة دولية للمزف على (الهارب) تقام في اسرائيل سنويا وتشترك فيها اليابان . كما يعمل في اليابان عدد من الموسيقيين الاسرائيليين الذين يقول الصحف عنهم انهم اثنشوا لبلادهم سمعة كبيرة في اليابان . كذلك فان المسرح الياباني قد قدم تمثيلية اسرائيلية بعد ترجمتها الى اللغة اليابانية تسمى (كرامبولي) ، كما أن المنظمات الاسرائيلية قد دعت احد كبار المخرجين اليابانيين لزيارة اسرائيل في طريق عودته من مهرجان (كان) للسينما بفرنسا تمهيدا لاجراء فيلم من اسرائيل . كذلك من المظاهر الهامة للنشاط الاسرائيلي ازدياد عدد السياح اليابانيين الى اسرائيل والتسهيلات الفخمة التي تمنح لهم كالفوج جامعية أو في زيارات فردية وخاصة للشباب ، وتؤدي هذه الزيارات الى سلسلة من المقالات الدعائية لاسرائيل . كذلك تقوم السفارة الاسرائيلية بالدعاية على نطاق واسع لمنتجات بلادها الصناعية والزراعية ، فقد اقيم معرض للبرقتال على ظهر سفينة نقل سويدية وصاحبه مظاهر اعلامية واسعة من السلع ومصحريها ومستورديها . . كما ان الصحافة اليابانية تحفل بالمقالات التي تنثى على اسرائيل في النواحي المختلفة سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية .

فيتنام الجنوبية :

. اشارت اذاعة براغ الى زيادة نشاط سفير فيتنام الجنوبية في واشنطن في الايام الاخيرة والى ما اعلنه السفير مؤخرا من الاتفاق بين اسرائيل وفيتنام الجنوبية على تبادل العلاقات الدبلوماسية بينهما متفلسيا ما صرح به منذ شهرين بن ان بلاده لن تقيم علاقات مع اسرائيل . وفكرت الاذاعة ان هيوبرت همفري نائب الرئيس الأمريكى جونسون نصح المسؤولين في فيتنام الجنوبية لثناء جولته في جنوب شرقي آسيا في اوائل هذا العام بطلب المساعدة العسكرية من تل ابيب .

كيبوديا :

حصلت احدى المؤسسات الهندسية في اسرائيل على عطاء لاقباله مصنع للبشريات الغازية في كيبوديا . وسوف تقوم المؤسسة الاسرائيلية باقباله المصنع وتقديم الآلات التى تصنع فى المصانع الاسرائيلية .

الفلبين :

اشتركت اسرائيل فى دورة الشبلب الآسيوية الثامنة لكرة القدم التى اقيمت فى مانيلا عاصمة الفلبين فى بداية شهر مايو ١٩٦٦ وقد اشترك فى هذه الدورة عدد من الدول الآسيوية منها ماليزيا وبيورما وسيلان والبلان والصين الشعبية والهند وسنغافورة والفلبين وتايلاند وهونج كونج . ومما يذكر ان هذه ليست المرة الاولى التى تقوم فيها اسرائيل برسل فرقها الرياضية الى مختلف الدول الآسيوية .

كوريا الجنوبية :

نشرت بعض الصحف اخيرا بعض اوجه النشاط الاسرائيلى فى كوريا الجنوبية منها زيارة قام بها رئيس هيئة اركان الجيش الاسرائيلى لكوريا الجنوبية مؤخرا وانشاء جمعية للصداقة الكورية الاسرائيلية .

وتعمد العلاقات الدبلوماسية على مستوى السفارات بين كوريا الجنوبية واسرائيل الى يناير ١٩٦٢ وقد أرسلت عدة بعثات رسمية الى اسرائيل في مهام مختلفة .

وفي سنة ١٩٦١ زارت اسرائيل بعثة صداقة كورية وأدلى رئيسها الذى كان فيها بعد سفرها في بريطانيا بتصريحات كثيرة مؤيدة لاسرائيل .

وفي مارس ومايو سنة ١٩٦٥ قامت بعثتان اقتصاديتان على المستوى الوزارى بزيارة اسرائيل — وفي أغسطس سنة ١٩٦٤ زارتها بعثة عسكرية امتدحت بعد عودتها النظم الاسرائيلية وأشارت بالاستفادة منها . وذكرت البعثة ان الجيش الاسرائيلى بفضل روحه المعنوية وقدرته على المناورات يعد اقوى من الجيوش العربية ويستطيع مواجهتها .

وقد تم تأسيس جمعية الصداقة المصار اليها ، وفي مارس سنة ١٩٦٦ تمت زيارة رئيس اركان حرب الجيش الاسرائيلى واجرى محادثات سرية قيل انها تتعلق بالتعاون المسمى ضد البلاد المستقلة الامرؤ آسيوية .

وعندما زودت ألمانيا الغربية اسرائيل بالسلاح في العام الماضى الصقت على الجناديق بطاقت تحمل اسم كوريا الجنوبية . وهذه الواقعة تعكس العلاقات الوثيقة بين اسرائيل وكوريا الجنوبية .

نيبال :

وقد وردت الى الادارة أيضا من مكتب نيودلهى بعض البيانات الخاصة بالنشاط الاسرائيلى في نيبال . وقد زار مدير هذا المكتب نيبال في العام الماضى وقام ببعض الاتصالات بغية الحد من هذا النشاط . وتتلخص أوجه النشاط الاسرائيلى هناك فيما يلى :

١ — نشاط السفارة الاسرائيلية، وهو وان كان محدودا نسبيا الا أنه ملحوظ نظرا لضالة عدد السفارات هناك وخصوصا لعدم وجود أية بعثة تمثيلية عربية دائمة في كاتماندو العاصمة .

٢ - تتركز الدعاية الاسرائيلية هناك على الاتجازات الصناعية والفنية والتعاونية لاسرائيل، وكيف ان هذه تصبح ممكنة في بلد صغير لو اتيح لها نفس الاساليب الاسرائيلية .

٣ - شركة المقاولات النيبالية والتي تشترك فيها شركة " Sotef Boneh " الاسرائيلية بنسبة ٤٩٪ وتقوم بتنفيذ عدد من المشروعات الحيوية والهامة .. وكنت هذه الشركة تهدف الى احتكار اعمال المقاولات . ان هذا الاتجاه لقي معارضة شديدة ولم يقدر له النجاح ولذلك عقدت هذه الشركة كثيرا من اهميتها حيث لم تحصل على مبيعات كبرى في الفترة الاخيرة . وكذلك فلم جلبها من المساعدات الامريكية ليحول بعم من طريق هذه الشركة . ولذلك يتسائل الكثيرون من مدى الحاجة الى وجود هذه الشركة في الوقت الحالي اذ الافضل للتعامل المباشر مع الولايات المتحدة .

٤ - تعمل اسرائيل على جلب عدد من النيباليين للتدريب لديها في المزارع وفي المعهد الاسيوي الامريكي للتعليم الفني والتكني . ويلقى هذا الامر تأييدا من حكومة نيبال على اساس افتعلاها الى المساعدات من أية جهة كانت .

وقد اقترح مكتب الجامعة في دلهي لمواجهة النشاط الاسرائيلي هناك
الانتراجات التالية :

استكمال التمثيل السياسي العربي في نيبال ، اقامة مكتب فرعي للجامعة هناك يشرف عليه موظف مقيم ، خصوصا وقد أبدت الحكومة استعدادها للاعتراف به . توجيه الدعوة لبعض الشخصيات النيبالية لزيارة بعض الدول العربية . امكانية انشاء شركة مقاولات عربية مشتركة .

انشاء جمعية صداقة عربية نيبالية على ان يؤجل ذلك لحين وجود تمثيل
عربي مقيم يستطيع ان يرمى هذه الجمعية .
وقد عرضت هذه الاقتراحات على اللجنة الدائمة للاعلام واوصت
بدراستها .

ايسران :

من المعروف ان اسرائيل تبذل نشاطا متزايدا في ايران وعلى الاخص
منذ اعتراف ايران بها وتبادلها التمثيل الدبلوماسي .

وقد قام السفراء العرب في المنام الماضي باستيضاح ما اذا كانت
الحكومة الايرانية تبيع البترول الايراني الى اسرائيل فكلن الرد عليهم
ان البترول يباع لجامعة الشركات " Consortuins " المتعاقدة مع الحكومة
ولا وقاية للحكومة على تصرف هذه الشركات في البترول بعد استلامها اياه .
اما الحصة المخصصة لايران ذاتها فهي لا يمكن بيع اى جزء منها لاسرائيل .
ومن الواضح ان تطفل الدعاية الصهيونية الى ايران بهذه الصورة
يشكل خطرا من نوع خاص نظرا لان ايران بلد اسلامي ويرتبط مع العالم
العربي بعلاقات تاريخية قديمة وكلن من الطبيعي ان يساعد العرب ضد
اسرائيل .

تركيا :

تعتبر تركيا الدولة الاسلامية الاسيوية الوحيدة الى جانب ايران
التي استطاعت اسرائيل ان تتطفل داخلها في جميع المجالات السياسية
والاقتصادية والعسكرية والثقافية والرياضية والطبية والفنية . وهناك كثير
من العوامل المشتركة بين تركيا وايران التي مكنت لاسرائيل من هذا التطفل .
وقد ساعد على ذلك وجود جالية يهودية كبيرة في تركيا يبلغ عددها
١٩٠ ألفا اكثرهم من الاغنياء .

وهناك عوامل كثيرة ساعدت على توثيق العلاقات بين البلدين منها :
اعتبار تركيا واسرائيل جزءا من المعسكر الغربى وكراس جسر لتدعيم
نفوذ هذا المعسكر فى الشرق الاوسط ، ولارتباط اسرائيل وتركيا بالسياسة
الغربية ، ووجود الجالية اليهودية فى تركيا ، ووجود مكتب للوكالة اليهودية
فى ازمير واستنبول ، وغير ذلك .

ثم تحدثت المذكرة عن العلاقات السياسية بين البلدين : وكيف اعترفت
تركيا باسرائيل ومدى التعاون بينهما ، ومرور رئيس الدولة الاسرائيلية بطار
استنبول عام ١٩٦٦ واستقباله فى المطار كما تحدثت المذكرة بعد ذلك
من العلاقات الاقتصادية بين البلدين وعقد الاتفاق التجارى بينهما
عام ١٩٥٠ والذى جدد عام ١٩٦٠ واسماء الشركات التركية التى تتعامل
مع اسرائيل . وبعد ذلك تحدثت من المجال الدعالى والسلى ونكرت
(ان اجهزة الدملية فى تركيا خاضعة لتحكم راس المال اليهودى) ولوردت
امثلة على ذلك ثم تناولت العلاقات الثقافية والعلمية والفنية والتخطيط
وتبادل الزيارات بين تركيا واسرائيل .

ومما قالته : بالرغم من عدم وجود معاهدة ثقافية بين تركيا واسرائيل
الا ان هناك علاقات ثقافية بين البلدين تقوم ضمن نطاق معين من طريق
تبادل طلبة المعاهد فى كل منهما . وتعمل اسرائيل على تشجيع الاتراك
للقيام بتجاريم فى معاملها ومؤسساتها فقد حدث فى عامى ٥٧ — ١٩٥٨
ان ذهب بعض الطلبة الاتراك من كلية الهندسة الى اسرائيل واموا
دراسهم فيها وكانت مصاريف اقامتهم على حساب المصل الذى عملوا فيه
بالاضافة الى ان كلا منهم كان يتقاضى شهريا مائة وخمسين ليرة اسرائيلية .

هذا ويبدو ان تركيا بدأت اخرا تولى صداقتها للدول العربية اهتماما
خالصا . فقد زاد تبادل زيارات الوفود التجارية بينها وبين الدول العربية

كان آخرها الوفد الذي زار الأردن للاتفاق على استيراد بضائع أردنية وكثت تصريحات الوفد ودية للغاية .

ومن التلخية السياسية فمن المهم الإشارة الى الزيارة التي قام بها لتركيا أخيرا رئيس وزراء العراق السابق الدكتور البزاز ولا شك أنها تعتبر تقريبا واضحا مع العراق ومع دول الجامعة العربية .

ومن جهة أخرى فقد أبلغت وزارة خارجية الجمهورية العربية المتحدة الأمانة العامة مؤخرا ان السفير التركي قد أبلغ الوزارة بموافقة حكومته من جهة المبدأ على إنشاء مكتب للجامعة العربية في تركيا يتمتع أعضاؤه بالازايا الدبلوماسية .

هذا وقد سبق أن قام السفراء العرب في آنقرة بالخطوات التمهيدية اللازمة لإنشاء جمعية الصداقة التركية - العربية . كما أن الأمانة العامة دعمت هذه الجهودات بتحويل بعض المبالغ الى مفيد السلك السياسي العربي هناك للاتفاق منها على تأسيس هذه الجمعية .

هذا ويهمنان نشير الى الجهودات التي يبذلها بعض أعضاء السفارات العربية هناك في الدعاية للفضائل العربية وإلى المعلومات التي يتفشلون بموافقتنا بها لهذا الغرض .

* * *

استعرضنا فيما تقدم بعض مظاهر النشاط الصهيوني في دول آسيا . ولا جدال في أن العمل العربي المشترك ينبغي أن يقوم على أساس دراسة شاملة لاحتياجات القسرة الكبرى بعد تقسيمها الى مناطق وأن تأخذ هذه الدراسة في اعتبارها تبليغ ظروف كل منطقة ومكوناتها الاجتماعية والدينية والسياسية والثقافية .

ومن بين تلك الظروف التي ينبغي مراعاتها في التخطيط الاعلامي ما يلي :

١ — ان العمل الاعلامي العربي يجب ان يخطط له على اساس دراسة عميقة لظروف كل منطقة لان التكوين الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والديني يختلف من مكان الى آخر . ومن الواضح ان الدعاية في البلاد ذات نظم الحزب الواحد تعتمد على اساليب تختلف عن تلك التي تتم في البلاد ذات الاحزاب المتعددة . ففي الاولى تعتمد الدعاية اسفاسا على التقاطع مع قيادة الحزب او الحكومة ، وفي النظم الاخرى تكون الاساليب التقليدية كالنشرات والافلام والمعارض اكثر فاعلية ويكون لاقتناع الرأي العام في هذه الحالة اثر اقوى في توليد القضية كذلك الحال بالنسبة للتكوين القبلي والديني وما الى ذلك .

٢ — ان الدعاية العربية يجب ان تعتمد على عمل منتظم ومستمر في المجالات الثقافية والاقتصادية يكون لقل حساسية وتأثرا بالظروف السياسية السريعة التغير مما هو عليه في الوقت الحاضر، ويمكن للدعاية العربية ان تكون اكثر نشاطا وتركيزا في المناسبات التي تستلزم ذلك ولكن لا يمكن ان تظل منطقة ما من الوجود العربي ثم يوجد فجأة في مناسبة ما ثم ينقطع بعد ذلك وهكذا . وهذا العمل المنتظم يمكن ان يكسب انصارا تلقائيين للقضية العربية في الاجل الطويل .

٣ — من الواضح ان هذا العمل المنتظم سواء في المجالات الثقافية او الاقتصادية ، يجب ان تضطلع به جهات الاختصاص في الدول الاعضاء ، مثلشاء شركة تجارية او معهد ثقافي او مركز لتدريس اللغة العربية او غير ذلك يجب ان يوفر له اخصائيو يمكن ان توفرهم الاجهزة المماثلة في الدول الاعضاء .

٤ — يجب التزم الدقة في اختيار الأشخاص المعلمين بهذه الأعمال وأن يكون ذلك بناء على معيار موضوعية تراعى عند وضعها كافة الشروط التي تؤهل هؤلاء الأشخاص للتعليم بواجباتهم في مجال تخصصهم بكفاءة الى جانب ما يكون لازماً في رجل الاعلام زيادة في الفائدة باعتبار ان كفاءة العمل في ذاتها تحقق فائدة اعلامية هامة .

٥ — ستوضح الدراسة التمهيدية اللازمة التي اشرفنا اليها بعض المشاكل التي ينبغي عدم تعرض الدعاية العربية لها لحساسيتها وارتباطها بهناهم لا تلائم احياسنا البلدان التي تتم الدعاية فيها ويتعلق ذلك اغلب الامر بالشؤون الدينية والاجتماعية احياناً وببعض المسائل السياسية .

(انتهت المذكرات)

(ويعهد)

معلى هذا النحو نشطت ادارة الاعلام بالامانة العلمية بجامعة الدول العربية فى القيام بوصف الدعاية الصهيونية فى كل من امريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا . وربما كان المجهود الذى بذلته اسرائيل فى داخل القارة الأفريقية أهم وأخطر من المجهود الذى بذلته فى القارات الأخرى .

وقد كان يودنا أن نعرض على الباحثين جميع المؤتمرات التى قامت بها والمجهودات التى بذلتها ادارة الاعلام بالجامعة العربية . ولكننا خشنا الاطالة فلنكتفى بهذا القدر فقط على سبيل المثال لا الحصر .

وفى وسع البحث الذى يعنيه موضوع الدعاية الصهيونية والطرق التى لابد أن يسلكها العرب فى مكافحة هذه الدعاية أن يرجع الى جامعة الدول العربية . وبها من الوثائق ما ينير الطريق الى هذه اللغاية .

وحسبنا فى هذا البحث الذى نقدمه الى القراء أننا إبرأنا به ذمة العالم العربى بإزاء الدعاية الصهيونية . وأننا لم نأل جهدا فى دعوة العرب الى مزيد من مكافحة هذه الدعاية الصهيونية وأن كنا نعلم فى الوقت نفسه علم اليقين أن أمم الدول العربية لشواطأ بعيدة المدى فى هذا السبيل .

المراجع العربية

— أ —

ابراهيم امام :

- العلاقات العامة والاعلام : (القاهرة سنة ١٩٥٨) .
- العلاقات العامة والمجتمع : (القاهرة سنة ١٩٥٧) .

احمد سويلم الفتوى :

الرأى العام والدعاية .

ادارة الاعلام بالامانة العامة لجامعة الدول العربية .

ادوارد سيدهم :

- مشكلة اللاجئين العرب : (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

— ب —

توماس بيرى :

المحافة اليوم (ترجمة مروان الجابري) .

— ج —

جعفر الخليلي :

مقدمة كتاب (الامام على بن ابراهيم ومقراس) تأليف الأستاذ سليمان كنانى .

جمال الدين الحلوى :

- هذه هى صحافتنا بين الامس واليوم (القاهرة سنة ١٩٥٧) .
- المندوب الصحفى (القاهرة سنة ١٩٦٣) .
- من الخبر الى الموضوع الصحفى (القاهرة - دار المعارف) .

بول هونبرج :

• الصحفى الحديث (ترجمة نؤاذ مويستلى) .

— ٢٥٤ —

— ح —

حليم محيسود :

الدعاية الصهيونية / وسائلها واساليبها وطرق مكافحتها .

حسن الحسنى :

الاعلام والدولة (بيروت) .

حسنين عبد القادر :

الراى العام والدعاية وحرية الصحافة (القاهرة سنة ١٩٥٧) .

حسين فوزى التيجار :

ارض الميعاد (القاهرة سنة ١٩٥٩) .

— خ —

خليل صابيت :

الصحافة رسالة . استعداد . فن . علم (القاهرة سنة ١٩٥٩) .

— س —

س سلامة موسى :

الصحافة حرية ورسالة (القاهرة سنة ١٩٥٨) .

— ش —

شحاتة سماعيل :

التلفزيون والمجتمع (١٩٦١ — ١٩٦٢)

— ع —

عباس احمد - رمضان خليفة :

دور التلفزيون فى المجتمعات النامية .

عبد اللطيف حمزة :

- أزمة الضمير الصحفى (١٩٦٠ - دار الفكر العربى) .
- المخئل فى فن التحرير الصحفى (الطبعة الثالثة ١٩٦٥ - دار الفكر العربى) .
- مستقبل الصحافة (دار الفكر العربى) .
- الاعلام له تاريخه ومذاقه (١٩٦٥ - دار الفكر العربى) .
- الصحافة والمجتمع (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

عبد الله البستاقى :

- حرية الصحافة (القاهرة سنة ١٩٥٠) .

على محمد على :

- اسرائيل والشرق الاوسط (القاهرة سنة ١٩٦٣) .

— ف —

فائق صائغ :

- الدبلوماسية الصهيونية .

فؤاد ديب :

- الراى العام وطرق قيلسه .

— م —

مختار القهلى :

- الصحافة والسلام العالمى (نشر المجلس الاعلى لرعالية الاداب - القاهرة) .
- الاعلام والتحول الاشتراكى (١٩٦٦ - القاهرة) .
- الراى العام والحرب النفسية (١٩٦٧ - القاهرة) .

محمد اسماعيل محمد :

الإذاعة .

المسموعى :

مروج الذهب .

معهد الصحافة الدولى بمدينة زيوريخ :

أخبار الشرق الأوسط فى الصحافة العالمية ترجمة : عبد اللطيف حبرة
ووليم الميرى .

محمد عبد المعز نصر :

الصهيونية فى المجال الدولى (القاهرة سنة ١٩٥٦) .

محمد عوض محمد :

الاستعمار والمذاهب الاستعمارية (القاهرة سنة ١٩٥٦) .

محمد كمال الدين عبد الحميد :

الشرق الأوسط فى الميزان الاستراتيجى (القاهرة سنة ١٩٥٩) .

المراجع الأوروبية

- The foreign press. (Merrell, Bryan and Olsky).
- The nature of the non Western world. (Vera M. Dean).
- One day in the World's Press. (W. Schram).
- World communication - (Press, Radio, Film, Television) UNESCO.
- A handbook of foreign press. (Merrill).
- Four Theories of the press. (Siebert, Peterson, Schram).
- Dictatorship in the modern world. (Ford, Guytanson).
- Intention and authoritarianism. (Kottam, E. John).
- The four concepts in mass communication. (Schram, Wilbur).
- Broadcasting without barriers (George Coddington) UNESCO.
- Psychological Warfare. (Rougherty, Janourits).
- Case Book (Hopkins).
- A Theory of Cognitive Dissonance. (Festinger).
- The science of Human Communication. (Schram).
- The process and effects of mass communication. (Schram).
- Mass Communication. (Schram).
- Television on the lives of our children. (Schram).
- Public opinion and american. Democracy. (Knopf).
- Broadcasting and government. (Emery).
- Television and human Behavior. (Arous).

- Handbook of Social Psychology. (Gardner Lindsay)
- Measuring advertising effectiveness. (Lucas, Brittz).
- Successfull Television and Radio advertising.
- Research methods in social relations. (Deutsch).
- Studies in the Arab Theatre and Cinema. (Landan).
- Modernising The Middle East. (Daniel Turner).

فهرس الموضمات

ملحة

٢

المقدمة

الباب الأول

١١

الراى العلم

١٢

الفصل الأول : تعريف الراى العلم

تعريفات تؤمن بقوة الراى العلم ١٣ - تعريف جينس
برايس ١٣ - تعريف البورت ١٣ - تعريف البيج ١٣ - تعريف
كلريد كنج ١٣ - تعريف دوب ١٤ - تعريفات تشكك في قوة
الراى العلم ١٥ - محاولة جديدة لتعريف الراى العلم ١٦ .

١٧

الفصل الثاني : الراى العلم والاتجاه العلم والسخط العلم

طرق التعبير عن السخط العلم او الراى العلم ١٨ -
طريقة التبرير ١٨ - طريقة الأبدال ١٩ - طريقة التوضيح ١٩ -
طريقة الانسلاخ او الاستقطاب ٢٠ - الشعرات ٢٢ .

٢٢

الفصل الثالث : انواع الراى العلم

تقسيم الراى العلم الى علم مسيطر وراى علم مستقر
وراى علم منقاد ٢٣ - تقسيم آخر لأنواع الراى العلم ٢٤ -
تقسيم ثالث لأنواع الراى العلم ٢٤ - تقسيم رابع لأنواع
الراى العلم ٢٥ - هناك ما يسمى بالراى العلم العالي ٢٥ -
ما المقصود بالراى العلم النوضى ٢٦ - الراى العلم العريض ٢٧ .

٢٨

الفصل الرابع : عوامل تكوين الراى العلم

اولا : الاعلام والدعاية ٢٨ - ثانيا : الهيس والشعرات
٢٩ - ثالثا : الزعماء السياسيون والمصلحون الاجتماعيون ٣٠ -

صفحة

- رابعا : المشكلات اليومية ٣١ - خلبما : التراث الحضارى ٣٢ -
سلسلا : التربية والتعليم ٣٣ - سابعا : الأوضاع المالية
للدول ٣٤ .

٣٥. الفصل الخامس : دور الصحافة في تكوين الراى العلم

- اولا : الاخبار (وكيف تؤثر بها الصحافة على الراى
المعام) ٣٧ - ثانيا : التطبيق على الاخبار (وكيف تؤثر بها
الصحافة على الراى العلم) ٣٨ - العمود والحديث والتحقيق
(وكيف تؤثر بها الصحافة على الراى العلم) ٣٨ - الصور
والرسوم (وكيف تؤثر بها الصحافة على الراى العلم) ٣٩ -
مصلحة الخبر وصحافة الراى ٣٩ - الصحافة الصفراء ٤٠ -
الراى العلم وحرية الصحافة ٤١ - قياس الراى العلم ٤٢ -
طريقة تطيل المضمون ٤٣ .

٤٨. الفصل السادس : دور الاذاعة والتلفزيون والسينما في تكوين
الراى العلم

- الاذاعة ٤٨ - كيف تؤثر الاذاعة في الراى العلم ٤٩ -
الاذاعة والحكم ٥٠ - التشويش الاذاعى ٥١ - دور السينما
في تكوين الراى العلم ٥٢ - مذاهب نشر الافلام السينمائية ٥٤ .

الباب الثانى

٥٩. الاعلام

٦٠. الفصل الاول : الاعلام ووسائله

- تعريف الاعلام ٦٠ - عناصر الاعلام ٦١ - وسائل الاعلام
القديمة ٦٢ - التعميد الشعرية ٦٢ - الخطبة ٦٤ - المنادى
٦٧ - البعثات ٦٨ - وسائل الاعلام الحديثة ٦٩ - العلاقات
المبلية ٧٠ - الصحافة ٧١ - وسائل الاعلام ٧٢ - الاذاعة ٧٧ -
التلفزيون ٧٨ - المعرض ٨١ - الزيارات الرسمية وغير الرسمية

ملحة

٨٢ - المؤثرات ٨٣ - العلاقات العامة ٨٣ - بين الراديو
والطيفيون ٨٧ - وسيلة الاتصال الشخصي ٨٨ - بين اللغة
المسودة واللغة المكتوبة ٨٩ - لغة الصحافة ولغة الإذاعة ٩٠

٩٣ الفصل الثاني : الإعلام والدولة

١ - المقصود بنظرية السلطة ٩٥ - ما المقصود بنظرية
الحرية ٩٧ - ما المقصود بنظرية المسؤولية الاجتماعية ٩٩ -
الصحافة والسلام العالمي ١٠٠ - ما المقصود بنظرية
السوفييتية ١٠١ - المادية الجدلية ١٠١ - المادية التاريخية ١٠٢ -
سياسة الطبقة العاملة (البروليتاريا) ١٠٣ - النظرية السوفييتية
في الإعلام ١٠٣ - النظرية الإعلامية للجمهورية العربية المتحدة
في وتتنا هذا ١٠٥ .

١١٠ الفصل الثالث : الإعلام في الدول النامية

الإعلام في المجتمعات التقليدية ١١٠ - الإعلام في المجتمعات
الانتقالية ١١١ - الإعلام في المجتمعات الحديثة ١١٥ - ما المفاهيم
الجديدة والقيم الجديدة للمجتمعات الانتقالية أو النامية ١١٨ -
ما المفاهيم الجديدة للجمهورية العربية المتحدة ١٢٠ - الشعور
بالمسؤولية الاجتماعية ١٢١ - التعاون وإنكار الذات ١٢٢ -
مبدأ تكافؤ الفرص ١٢٢ - ما هي القيادات الجديدة للمجتمع
الجديد ١٢٣ - القيادات الاجتماعية ١٢٣ - القيادات
الإعلامية ١٢٥ .

الباب الثالث

الدعاية

١٢٩

١٣٠ الفصل الأول : ما هي الدعاية ؟

أنواع الدعاية ١٣٢ - الدعاية البيضاء ١٣٢ - الدعاية
السوداء ١٣٢ - الدعاية الرمادية ١٣٢ - وسائل الدعاية
السوداء ١٣٣ - أساليب الدعاية بوجه عام ١٣٣ - أساليب

صفحة

النكتة ١٣٣ - أسلوب التكرار ١٣٤ - الأسلوب الديني ١٣٤ -
أسلوب الكتب والاختلاق ١٣٥ - أسلوب الاستعطف
والاستضعاف ١٣٥ - أسلوب الإنشيد والأغنى ١٣٥ - أسلوب
الشماعات ١٣٦ - أسلوب منطاد الاختبار أو جس نبض
الرأى المسلم ١٣٧ .

١٣٨ الفصل الثالث : الدعاية الأموية

ما هي الاسس التي بنيت عليها الدعاية في الاسلام ١٤٠ -
وسائل الدعاية لكل مذهب من المذاهب الدينية الاسلامية ١٤٠ -
الدعاية السرية وحادث قيلم الدولة العباسية ١٤٨ .

١٥١ الفصل الثالث : الدعاية الصهيونية

أهداف الحركة الصهيونية ١٥٢ - وسائل الدعاية
الصهيونية في العالم الخارجى ١٥٣ - المجلس الصهيونى
الامريكى ١٥٣ - المسترود ١٥٥ - المؤتمرات الاشتراكية
الدولية ١٥٦ - معسكرات الشباب ١٥٦ - وسائل الدعاية
الصهيونية في المجال الداخلى ١٥٨ - وسيلة الصحف ١٥٨ -
وسيلة الاذاعة ١٥٨ - وسيلة السينما والمسرح ١٥٩ - وسيلة
النواذى ١٥٩ - مشروع اعلام مريى موحد لمكافحة الصهيونية
١٦٠ - مزاعم اسرائيل والرد عليها ١٦٥ - ما هو السبيل
الى تنفيذ المشروع ١٦٧ - مشروع جهل منظم للاعلام العربى
الموحد ١٦٨ .

١٧٣ الفصل الرابع : الدعاية النازية

عيوب هذه الدعاية ١٧٤ - أساليب الدعاية النازية ونظمها
وأهدافها ١٧٥ - أولا : وزارة الدعاية ١٧٥ - ثانيا : تنظيم
المظاهرات الشعبية ١٧٦ - ثالثا : نظرية منطاد الاختبار ١٧٧ -
رابعا : تنظيم القمصان السمراء ١٧٧ - خامسا : الصليب
المعقوف ١٧٨ .

منحة

١٨٠ الفصل الخامس : الدعاية السوفيتية

- الحزب الشيوعي الواحد ١٨١ - نظام الدعاية
السوفيتية ١٨٢ - وسائل الدعاية السوفيتية ١٨٣ -
(١) الصحافة ١٨٣ - (٢) التوجيه الثقافي والعلمي ١٨٤ -
تقييد حرية الصحافة ١٨٤ - ادعاء الإجماع ١٨٥ - العناية
بترقية النشر تربية ماركسية بحتة ١٨٥ - خطة التباهى بناحية
معينة ١٨٦ - خطة التشهير بجوانب الضعف في الأمم المعادية
١٨٦ - استخدام التهكم والسخرية ١٨٧ .

١٨٩ خاتمة : حرية الإعلام

- معنى جديد لحرية الصحافة ١٩٠ - هل هناك حرية
صحافة ١٩١ - الأسباب التي تعوق حرية الإعلام ١٩١ .

ملاحق البحث

١٩٩ الملحق الأول : مذكرة عن النشاط الصهيوني في أفريقيا

- عرض عام ٢٠٠ - مرحلة الدراسة ٢٠١ - مرحلة
الدعاية ٢٠١ - مرحلة التنفيذ العملي ٢٠٢ - عوامل أخرى
مساعدة ٢٠٣ - المطبوعات ٢٠٣ - الإذاعة الموجهة ٢٠٣ -
النشاط الدبلوماسي ٢٠٣ - النشاط التجاري والمالي ٢٠٤ -
النشاط الثقافي والفني ٢٠٦ - النشاط العسكري ٢٠٧ .

٢١٧ الملحق الثاني : مذكرة عن النشاط الصهيوني في أمريكا اللاتينية

- النشاط الثقافي ٢٢١ - النشاط التجاري ٢٢٢ - المعونات
الفنية والاقتصادية ٢٢٣ - الصحافة الصهيونية في دول أمريكا
اللاتينية ٢٢٤ - البرازيل ٢٢٥ - الأرجنتين ٢٢٦ - المكسيك ٢٣١
شيلي ٢٣٢ - بيرو ٢٣٣ - فنزويلا ٢٣٣ - أورجواي ٢٣٣ .

٢٣٥ الملحق الثالث : مذكرة عن النشاط الصهيوني في آسيا

- النشاط الصهيوني في آسيا ٢٣٦ - الهند ٢٣٦ -
بورما ٢٤٠ - اليابان ٢٤٢ - فيتنام الجنوبية ٢٤٣ - كمبوديا
والفلبين وكوريا الجنوبية ٢٤٣ - تايوان ٢٤٤ - إيران
وتركييا ٢٤٦ .

٢٥٣ المراجع العربية

٢٥٧ المراجع الأوروبية

٢٥٩ فهرس الموضوعات

تطلب جميع منشوراتنا من
مؤسسة

دار الكتاب الحديث

للطبع والنشر والتوزيع

المكويث شارع فهد السالم عمارة السوق الكبير
بجوار المخازن الكبرى محل رقم ٢٥٠ أرضي
ت : ٤٣٦٧٦٥ ص ٠ ب ٢٢٧٥٤